الحضارة الإسلامية

حضارة سلام لا إرهاب

الأستاذ الدكتور مصطفى حلمي
كلية دار العلوم - جامعة القاهرة

الدار العربية للكتاب

الحضارة الإسلامية

[حضارة سلام لا إرهاب]

د. مصطفى حلمى

الأستاذ بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة

الدار العـــربيـــة



الحضارة الإسلامية برؤية غربية

للقارئ وصف موجز للحضارة الإسلامية، بقلم المؤرخ الأمريكي وول ديورانت يقول فيه:

[إن قيام الحضارة الإسلامية واضمحلالها لمن الظواهر الكبرى في التاريخ، لقد ظلّ الإسلام خمسة قرون من عام ٧٠٠ إلى عام ١٢٠٠م يتزعّم العالم كلّه في القوّة والنّظام، وبسطة الملك، وجميل الطباع والأخلاق، وفي ارتفاع مستوى الحياة، وفي التشريع الإنساني الرحيم، والتسامح الديني، والآداب، والبحث العلمي، والعلوم والطب، والفلسفة]...

(١) كتابه (قصة الحضارة، جـ٢ من المجلد الرابع ص٣٨٢ ترجمة: محمد بدران -جامعة الدول العربية، بدون تاريخ.



المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ونشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعل أله وصحبه وسلم تسليمًا.

أما بعد،

فقد قال الشاعر: رمتنى بدائها وانسلّت، وهو وصف ينطبق على سلوكيات الغرب نحونا: عسكريًا واقتصاديًا وثقافيًا وسياسيًا وإعلاميًا، حيث يصف أمة الإسلام بالإرهاب، بينما هو الذى اخترعه وروّع به العالم على أثر استعماره لبلاد العرب والمسلمين حيث أذلّ عبادها، ونهب ثرواتها، وحكمها بالحديد والنار، وألقى بزعمائها بالسجون، ورفع راية الإرهاب شعارًا تلح عليه أجهزة الإعلام ليل نهار، مصوّرةً الإسلام بأنه الخطر الأخضر القادم بدلاً من الاتحاد السوفيتى أيام اشتعال الحرب الباردة بينهما.

والموضوع يثير فى نفس كل مسلم غيور على دينه وأمته الكثير من القضايا المتشابكة، ويستطيع أن يستخلص بسهولة مدى الأكذوبة[1]. المصطنعة الكبرى فى

(١) يقول الدكتور جلال أمين (يُعرّف الإرهاب تعريفًا ضيقًا للغاية حتى كاد يقتصر على ما يُسمى بالإرهاب الأصولى الذى لا يقصد به -فى معظم الأحوال- إلا الأصولية الإسلامية)! ص١٥٥ من كتابه (عولمة القهر، الولايات المتحدة والعرب والمسلمين قبل وبعد أحداث سبتمبر سنة ٢٠٠١م.
دار الشروق ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.
وله كتاب آخر بعنوان (عصر التشهير بالعرب والمسلمين)!

هذه الضجة الإعلامية التى يريد بها الغرب تغطيته سوآته، وما أكثرها، ويكفينا فى عجالة الإشارة إلى الاستعمار الذى يُعد بحق أعلى درجات الإرهاب.

وإذا تتبعنا المراحل التاريخية للاستعمار الغربى بأنواعه المختلفة (العسكرى- السياسى- الاقتصادى- الثقافى) ووصلنا إلى مرحلته فى العصر الحديث المتمثلة فى فرنسا وإنجلترا فى القرنين الماضيين والاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة فى القرن الحالى -إذا درسنا خطوات الاستعمار وآثار الغزو العسكري لبلاد العرب والمسلمين لاتضّح أننا نحن المسلمين -ضحايا الإرهاب الغربى بكل وسائله العسكرية والاقتصادية والسياسية والثقافية وليس العكس كما تصوره أجهزه الإعلام الغربية التى اتخذت من الكذب دعامتها الأولى فى خداع الشعوب والتلاعب بالعقول حتى أصبح شغلها الشاغل التشهير بالعرب والمسلمين.

ولئن صحّ أن يُطلق على هذا العصر صفات عديدة، فإنه سياسيًا واقتصاديًا عصر العولمة وعصر الاستعمار الجديد وعلميًا: عصر الكمبيوتر وغزو الفضاء وعسكريًا: عصر الصواريخ العابرة للقارات والقنابل الذرية والهيدروجينية.

ومع ذلك كله هو أيضًا -كما سمّاه د/ إجلال أمين- عصر التشهير بالعرب والمسلمين.

إن هذه المقدمة ترسم لى خطة بحيث أراها ضرورية لتفنيد تلك التهمة الكاذبة من صنع أجهزة المخابرات ومراكز البحوث الغربية لأن الإرهاب فى الحقيقة تاريخيًا وموضوعيًا من صنع الغرب. فهو مخترعه وراعيه، وسنثبت ذلك بكتابنا هذا المختصر، حيث سنتبع منهج (انتقائى وغير موسع) للبرهنة على حملة التضليل الكبرى حول هذه القضية، لا لندفع عن الإسلام تهمة الإرهاب، فإنه لا يحتاج إلى ذلك -لا من حيث عقائده وشرائعه وحضارته وتاريخه- ولا من حيث سماحته ويسر تعاليمه ولكن لنعيد الثقة فى أبناء الصحوة الإسلامية التى جهلّتها مناهج تعليم (دنلوب)[1] حتى تنهض من جديد ولتعيد أمجاد أمتها وتنفض عن نفسها ذل التبعية والهوان.

---

(١) وهو ما زال سائرًا حتى الآن ص١٥٣ (من كتاب الطريق إلى ثقافتنا) للشيخ محمود شاكر. وينظر الملحق الأول فى نهاية كتابنا.





كذلك نرى ضرورة إبراز الإرهاب الصهيونى الذى تمارسه إسرائيل علنًا وبإصرار أمام العالم حيث تضرب عرض الحائط بقرارات مجلس الأمن وهيئة الأمم المتحدة!

ومع كثرة هذا الاتهام الظالم ليل نهار بإلحاح يدعو إلى الدهشة والاستغراب وكأنّ الهدف من ورائه تهيئة الرأى العام لحرب ضروس، وبلغ من كثرة ترداد الكلمة وإلصاقها بالعرب والمسلمين أن استجاب البعض بشكل عفوى مصدقًا لما يتردد فأخذ يكتب ويقترح تغيير ما يُسمى (بالخطاب الدينى)، وإن دل ذلك على شيء فإنه يدل على موقف الهزيمة النفسية أمام ضراوة الحملة، وهذا ما يريده قادة الغرب وساسته.

إن اتهام المسلمين بالإرهاب يعبّر عن حرب نفسية طاغية تسعى إلى جعل الطرف الآخر (وهو ونحن) فى حالة دفاع عن النفس دائمًا، وتخترق نفوس المنهزمين نفسيًا أمام حضارة الغرب فيستجيبون -كحركة رد فعل- لهذه الحرب النفسية فيرفعون أصواتهم، بأن الإسلام دين سلام وتسامح وتعايش مع الآخرين.. إلخ.

وهذا كله حق لا ريب فيه، ولكن الطريقة الأمثل هو فضح وتعرية إرهاب الغرب المدجّج بالسلاح والمتدثّر بعباءة الظلم البيّن والشر المستطير.

والموقف الصحيح إذن يقتضى الثقة بالنفس ورد الصاع صاعين وإنقاذ الأجيال الجديدة من هذا التخاذل المعيب لكى يسلك طريق أمثال عماد الدين ونور الدين وصلاح الدين بدلاً من المستسلمين الخانعين!.

وعلى علمائنا الارتفاع بقامتهم إلى مستوى التحدىّ أمام طغيان الغرب وإرهابه، لا الاستكانة والخضوع النفسى أمام حملاته الكاذبة الذى تضعهم فى موقع الدفاع، فإن الإسلام بعقائده ومعاملاته وشرائعه ونظمه وتاريخه ناصع البياض إذا قورن بتاريخ الغرب وحضارته الملطخة بدماء ضحاياها من الشعوب المستضعفة! وما الاستعمار الذى ما زلنا نعانى منه حتى الآن بأشكاله بصوره المتعددة إلا تجسيداً للإرهاب بكافة صوره وليس فى ذلك أدنى مبالغة.

ومن يدرس تاريخ الحروب الصليبية يتضح له أنها تمثل عاراً للحضارة الغربية فى العصور الوسطى، وبالمثل فما وقع لمسلمى البوسنة والهرسك فى العصر الحديث يمثل عاراً للغرب أكثر هولاً من عصوره المظلمة.



وإن القلم ليتوقف أحيانًا عن تصوير الجرائم عن كثرة المذابح وتدمير المنازل وقتل النساء والأطفال والشيوخ وانتهاك الأعراض لا لسبب إلا لأنهم مسلمون!

وسنعرض باختصار لمعاملة المسلمين في إسبانيا وما فعله اليهود بشعب فلسطين والاجتياح العسكري لصابرا وشاتيلا، وما فعله الغرب في البوسنة والهرسك وما فعلته أمريكا في العراق وأفغانستان وقد التزمت بالأمانة والموضوعية في إيراد النصوص الطافحة بكل عمل من دلالات العنف والكراهية والإرهاب ما يصور من أشخاص فقدوا آدميتهم وطبائعهم الإنسانية في عمليات القتل والتعذيب وهدم المنازل وإبادة القرى بسكانها!

هذا، والإسلام لا يحتاج إلى تجميل صورته أو الدفاع عنه فإنه في ذاته يحمل براهينه وآياته العصية على الاختراق للعقول النيرة والفطر السليمة، ولكننا مطالبون بدعوة مثقفينا للتريث في الأحكام وعدم الانسياق وراء الصراخ والعويل والاتهام بالإرهاب للحريصين على التزام بتعاليم الإسلام: العقائد والعبادات والسلوك والهدى الظاهر، إذ يقف البعض موقف التخاذل، المنهزم أمام الحرب النفسية التي دأب الغرب على شنه علينا بآلته الإعلامية الفاجرة.

وأقول: عيب علينا أن نتخاذل ونحن أمة وصفها الله عز وجل بقوله: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ.. ﴾ [آل عمران: ١١٠].

ووصف دينها بقول: ﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ.. ﴾ [الصف: ٩].

وقال عز وجل: ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ.. ﴾[١].

قال الرازي (ولا يحل للمؤمن أن يذل نفسه، فالعزة معرفة الإنسان بحقيقة نفسه، وإكرامًا عن أن يضعها لأقسام عاجلة دنيوية (تفسير القاسمي) جـ ١٥ ص ٥٨١٤.

(١) يقول الشيخ عبد الجليل عيسى («ليظهره» أي ليعليه بقوة الحجة وسلامة التعاليم). المصحف الميسر ص ٧٣٩ ط دار الشروق ١٣٩١هـ... وجاء وصف بالظهور أيضًا، في آية ٣٣ من سورة (التوبة).

(٢) ويقول ابن تيمية (قد أظهره الله وحجة وبيانًا على كل دين، كما أظهره قوة ونصرا وتأييدا، وقد امتلأت الأرض منه ومن أمته في مشارق الأرض ومغاربها وسلطانهم دائم لا يقدر أحد أن يزيله، كما زال ملك اليهود، وزال ملك من بعدهم عن خيار الأرض وأوسطها) تفسير القاسمي جـ١٥ ص ٥٤٣١ ط الحلبي سنة ١٣٢٧هـ.

ومع الحملات المكثّفة ليل نهار بالإعلام الغربى واتهامها المسلمين والإسلام بالإرهاب لا يصلح معها إلا قيام الدعاة والحكومات العربية والإسلامية بمواجهة هذا السيل العارم بالحديث بموضوعية عن تاريخ الإسلام وحضارته وهو ملىء بواقعات التسامح الشامل مع الأعداء لا ينكرها إلا حقود معاند.

وإن كان الإسلام موضوع فى قفص الاتهام فليس من الحكمة القيام بالدفاع عنه كما يفعل البعض بحسن نية، بل الوسيلة المناسبة لمجابهة حملات الاتهام الجائرة، هو عرض التاريخ الإسلامى تفصيلاً وإجمالاً بواقعية وأمانة -مع ذكر المخالفات التى حدثت -لأنها تعبر عن استثناء لا يكاد يذكر بالمقارنة بما كان يتعامل به المسلمون مع المخالفين كاليهود والنصارى والمجوس وغيرهم.

وستأتى المناسبة عندما نشرح ونثبت أن الإسلام ليس دين إرهاب ولكنه دعوة إلى الله عز وجل بالحكمة والموعظة الحسنة، وهذا المدخل الصحيح لمخاطبة أهل الغرب بالمنهج المناسب لطرق تفكيرهم حيث يحقق الإسلام السلام الاجتماعى والطمأنينة النفسية والسعادات الدنيوية وهو ما جرّبه العلماء والفلاسفة الذين أسلموا وجرّبوا الحياة بين طريقتىّ الحياة الغربية والإسلامية.

وبعد عرض هذا كله -مع المقارنة بسماحة الإسلام وكيف انتشر فى أنحاء العالم بالدعوة إلى الله عز وجل، بمقارنة بسيطة يتضح بجلاء من منّا الإرهابى الحق؟! كما يتضح بالدليل أن الإسلام دين سلام.

وأسأل الله تعالى أن يجعل ما كتبته خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفعنى به بعد مماتى، وأن ينفع به القرّاء وكل من أسهم فى نشره.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مصطفى بن محمد حلمى

الإسكندرية فى ١٢ رجب سنة ١٤٣٧هـ

١٩ إبريل سنة ٢٠١٦م









الباب الأول:

الإرهاب من صنع الغرب وطبعه

- الفصل الأول: الجذور الدينية والتاريخية للإرهاب الغربى
- الفصل الثانى: الطابع الغالب على الحضارة الغربية
- الفصل الثالث: تاريخ نشأة الإرهاب وبشاعة جرائمه فى بلاد الغرب
- الفصل الرابع: الاستعمار الغربى: أخطبوط الإرهاب
- الفصل الخامس: مسئولية الغرب عن غرس إسرائيل وإرهابها
- الفصل السادس: الإرهاب فى العصر الحديث: أهدافه، وتطوراته، وبعض نماذجه
- الفصل السابع: شهادة بعض الشهود على الإرهاب الغربى





• الفصل الأول

الجذور التاريخية والدينية للإرهاب الغربي

تمهيداً لدراسة قضية الإرهاب والإصرار على إلصاقه بالإسلام والمسلمين، نلاحظ أن الغرب في اتهاماته لنا يأخذ موقف الاتهام والقاضي معًا، لذلك نرى ضرورة التوسّع في شرح الملابسات التي تحيط بتلك القضية ومحاولة البحث عن جذورها التاريخية والدينية حتى يسهل علينا التعرّف على الحقائق من وراء الأضاليل المكثفة لأن الإعلام الغربي حريص على اتهامنا اعتماداً على بعض تصرفات فردية هنا وهناك لا تُقاس بإرهاب الدول ذات جيوش جرارة وأسلحة فتّاكة ومتعمّداً في الوقت نفسه إخفاء وتجاهل العوامل التالية، والتي إذا درسناها بعمق سيتضح لنا براءة الإسلام والمسلمين.

أولاً: الأحقاد الصليبية المترسبّة في النفوس ما زالت فعّالة تختفي وراء قشرة سطحية في المجالات التي تقتضيها المعاملات السياسية والدبلوماسية.

ثانيًا: إن الإرهاب ظاهرة غربية وهي من سمات حضارته تاريخيًا وفي العصر الحديث أيضًا!

ثالثًا: ارتباط الدين بالسياسة في دول الغرب، بخلاف ما يُشاع عنه في كتابات المتغربين وهذا هو -كما يُقال: مربط الفرسَ!

العامل الأول:

إن غزوات الغرب للمسلمين لم تتوقف منذ عصر النبي ﷺ، فقد كانت الحروب سجالاً بين (الروم) وأحفادهم من الصليبيين والمستعمرين الجدد في العصر الحديث، وقد صحح الشيخ محمد الغزالي (رحمه الله تعالى) طبيعة العلاقة بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي، بينما تحاول أجهزته الإعلامية تصوير المسلمين بالإرهاب، بعناد غريب وإنكار الحقيقة التاريخية التي تسجّل أن أهل الغرب هم

البادئون، فيقول الشيخ الغزالى (فمن الوضاعة أن يقدم الرومان من أوروبا فيقاتلوا نبينا محمد ﷺ فى مؤتة وتبوك، وفى سوريا ومصر وفى الأناضول والمغرب، ثم يجيء بعدهم أحفادهم المستعمرون الجدد ليكرروا العدوان نفسه ثم يقولون فى صفاقة: إن الإسلام دين عدوان (أى إرهاب)[1]!

كذلك يستخلص الدكتور عبد الرحمن سالم بدراسته المستوعبة لأبعاد معركة مؤتة أن النتيجة المحققة لها هى بروز العدو البيزنطى على الساحة الإسلامية بكل جبروته وعنفوانه، مقررًا أن كل العداوات المستقبلية بين المسلمين والبيزنطيين يمكن رد جذورها إلى المواجهة القاسية فى مؤتة، وهى الشرارة الأولى فى الصراع الإسلامى البيزنطى طوال أكثر من ثمانية قرون[2].

وقد استمرت الحروب بعدها فى سلسلة لا تنقطع، متّسمة بالطابع الدينى، الموغل فى التعصب، والذى يتضح من سلوكيات القادة والجند الرومان ببشاعة عدوانهم الطافح بالحقد والذى يكتسح أمامه النسل والزرع ومظاهر العمران ليتركها خرابًا، وقاعًا صفصفًا!

ونجتزئ ها هنا بعض سلوكيات أحد قادتهم وهو «نقفور فوقاس -قائد الرومان خلال القرن الرابع الهجرى - حيث كان يرتكب أفعالاً يندى لها جبين الإنسانية خجلاً، بدءًا بتخريب المبانى والمساجد ونهب الأموال، مع أعمال القتل والنهب والتدمير لمدينة (حلب) بأكملها ستة أيام كاملة، وإشعال النيران واللجوء إلى حيل التخويف والترويع والإرهاب!

وأمام هذه الأحداث المروعة، لا يسع الدارس المستقصى لها، إلا أن يقرّر -كما فعل الدكتور صابر دياب- أن عصر الحروب الصليبية إنما يرجع إلى القرن الرابع الهجرى، لأن الروم منذ ذلك الحين وهم يشعلونها حربًا دينية[3].

(١) محمد الغزالى (سرّ تأخر العرب والمسلمين) ص٨ دار الصحوة بالقاهرة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

(٢) د. عبد الرحمن سالم (المسلمون والروم فى عصر النبوة) ص١٠٢ دار الفكر العربى بالقاهرة ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.

(١) د. صابر محمد دياب (المسلمون وجهادهم ضد الروم فى أرمينية والثغور الجزرية والشامية خلال القرن الرابع الهجرى) ص١٣٩ مكتبة السلام العالمية بالقاهرة ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م ويُنظر صفحات: ١٣٦، ١٦١، ١٦٣، ٢٠٠.



وليس عجبًا إذن أن يأتينا فى العصر الحديث أشخاص مستنسخة من «نفقور» أمثال نابليون وألبنى وجورو وستالين وقادة الصرب، وغيرهم كثيرون.

ويقول محمد أسد (ليوبولد فايس قبل إسلامه) «إن روح الحرب الصليبية، فى شكل مصغّر على كل حال، ما زال يتسكع فوق أوروبا، ولا تزال مدنيتها تقف مع العالم الإسلامى موقفًا يحمل آثارًا واضحة لذلك الشبح المستميت فى القتال»(١).

وقد بلغ هذا الشبح مداه فى وقائع كثيرة فى العصر الحديث، نختار منها:

١- ما قامت به الإمبراطورية البرتغالية كأول إمبراطورية استعمارية فى أوروبا، حيث ارتكبت جرائم بشعة بأراضى المسلمين حتى إن المؤرخين الأوروبيين أنفسهم حاولوا التستر على جرائمها التى تقشعر لها الأبدان، والغريب أيضًا أن البرتغاليين لم يكونوا يتصرفون بدافع من التعصب الأعمى والحقد الأسود، بل كانت كنيسة الفاتيكان الكاثوليكية وراء جميع هذه الأعمال اللاإنسانية البشعة التى كان يقترفها قادة البرتغال، ولم يكبح جماحهم إلا الإمبراطورية العثمانية عندما ظهرت بقوة رافعة راية الحماية للدول الإسلامية، وانهزمت البرتغال أمام جحافل المسلمين(٢).

٢- الإرهاب الإيطالى ضد حركة الجهاد السنوسية بقيادة عمر المختار -أسد برقة- الذى ظل يقاوم جيوش إيطاليا، وكانت عشرة أضعاف جيشه -جيوشًا مزودة بأحدث الأسلحة والدبابات المصفحة والطائرات والمدافع بينما لم يكن لدى عمر المختار ورجاله أنصاف الجائعين شىء سوى البنادق وبعض الخيول يشنون بها حرب عصابات فى بلد انقلب إلى سجن ضخم كبير(٣).

وقد تمكن الحقد الصليبى الأسود من قلب جنرال إيطالى فى إحدى نهاية المعارك الغير المتكافئة، فحشد كل من تبقّى على قيد الحياة، وأمام أعينهم مزّق نسخة من

---

(١) محمد أسد (الإسلام على مفترق الطرق) ص٦٤ ترجمة د. عمر فروخ دار العلم للملايين -بيروت سنة ١٩٧٣.

(٢) كامل الشرقاوى (العذاب الذى لاقاه المسلمون على أيدى الغرب) ص٢١ مطابع الأهرام بمصر ١٩٩٨م.

(٣) محمد أسد (الطريق إلى الإسلام) ص٣٤١ سنة ١٩٧٦م.

القرآن الكريم، ثم رماها على الأرض وداس عليها بحذائه صائحًا «دعوا نبيكم (ﷺ) البدوى يساعدكم الآن إذا استطاع»!! . . ثم أمر بقطع أشجار النخيل فى الواحة، وبهدم آبارها وإحراق كل ما كان فى مكتبة السيد أحمد السنوسى من كتب، وفى اليوم التالى أصدر أمره بوضع الشيوخ والعلماء فى طائرة حلقت بهم ورمتهم من علوّ شاهق!!)[1].

٣- وهناك وقائع أخرى بتمزيق القرآن الكريم، أخفا ها عنّا المؤرخون الغربيون، ولكننا علمنا واقعتين: إحداهما ما فعله جنود فرنسا أثناء غزو نابليون لمصر والدخول بالخيل إلى الأزهر، والثانية، ما فعله جنود أمريكا فى جنوب العراق حيث حرقوا القرآن الكريم وداسوه بالأقدام وبصقوا عليه[2]!

وكان الأمير شكيب أرسلان متابعًا دقيقًا للعداء الأوروبى للإسلام والمسلمين، وكتب تحت عنوان (**التعصب الأوربى أم التعصب الإسلامى؟ الأول هو الأشد بشهادات شهود من أهله، ومائة مشروع لتقسيم تركيا !**)

وفى عرضه للموضوع أخذ يسجل تاريخ أهل أوروبا فى الحروب الصليبية وما جرى منهم عند فتح القدس من ذبح ٧٠ ألف مسلم فى المسجد الأقصى حتى سبحت الخيول إلى صدورها فى الدماء، ومن استئصالهم شأفة المسلمين من الأندلس، وصقلية وجنوبى فرنسا وسردانية . . . كما عفى الأوروبيون كل أثر للإسلام فى أوروبا ولم يرضوا أن يبقى فيها مسلم واحد![3]. كذلك كانت الشعوب المسيحية مدّة ستة قرون تهاجم الدولة العثمانية[4].

---

(١) نفسه ص٣٦٢ ترجمة عفيفى البعكيكى دار العلم للملايين/ بيروت سنة ١٩٧٦م.
(٢) مجدى حسين (مقالات مجدى حسين ضد مبارك) ص ٩٢.
المركز العربى للدراسات بالقاهرة سنة ٢٠١١م.
(٣) كتاب (حاضر العالم الإسلامى) جـ٣ ص٢٠٨ تأليف ستودارد الأمريكى وترجمة عجاج نويهض وتعليقات الأمير شكيب أرسلان.
(٤) نفسه ص٣٢٣ دار الفكر ط٣ ١٣٩١ هـ/ ١٩٧١م.

وليس غريبًا على الرئيس الروسى «بوتين» عندما قام بغزو سوريا عسكريًا واحتل أراضيها وألقت طائراته القنابل الفتاكة على الثوار المجاهدين لتعوق تقدمهم نحو تحرير بلادهم من الطاغية النّصيْرى. . ليست غريبًا بل هو المتوقع لأنه سلك طريق حكام روسيا السابقين من القياصرة الطغاة وبما فيهم ستالين الدكتاتور الأكبر فى العصر الحديث!

ولكن الغريب أنه لم يستطع كتمان أحقاده الدينية المتوارثة منذ الحروب الصليبية فيقول للاتحاد الأوروبى ويقول للأرثوذكس (إن الأصولية الإسلامية هى الخطر الوحيد الذى يهدد العالم المتحضر! وهى الخطر الوحيد الذى يهدد نظام السلم والأمن العالميين! والأصوليون لهم نفوذ ويسعون إلى إعادة الخلافة الإسلامية، وإقامة دولة موحدة تمتد من الفلبين إلى كوسوفو، وينطلقون من أفغانستان التى تعتبر قاعدة لتحركاتهم، فإذا لم ينهض العالم لمواجهتها فإنها ستحقق أهدافها. وروسيا تحتاج إلى (دعم مالى) لمكافحة الأصولية فى شمال القوقاز)[١].

ومن الدلائل على استمرارية -الحروب الصليبية دراسة الفريق سعد الدين الشاذلى -رحمه الله تعالى- لحلقات تلك الحروب المتواصلة، فذكر أن إنجلترا وفرنسا كانتا تقودان الحروب الصليبية للخلافة العباسية خلال الحروب الأولى والثانية، فلما انتقل مركز القوة بالنسبة للمسلمين إلى القاهرة أصبحت مصر هى المستهدفة وهى التى تصدت للحروب الصليبية الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة، وكان الهدف من الحرب الصليبية السابقة هو إرغام مصر على سحب جيوشها من الشام.

واليوم (أى فى عام ١٩٩١م) فإن أمريكا وبريطانيا وفرنسا هى التى تقود الحملة الصليبية ضد أقوى دولة مسلمة فى عصرنا الحالى وهى العراق[٢].

---

(١) صالح بن جليس اليافعى (المعجزة المتجددة فى عصرنا: الإسلام (بعض مظاهر انتشار الإسلام بعد أحداث ١١ سبتمبر فى العالم) ص٦٣.
دار القدس -صنعاء ودار الإيمان- إسكندرية سنة ٢٠٠٤م.
وللعلم فإن بوتن كان ضابط استخبارات سابق.

(٢) الفريق سعد الدين الشاذلى (الحرب الصليبية الثامنة- العدوان على العراق) ص٥٧ ط عيون المقالات الدار البيضاء سنة ١٩٩١م.

ويصف هذه الهجمة الصليبية الثامنة فيقول (لم نر لها مثيلاً إطلاقًا فى الحروب الصليبية)[١].

ويتضح لنا أن الثقافة الإسلامية الواسعة للفريق الشاذلى أرشدته إلى الاستدلال على استمرار الحرب الصليبية بدافع العداء المتوارث للإسلام المنتقل من جيل إلى جيل بحرص شديد، وتسجّله الكتب الدراسية فى الغرب لتُربّى عليها الأجيال (ويصبح منهم الساسة والقادة والزعماء، وهو ما نلاحظه من أفعال وأقوال على ألسنة بعضهم، ومنها ما صرّح به بوشن أثناء غزوه لأفغانستان.

وتقول د. زينب عبد العزيز (.. إن تاريخ الغرب مُثقّل بأنهار من الدماء التى انسابت باسم الدين حينًا وباسم التطهير العرقى حينًا آخر.. ويقول جارودى (ولقد كانت الإبادة مستمّره تتم فى وضح النهار مع مباركة كافة الكنائس).

وما يعنينا الآن فى عمليات كهذه هو ما يتم حاليًا من محاولات دائبة متوالية فى كافة القارات لمحاصرة الإسلام وإبادته بصورة لا تخطؤها العين...

وتاريخيّا فإن الغارة على الإسلام بلغت ذروتها فى محاكم التفتيش التى قامت أساسًا لإبادة المسلمين فى جنوب أوروبا وإسبانيا والبرتغال، حيث لم يبق مسلم واحد... والأمر لا يتعلق فقط بإبادة شعب مسلم فى البوسنة والهرسك مثلما أُبيد الإسلام فى إسبانيا وإنما هى إبادة للإسلام برمته أينما كان[٢].

بل لقد أعلن أكثر من مسئول فى الغرب ومنهم (نيكسون) إن العدو الباقى والذى يتعين مواجهته الآن إنما هو الإسلام، وذلك بعد انهيار الاتحاد السوفيتى بتضافر جهود المخابرات المركزية الأمريكية والجهاز السياسى الدينى للفاتيكان..

يقول القس السابق جان كلود بارو بكتابه الصادر عام ١٩٩١ والحاصل على جائزة أدبية يقول (إنه لابد من إعادة صياغة القرآن والحديث والسنّة خلال عقد أو اثنين

(١) نفسه ص٢٤٧.

(٢) زينب عبد العزيز (موقف الغرب من الإسلام) ص ٢١٧، ٢١٨ محاصرة وإبادة وعنوان جانبى «صليبية الغرب وحضارته» دار الكتاب العربى: دمشق/ القاهرة مصر شارع عبد الخالق ثروت رقم ٥٢ شقة ١١.



بمفاهيم عصرية أو على الإسلام أن يختفى). . وهو ما يتمشى مع ما وضعه الغرب من مخططات لإذابة هوية المسلمين وتحطيم انطلاقتهم وإلغاء عروبتهم لامتصاصهم أو إذابتهم فى دولة اندماجية)[١].

والملاحظ لكل ذى بصر وبصيرة أن أجواء الأمة الإسلامية مليء بغيوم الحروب الصليبية التى لا يشك فيها أحد، مع كثرة العلامات والأدلة على استمراريتها وعنفها وأنها تحمل بين طياتها الرغبة فى الإبادة، إذ لم يتورع أحدهم وصفها بأنها **(معركة حياة أو موت)**، هكذا فى تعميم فج، وروح استعلائية[٢].

ويقول إدوارد جيريجيان مساعد وزير الخارجية الأمريكى السابق لشؤون الشرق الأدنى (إن الولايات المتحدة الأمريكية بوصفها القوة العظمى الوحيدة الباقية، والتى تبحث عن أيديولوجية لمحاربتها، **يجب أن تتجه نحو قيادة حملة صليبية جديدة ضد الإسلام)**[٣].

ويقول مسيو «إتيان دنيه» (ولا يزال أعداء الإسلام يناصبونه القتال فى كل سهل وجبل، وفى كل بر وبحر، ولا تبرح مكافحة الإسلام لهم هى فى نسبة الخردل إلى الجندل. فمتى ينشط الإسلام من عقاله ويستأنف همته الأولى؟ هذا ما لا يجاوب عليه غير المستقبل)[٤].

والعبارة بنصها وردت على لسان الرئيس الأمريكى السابق (بوش)، وكانت دوافعه دينية فى المقام الأول، فقد كان منغمسًا فى قراءة الكتب اللاهوتية (وفى مقدمتها

---

(١) نفسه ص٣٥ ط٣ سنة ٢٠٠٣م.

(٢) د. محمد محمد أبو ليلة (الحوار فى القرآن) ص٦٢ كتاب (الهلال) العدد ٧٠٨ ديسمبر سنة ٢٠٠٩م وأورد نصًا للكاتب جيفرى بيل فى مجلة ديكلى ايستاندرد قال فيه (إن غزو العراق هو حركة تكتيكية ضمن سلسلة تحركات ومواجهات ضد الإرهاب الإسلامى لإعادة تشكيل المنطقة) (نفس المصدر والصفحة).

(٣) محمد حسين هيكل (أوهام القوة والنصر) الفصل العاشر بعنوان (قوة تبحث عن هدف) ص٢١٥. مركز الأهرام للترجمة ط١ سنة ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

(٤) كتاب (حاضر العالم الإسلامى) جـ١ ص٣٦ تأليف ستودار والأمريكى وترجمة عجاج نويهض، وتعليقات مستفيضة لأمير البيان شكيب أرسلان دار الفكر ط٣ ١٣٩١هـ- ١٩٧١م.



«التوراة»، وكان يستخدم بعض العبارات الغريبة وتكرارها فى خطاباته، مثل (القضاء على محور الأشرار) و(بؤر الكراهية) و(قوى الظلام) و(ظهور المسيح الدجّال) و(شعب الله المختار) و(الهرمجدون) و(فرسان المعبد)، ويدعى أنه يتلقى رسائل مشفرة يبعثها إليه (الرب) عن طريق الإيحاءات الروحية والأحلام الليلية)(١).

والحق أن مثل هذه العقائد لا يعبّر عنها (بوش) وحده، ولكن يشترك معه بعض رجال الدين فى أمريكا، فإن (الهرمجدون) مثلاً أكذوبة كبرى رسخّها أعداء الإسلام فى وجدان الأمة الأمريكية . . . وإن ٦١ مليون أمريكى يستمعون بانتظام إلى مذيعين يبشرون على شاشات التلفزيون بقرب وقوع المعركة(٢).

وقد علّق الأستاذ معصوم مرزوق على ذلك لقوله (وبعد . . أما زالت مدارس تحفيظ القرآن فى باكستان هى مصدر الإرهاب فى العالم، أم أن تلك الأوهام والأساطير هى بذور العنف الذى يخلق له عنفًا مضادًا؟!)(٣).

العامل الثانى: إن الإرهاب ظاهرة غربية:

فقد سجّلت القرون الوسطى أبشع صور البطش والعنف متمثلة فى محاكم التفتيش التى نصبها البابا وات للانتقام من المارقين وكل من لا يدين بالولاء للكنيسة(٤) . . ويرجع استخدام كلمة الإرهاب فى الثقافة الغربية إلى الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩ - ١٧٩٩م حين تبناها الثوريون الذين استولوا على السلطة فى فرنسا بالعنف ضد أعدائهم، **وقد عرفت فترة حكمهم باسم عهد الإرهاب**(٥).

(١) معصوم مرزوق، مقال بعنوان (الرؤى الشيطانية) ص٩٥ مجلة الهلال- القاهرة. جمادى الأولى ١٤٣١هـ- مايو سنة ٢٠١٠م.

(٢)، (٣) نفسه ص٩٧.

وموضوع المقال تلخيص كتاب (لو كررت ذلك على مسامعى فلن أصدقه) للمؤلف الفرنسى كلود موريس، وموضوعه المحادثات الهاتفية بين بوش والرئيس الفرنسى السابق شيراك حيث علق بقوله (هذه ليست مزحة، فقد كنت متحيراً جدًا بعد أن صعقتنى هذه الخزعبلات والخرافات السخيفة، التى يؤمن بها رئيس أعظم دولة فى العالم، ولم أصدق فى حينها أن هذا الرجل بهذا المستوى من السطحية والتفاهة) ص٩٥.

(٤) (٥) د. زكريا الزميلى، مقال بعنوان (موقف الخطاب الدينى من الإرهاب).



وقد ظهرت الجماعات الإرهابية فى الغرب وأشهرها (جماعة كوكلوس كلات) الأمريكية التى استخدمت العنف لإرهاب المواطنين السود بالرغم من أنهم أصحاب البلاد الأصليون. . . وأيضًا تعرض الأمريكيين من أصل عربى لمئات من حوادث الاعتداء بالضرب بناء على التفرقة العنصرية، التى تتبناها نحو ٢٠ جماعة إرهابية فى أمريكا.

ومن المنظمات الإرهابية التى عُرفت فى العصر الحديث منظمة إيتا فى إسبانيا وجماعة الألوية الحمراء فى إيطاليا والجيش الأيرلندى فى إنجلترا وكذلك العصابات اليهودية بفلسطين مثل الهاغانا والأرجوان وشتيرن وجبل الهيكل وغيرها الكثير من المنظمات الإرهابية.

ويقول الدكتور زكريا الزميلى (إن ما تمارسه أمريكا فى العراق وخاصة فضيحة سجن أبو غريب وما يحدث فيه من ممارسات غير أخلاقية تمثل وصمة عار فى جبين الأمة الإسلامية ووصمة عار فى جبين الحضارة الغربية التى تدّعى المدنية والتقدم وما خفى كان أعظم، وأيضًا ما يحدث فى معتقل غوانتنامو من وسائل تعذيب تفوق التصور، وأيضًا ما يحدث فى سجون الاحتلال الإسرائيلى ضد المعتقلين الفلسطينيين لهو الدليل على إرهاب الدولة المنظمّ)[(١)].

ثالثا: ارتباط الدين بالسياسة فى دول الغرب:

وكانت هذه القضية قد أثيرت منذ قام كمال أتاتورك بضرب الأمة الإسلامية فى مقتل بإلغائه الخلافة العثمانية (وهو يهودى من طائفة الدونمة التى تعلن الإسلام نفاقًا وتقوم سرًّا بأداء شعائر اليهود). . وعلى أثر ذلك زعم رواد الاستعمار وأعداء الإسلام أن أوروبا فصلت الدين عن السياسة بتاتًا. . وقد سرت هذه الأغلوطه -كما يسمّيها شكيب أرسلان- على كثير من المسلمين وصدّقوا أن الدول الأوروبية تفصّت من كل نزعة مسيحية وأنها لا تعرف شيئًا سوى الإنسانية العامة وأن الدين المسيحى لا تهتم به حكومة من حكومات أوروبا!

---

(١) د. زكريا إبراهيم الزميلى: مقال بعنوان (موقف الخطاب الدينى من الإرهاب) ص٢٢ (صحيفة دار العلوم) ذو القعدة سنة ١٤٢٦هـ- ديسمبر سنة ٢٠٠٥م.

ويمضى الأمير شكيب لعرض هذا الموضوع بإسهاب تحت عنوان (قضية فصل الدين عن السياسة) مبينًا أن أتاتورك هو الذى روّج لهذه الأغلوطة وسلخ الترك تدريجًا من العقيدة الإسلامية وصرفهم عن اللغة العربية، وأبطل المحاكم الشرعية وأرغم الأتراك على الكتابة بالحروف اللاتينية بحجة تسهيل التعليم على النشء بينما القصد الحقيقى هو إقصاء الترك عن العرب وإبطال قراءة القرآن تدريجًا. ثم يتابع دراسته لأحوال الدول الأوروبية، فيذكر أن إيطاليا جعلت التعليم الدينى من أهم برامج المدارس، وألمانيا تفرض أيضًا التعليم الدينى فى جميع مدارسها، وإنْ كانت فرنسا ذات حكومة صبغتها لا دينية، إلا أنها تظهر فى كل فرصة بمظهر دينى مسيحى. . وهذه الدولة البلجيكية قد جعلت من برامج حكومتها الرسمى العمل لتنصير زنوج مستعمرتها الكونغو. . وتعلن فرنسا أنها حامية النصرانية فى الشرق، وتوجب على رجالها شهود الشعائر الدينية الكاثوليكية فى جميع الأعياد والمواسم.

وهذه إيطاليا -صديقة تركيا- جمعت ألوفًا من أطفال عرب طرابلس، أخذتهم من بين أيدى والديهم بالقوة وحملتهم إلى إيطاليا لأجل تربيتهم فى الديانة الكاثوليكية ولم تبال ما فى ذلك من خرق العهود والاعتداء على أقدس حرية بشرية وهى الحرية الدينية. . وماذا يقول الإنسان فى تدين الأمة الإنجليزية الشديد كبارًا وصغارًا ومن جميع الطبقات حتى من طبقة الاشتراكيين؟

وكل أحد يعلم المناقشات التى ثارت فى مجلس اللوردات الإنجليزى ومجلس البرلمان من أجل سرّ استحالة الخبز والخمر بتقديس القدّيس إلى جسد المسيح ودمه!. . ويُلاحظ أن ملك هذه الدولة هو نفسه رئيس كنيستها وهو الذى يُدعى له على منابر كنائسها بموجب دستور إيمانها كما يُدعى للخليفة على منابر الإسلام.

ثم يستخلص الأمير شكيب أرسلان من دراسته أنه ليس فى الدنيا سوى ثلاث حكومات تناهض الدين باطنًا وظاهرًا، وهى روسيا الحمراء والجمهورية الكمالية فى أنقرة وحكومة المكسيك.

كذلك يستند الأمير شكيب أرسلان بأقوال لكلٍّ من كلفين ولوثير، فينسب للأول قوله (إن الدولة المسيحية -رأسها هو الله..) وعلى الإنسان التابع بها ألا يحيد عن خطة الإنجيل والمواظبة على إقامة الشعائر المسيحية.. ويقول أيضًا (إن الملك الذى لا ينشد مجد الله فليس بالذى يقيم مملكة وإنما هو يقيم لصوصية!)

وبعد كل هذه الحقائق، يخدع المضللون المسلمين بقولهم إن الحكومات الأوربية لا تعنى بأمور الديانة المسيحية!

وينتهى شكيب أرسلان إلى القول (**إذًا خرافة فصل الدين عن السياسة فى أوروبا التى لا يزال يتشدق بها بعض المضلّلين فى الشرق ليس لها أصل**)(١).

أما دور الدين فى السياسة الأمريكية فيبدو أقوى تأثيرًا إذ أن (السلطة الدينية فى أمريكا لها أثر خطير على الحكم السياسى)(٢).

ويجهل الكثير من المثقفين الأثر العميق للعقائد الدينية فى تحريك سياسة الولايات المتحدة الأمريكية، وبخاصة نحو الدول العربية والإسلامية انحيازًا لإسرائيل بدوافع دينية، وقد صدرت مؤلفات كثيرة عرضت لما يسمى (باليمين المسيحى)، ومن معتقداته التى يستند فيها إلى فقرة توراتية من سفر التكوين وهى (يبارك فيها الرب إبراهيم (عليه السلام) عن وعده بالأرض «سأبارك من يباركك وألعن من يلعنك» وبهذه الفقرة يجعل المسيحيون الأمريكيون الأصوليون (إسرائيل فوق الجميع فى نظر الله، لدرجة أن مصير الأمم الأخرى يصبح مرتبطًا بموقفها من إسرائيل، ويؤسسون إدعاءاتهم المتكررة بأن الله لا يعطف على الشعوب العربية والشعوب التى تدعم القضية العربية)(٣).

---

(١) كتاب (حاضر العالم الإسلامى جـ٣ ص٣٦٠) وقد استغرقت مناقشة هذه القضية الصفحات من ص٣٥١ إلى ص٣٦٤.

(٢، ٣) رضا هلال (أمريكا: الحلم والسياسة "من أوراق التغريبة الأمريكية) ص١٤٨ ط الحضارة للنشر بالقاهرة ط١ سبتمبر سنة ١٩٩٩م.



وترجع جذور هذا المعتقد إلى البروتستانتية التى أسهمت فى (تهويد) المسيحية، إذ أن حكايات العهد القديم أصبحت الخطاب اليومى للعقل البروتستانتى وأصبحت فكرة وعودة اليهود كأمة إلى فلسطين تمثل عصب الإيمان (وأصبح من مكونات الثقافة الشعبية الأمريكية الاعتقاد بأن المجىء الثانى للمسيح مرتبطًا بإنشاء الدولة اليهودية)، وادّعى جيرى فالويل) (زعيم الأغلبية الأخلاقية) أن سفر التكوين يذكر أن حدود إسرائيل تمتد من نهر الفرات شرقًا إلى نهر مصر غربًا، وأن أرض الميعاد تضم أقسامًا من العراق وسوريا وتركيا والسعودية ومصر والسودان وجميع أراضى لبنان والأردن والكويت!!)[١].

ومن رؤساء أمريكا الذين تحمسوا لتلك العقيدة «كارتر» الذى أعلن أنه «وُلدنا نية كمسيحى» معلنًا أن تأسيس إسرائيل المعاصرة هو تحقيق للنبوءة التوراتية، وكان الرئيس (ريجان) مقتنعًا بأن المعركة الأخيرة «هرمجدون» أصبحت وشيكة[٢].

●●●

(١، ٢) ص١٤٩.



● الفصل الثاني:

الطابع الغالب على حضارة العصر

وإذا استعرضنا بإجمال الطابع الغالب على حضارة الغرب منذ تاريخ اليونان حتى عصرنا، سنجد طغيان التميز العنصري عند اليونان منذ أفلاطون وأرسطو، الذي أباح للأثيني أن يسترق غير الأثيني ثم قيام الدولة الرومانية على القوة والبطش والاستعلاء وتأليه العنف وهي من طبيعتها التي توارثتها الأجيال حتى حصرنا الحاضر، وكان كتاب «الأمير» لميكافيللي هو الدستور الذي يعمل به كل أمير أوروبي وخلاصته (الغاية تبرر الوسيلة أيًا كانت وفي العصر الحديث كانت النازية مستوحاة من فلسفة شبنجلر حيث رأى أن الإنسان وحش مفترس... أما جرائم الاستعمار الأوروبي في القارتين الآسيوية أو الأفريقية فتلَّطخ صفحات التاريخ الحديث بالعار، ، ودعنا من وقائع الإرهاب المجسّد في إبادة الهنود الحمر في أمريكا واختطاف الأفريقيين من بلادهم وشحنهم كالحيوانات!!

وفي العصر الحديث، عصر الديمقراطية والحرية وكفالة حقوق الإنسان، أدلى ٩٩٪ من البوسنيين بأصواتهم في استفتاء قطعته حرب البوسنة، لصالح استقلالهم عن بقية يوغسلافيا.. لقد اعترف أعضاء الاتحاد الأوروبي في ٢٩/ ٢/ ١٩٩٢. بالبوسنة دولة مستقلة. وبالرغم من اعترافهم هذا، فلم يتدخل الاتحاد الأوروبي حتى ٣٠/٨/ ١٩٩٥، أي تاريخ بدء هجمات حلف شمال الأطلنطي في الصراع الدائر في البوسنة، هذا الصراع الذي استمر ٣ سنوات بكل ما عرف من فظائع الإرهاب الصربي من قتل واغتصاب وأعمال سلب ونهب، استغرق الأمر من العالم ٣ سنوات ليضعوا نهاية لعملية التطهير العرقي التي قام بها الصرب في البوسنة[1].

---

(١) د. مراد هوفمان (الإسلام في الألفية الثالثة، ديانة في صعود) ص٨٥ ترجمة عادل المعلم ويس إبراهيم - مكتبة الشروق الدولية ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.



أما قائمة إرهاب (الدول) فتتضمن وقائع غاية فى الغرابة جمعها جارودى فى الوقائع التالية: . . ففى عام ١٩٥٦ اختطفت السلطات الفرنسية طائرة ملغية ترفع العلم المغربى، وعلى متنها (خمسة) من قادة الثورة الجزائرية، كانوا فى طريقهم لحضور مؤتمر تحضره الحكومة الفرنسية نفسها، للبحث عن حل للقضية الجزائرية. . واحتفظت الحكومة الفرنسية بالقادة الخمسة لديها حتى استقلال الجزائر عام ١٩٦٢، وكان هذا أول حادث قرصنة تقوم به دولة كبرى، أليس هذا هو الإرهاب بعينه؟!

وبعد عامين، وفى يوم ٣/ ١٠/ ١٩٥٨ نظمت الولايات المتحدة حادث اختطاف طائرة كوبية أدى إلى مصرع ١٧ شخصًا، وخلال الفترة من عام ١٩٦٠ حتى عام ١٩٦٤ تم اختطاف ٤٠ طائرة كوبية، وكان مختطفوها يستقبلون فى المطارات الأمريكية «كفاتحين» فقد كانت أمريكا تريد تجريد كوبا (كاسترو) من أسطولها الجوى. . أليس هذا هو الإرهاب بعينه؟!

وفى عام ١٩٦٨ قامت إسرائيل بغارة على مطار بيروت الدولى فدمرت وأحرقت جميع طائرات الأسطول الجوى المدنى وعددها ١٣ طائرة. . أليس هذا هو الإرهاب بعينه؟، وأصبح «بيجين» رئيسًا لحكومة إسرائيل وهو الذى ارتكب مذبحة (دير ياسين) فى ١٩/ ٤/ ١٩٨١ برغم أنه كان مطلوبًا للقضاء البريطانى بتهمة تفجير فندق الملك داود فى مدينة القدس عام ١٩٤٦ والذى ذهب ضحيته ٢٠٠ شخصًا بين قتيل وجريح. . أليس هذا هو الإرهاب بعينه؟. وكان شامير الذى ترأس الفريق الذى قام باغتيال مبعوث الأمم المتحدة (الكونت برناردت) فى ١٧/ ٩/ ١٩٤٨ وأصبح رئيسًا للحكومة وزيرًا للخارجية، أليس هذا هو الإرهاب بعينه؟

ولا نخطئ إذا قلنا إن (الإرهاب) هو طابع الغرب نفسه، كما أنه هو صانعه، وإثبات ذلك يسير، إذا راجعنا بعض الواقعات الكبرى فى تاريخه الحديث -دعنا من عنصرية اليونان ودموية الرومان كما بينا سلفًا (نهب الأمريكيون بلاد الهنود الحمر

(١) جارودى (قراءة فى فكر علماء الإستراتيجية) ص١٣٢ إعداد د. جمال عبد الهادى دار الوفاء بالمنصورة ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م والشيخ عبد الراضى سليم.



وأذلوهم وكادوا أن يقضوا عليهم، وضربوا مدينتين يابانيتين بالقنابل الذرية بعد استسلام الجيش الياباني في جريمة تعتبر بحق كبرى جرائم القرن العشرين . . . والإسبان أصحاب الجرائم المروعة لمحاكم التفتيش . . والصرب والكروات الذين دفنوا عشرات الآلاف من المسلمين أحياءً في بلاد البلقان في حربهم القذرة الأخيرة تحت مرأى ومسمع من القوات الغربية)[١] .

ونضيف إلى ذلك كله الجريمة الكبرى لانتزاع شعب فلسطين من وطنه واستعمار إسرائيل الاستيطاني لبلاده بعد إرهابه بالحديد والنار، فهي تمثل أبشع صور الانحطاط الإنساني، وتدين حضارة الغرب برمتها لأنها المسئولة عن غرس هذا العدو في قلب العالم العربي والإسلامي، يستنزف ثرواته وقواه، ويعرقل نهضته، ويسهم في بقائه على حالته من الضعف والهوان[٢]!

ولا تعليل لهذه الظاهرة المقيتة التي توصف بها حضارة الغرب إلا بالرجوع إل فلسفة التاريخ . .

ومن فلسفة التاريخ، ننتقي رأي الفيلسوف الألماني اشبنجلر حيث يرى أن الإنسان وحش مفترس، وبالمقارنة بين الإنسان والحيوان يقرر بأن أعظم الوحوش المفترسة ليسوا سوى مخلوقات نبيلة في أعلى الدرجات، برئت من صفات الكذب التي تتسم بها أخلاق الإنسان بسبب ضعفه، كذلك يذكر أن الصراع بين الأمم سواء كان عسكريًا أو اقتصاديًا أو سياسيًا هو الذي يملي صورة دستور تلك الأمم المنظم لشئونها الداخلية وعلاقات سلطاتها بين بعضها البعض[٣] .

---

(١) د. زغلول النجار (الإسلام والغرب في كتابات الغربيين) ص٢٠٩ نهضة مصر ط٥ أكتوبر سنة ٢٠٠٧م.

(٢) ومع هذا السجل الحافل بالإرهاب، يصور الغرب بأجهزة إعلامه الكذوب نفسه كالحمل الوديع ويشكو مر الشكوى ليل نهار من (إرهاب) المسلمين.
هذه التمثيلية المفضوحة تذكرنا برواية جورج أورول (العالم ١٩٨٤ الذي يسخر فيها من الحكومات الاستبدادية التي تتلاعب بالعقول بتغيير أسماء الوزارات بخلاف مهامها القذرة كما سيأتي!

(٣) فتحي رضوان (مع الإنسان في الحرب والسلام) ص٢٥١ ط دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٦م.





وقد رسم اشبنجلر عالم المستقبل -بكل خصائصه- كما يراه هو، فبعد أن كان أستاذه نيتشه يسأل من هم برابرة القرن العشرين؟ أجاب شبنجلر على هذا السؤال قائلاً: (إن الوقت الذى لا مكان فيه للنفوس الرقيقة، والمثاليات الواهنة، قد دنا، بل إنه حلّ بالفعل، وستستيقظ البربرية القديمة التى رقدت فى النفوس، نفوس البشر مختفية ومكبلَّة بالقيود، وما أعنيه بالبرية هو الجنس العام، أو العنصر ذو الطالع الحربى الخالد، طابع الوحش المفترس)[1].

ويبدو من أفكار شبنجلر الدارس للتاريخ الغربى بعناية وشمول، قد سجّل صفات الكذب التى تتسم بها أخلاق الإنسان عندهم، بينما صفات البربرية القديمة راقدة فى النفوس تتحرك فى حالة الصراع بين الأمم.. هذه الصفات تختفى وراء الإعلانات المزيفة عن حقوق الإنسان والحريات.. إلخ..!!

ويؤيد ذلك ما سجله الكاتب الإنجليزى جورج أورول فى روايته المشهورة (العالم سنة ١٩٨٤) إذ أزعجه التحّول الحادث أعقاب الثورة الفرنسية والإنجليزية والأمريكية، فبعد التشدّق بحقوق الإنسان وحرية القول والمساواة أمام القانون وما شابه ذلك.. عادت إلى الوجود عام ١٩٣٠ أعمال كان الناس قد تخلّوا عنها منذ مئات السنين (كالسجن بغير محاكمة واستخدام أسرى الحرب كأرقاء وتنفيذ أحكام الإعدام علنًا، وتعذيب الناس لانتزاع الاعترافات منهم، واستخدام الرهائن، ونفى شعوب بأكملها، ولم تصبح هذه الأعمال شائعة فحسب، بل أصبح الناس ينظرون إليها بتسامح، بل لقد كان بعض المثقفين والتقدميين يدافعون عنها)[2].

---

(١) نفسه ص٢٥٤ والمؤلف يرى أن هذا الفيلسوف يحتل مقامًا عاليًا فى فلسفة التاريخ بين جميع الكتاب فى جميع اللغة.

(٢) جورج أورول (العالم سنة ١٩٨٤) ص٢٧٤ ترجمة شفيق أسعد وعبد الحميد محبوب سلسلة (١٠٠٠ كتاب) مكتبة الأنجلو المصرية، سنة ١٩٥٦م وقد علق الأستاذ أنيس منصور على تلك الرواية حينذاك بقوله (أما روايته هذه فقد تخيل كيف تؤدى السيطرة الإرهابية فى دولة عظمى- روسيا مثلاً- على الفكر والخيال والأحلام وكيف أنها تجيد وضع العيون والإذاعة الإلكترونية فى كل مكان، وهكذا يشعر المواطن أنه سجين، وأن (الأخ الأكبر) أو الدولة أو الحاكم المطلق أو البابا، يرى فيه ليلاً ونهارًا، ويعلم كل صغيرة وكبيرة.. الخ) (جريدة الأهرام بتاريخ ١/ ١/ ١٩٨٥).



ويتهكم جورج أورول على الأسماء التى يطلقها الحكام المستبدون على الوزارات المختلفة وكيف يتلاعبون بالعقول (إن أسماء الوزارات الأربع التى تتحكم فى أمورنا تبدى لونًا من القحة بقلبها المتعمد للحقائق، فوزارة السلم تعنى بشئون الحرب، ووزارة الصدق تخترع الأكاذيب، ووزارة الحب تمارس التعذيب، ووزارة الخير الوفير تولدّ الموت جوعًا)[١]!

إن التأكيد على صفات (طابع الوحش المفترس والبربرية التى وصف بها شبنجر يحمل فى طياته الإرث المتلقى من الرومان.

وقد أصاب الدكتور حامد ربيع -رحمه الله تعالى- فى تصوير طبيعة الحضارة الرومانية، وما تركته من إرث فى حضارة الغرب المعاصرة فوصف الدولة الرومانية بمبادئ ثلاثة: القوة والبطش من جانب، والخديعة والكذب من جانب آخر، ثم الاستعلاء والتعصب من جانب ثالث. . والأوروبى منذ أيامه الأولى إباحى متعصب استفزازى، يأبى إلا أن يستخدم جميع عناصر البطش الحيوانى، وقد صبغها بصورة من المثالية المصنطعة، ثم يمضى قائلاً: (لن نستطيع أن نفهم أوربى اليوم، وغربى الغد، إن لم نعد إلى أجداده الرومان بقسوتهم وعنفهم، فضلاً عن التحلل الأخلاقى الذى صبغ التاريخ الأوربى، قصة صارخة لكل ما يقدمه انحدار الإنسان إلى مرتبة الحيوان من خصائص وصفات، وهذه صفحة أخرى تتوالى فصولها أمام أعيننا فى الأرض العربية باسم الصهيونية السياسية، ليست إلا تعبيراً عن هذه الحقيقة)[٢].

ويمضى ليصوّر لنا حقيقة الحضارة الرومانية التى ليست سوى تأليه للقوة الغاشمة والعنف دون حدود ودون قواعد، وتتضح العنصرية فى قسوة بالغة بإباحته قتل من لا يحمل الجنسية الرومانية دون أدنى مساءلة أو حساب، والعصور الوسطى لم تخرج عن هذه القاعدة، إذ كان كتاب (الأمير) لمؤلفه ميكافيللى هو بمثابة الكتاب المقدس الذى يحمله تحت إبطه كل أمير أوروبى. . . وتاريخ باباوات روما عامر بالقصص الطافحة

---

(١) نفسه.

(٢) د. حامد ربيع (قراءة فكر علماء الإستراتيجية) ص٤٣ دار الوفاء بالمنصورة ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.



بأقذر الممارسات. . وكانت لغة عصر النهضة هى القوة التى تتحول إلى منطق العنصرية، والشعب المختار هو الشعب الأبيض الذى يستأثر بالشعوب الأخرى، وليس لأحد فى الإلوهية السياسية سوى ذلك الرجل الذى يحمل ملامح العنصر الآرى، ومأساة المجتمع الأوربى هى قصة العنصرية التى لا تزال تتوالى فصولها أمام أعيننا. . . ويتساءل الدكتور حامد ربيع (وهل تستطيع الحضارة الغربية أن ترفع عن ضميرها أربع مآسى لم يعرف لها مثيلاً التاريخ الإنسانى: استئصال الهنود الحمر فى القارة الجديدة، ثم استئصال الأهالى الأصليين فى استراليا، واستئصال اليهود فى القارة الأوروبية، ثم استئصال الفلسطينيين من أرض آبائهم)[1]؟!.

ولا تفسير لهذه السلوكيات الإرهابية فى أقسى صورها إلا تطبيقًا للنظرة العنصرية المتعالية التى تبيح أيضًا الاسترقاق للشعوب، وهى متوارثة من أفلاطون وأرسطو الذين يعترفان بأن نظام الرق هو وضع طبيعى، وبأن هناك أفرادًا ولدوا ليكونوا عبيدًا، وآخرين وُلدوا ليتمتعوا بالحرية[2]!.

وأمام تلك الصفات المشينة التى من شأنها جعل الحضارة الغربية تتوارى خجلاً منها. . فإننا نراها تتبجحّ وتتهّم أمتنا وإسلامنا بالإرهاب فصحّ عليها قول الشاعر (رمتنى بدائها وانسلت)[3]!

أما نحن فنفخر بانتمائنا لأمّة قادها سيد الخلق محمد ﷺ الذى وصفه ربه عز وجل: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ ووصف أمته بقوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

إن الإسلام فى وصف جامع مختصر: إنه دين وحضارة، وقد أرسى - مع شريعته الإلهية العادلة -نظامًا راقيًا للقيم صاغه القرآن الكريم كما أن له وظيفة حضارية (إنه دعوة لقيادة الشعوب والارتقاء بالفرد من مستوى التبعية والتخلف والأنانية، إلى

---

(١) نفسه ص٤٦.　　(٢) نفسه ص٥٢.

(٣) ويقول الدكتور أحمد شلبى (ويكفى أن نقتبس من الإحصاءات أن مخزون الغرب من أدوات التدمير يشمل ٥٠٠ رطل من المتفجرات لكل شخص فى العالم!) ص ٣٥٩ من كتابه (صراع الحضارات. .) مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٩٦م.

الأصالة والقدوة والاستعداد للتضحية . . إذ نقل العرب من الجاهلية والهمجية إلى **ذلك النموذج الذى لم تستطع الإنسانية حتى اليوم أن تخلق مثيلاً أو بديلاً له)**!(١)

قال المستشرق اليهودى الشهير برنارد لويس (ظل الإسلام، لما يربو على ألف سنة، المصدر الأوحد للقواعد والمبادئ التى تمثل مجموعة يقبلها الجميع لتنظيم الحياة العامة والحياة الاجتماعية، بل ظلت الأفكار والمواقف السياسية الإسلامية ذات تأثير عميق وواسع المدى حتى فى الفترة التى وصل فيها النفوذ الأوروبى إلى ذروته، فى البلدان التى تحكمها أو تسيطر عليها الدول الإمبريالية . . (٢).

وفى موضع آخر من كتابه (أين الخطأ) يُقرّ بأن حضارة الإسلام كانت يومًا ما **أعظم الحضارات التى شهدها تاريخ البشرية وأكثرها تقدمًا، وأشدها انفتاحًا**(٣) ثم يتنبأ لشعوب الشرق الأوسط . إذا وحدّت طاقاتها وحددت أهدافًا إبداعية مشتركة -أن تعيد الشرق الأوسط مرة أخرى، مركزًا رئيسيًا للحضارة(٤).

استهداف الأقليات المسلمة بالإرهاب:

ويتضح الإرهاب الغربى بصورته المضعّفة إذا استقر أنا واقعات الإبادة للأقليات المسلمة فى أنحاء العالم، تاريخيًا وفى العصر الحديث، وتصوّر لنا الأرقام مدى قسوة هذا الإرهاب بواسطة حضارة تدّعى العلمنة والتعددية والتسامح نفاقًا وكذبًا، بينما هى فى معاملاتها ترفض الآخر رفضًا باتًا، بل تعمل على استئصاله! وعلى سبيل المثال، إن ما حدث فى (الفلبين) كنموذج ففى عام ١٩٧٠ بعد حرب دامت ثلاث سنوات، سقط خلالها نصف مليون شهيد، وهام على وجوههم مائة ألف شريد(٥) وظلت الحكومة

(١) نفسه ص١٠٢/ ١٠٣.

(٢) برنارد لويس (أين الخطأ؟ التأثير الغربى واستجابة المسلمين) ص١٦٦ ترجمة د. محمد عثمانى مكتبة الأسرة سنة ٢٠٠٩م.

(٣) نفسه ص٢٤٩.

(٤) نفسه ص٢٥٠.

(٥) عبد الفتاح عبد المقصود (صليبية إلى الأبد) ص١٨٥ الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٥.
ويقول المؤلف "لا يمكن تصور وقوعه فى النصف الثانى من القرن العشرين. . . وحسبنا الله ونعم الوكيل.



بقيادة ماركوس تتصدى بصورة دموية للمسلمين حتى بلغت حوادث الاغتيال والقتل والعنف أكثر من (٤١٧) حادثة، ولكن النضال بواسطة المسلمين استمر حتى نالت (جزيرة مندناد) الجنوبية معقل الحركة الإسلامية حكمها الذتى الأول عام ١٩٧٧، وبالرغم من ذلك استمرت الاضطهادات بين شعب المورو المسلم والحكومة(١).

وكان المسلمون هناك يقدر عددهم إلى قرن مضى بنحو خمسة ملايين ونصف يمثلون ٥٥٪ من تعداد السكان، ولكنهم هبطوا اليوم إلى حوالى ١٢٪ بعد ما تعرضوا له من إبادة عن طريق الحروب الصريحة مع الإسبان ثم مع الاستعمارين اليابانى والأمريكى.

وظل ماركوس طوال عشرين عامًا من الطغيان يعمل على استئصال شأفة المسلمين، تسانده صليبية عالمية تحمل لواءها اليوم الولايات المتحدة الأمريكية(٢).

وإذا انتقلنا إلى بلد ثان وهى الحبشة لاتضح لنا أن المسلمين هناك ما زالوا يعانون منذ فجر الإسلام حروبًا مَتوالّية سواءً أكانت من الصليبية الحاقدة أو الشيوعية الملحدة أيام الاتحاد السوفيتى... كذلك يختلف وضعهم عن وضع المسلمين فى سائر العالم لأنهم يُضطهدون وهم أغلبية، وقد سلط عليهم الاستعمار العالمى الأقلية المسيحية لتحكمهم ومكنتها من ذلك بوسائل الدمار(٣).. وفى مقاطعة (ولو) بصفة خاصة، (ركز الصليبيون على محاربة هذه المقاطعة العريقة فى الإسلام حروبًا دامت أكثر من ثلاثة قرون حتى أخضعوها بعد أن زودتهم أوروبا بالأسلحة النارية فأجبروا أهلها على الكفر ومثلوا بهم بقطع الأيدى وأثداء النساء)(٤)!

---

(١) حامد سليمان (مسلمون لا تغرب عنهم الشمس) ص٣٨ المكتب العربى للمعارف -مصر الجديدة سنة ١٩٩٠م.

(٢) المستشار الدكتور على جريشة (حاضر العالم الإسلامى) ص١٧٥ مكتبة وهبة بالقاهرة ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

(٣) نفسه ص٢٧٧.

(٤) نفسه ص٢٧٩.



أما مقاطعة (بالى) فقد كان النصر حليفها إذ قام أهلها بالجهاد بقيادة الشيخ صالح حسن وزلزلوا عرش هيلاسلاسى (وأبادت جيشه المسلح من أمريكا بالأسلحة الحديثة الفتاكة)[1].

وأمام مثل هذه الحملات الإرهابية الغربية التى تحاول اغتيال الأقليات الإسلامية فى بلدان العالم، أمام تلك الحملات، **فإنه ينبغى على الحكومات العربية والإسلامية تحمّل مسئولياتها لحماية أولئك المسلمين من الإبادة** (ولنا فى التجربة الأليمة فى البوسنة والهرسك عبرة وعظة) وكذلك اتخاذ الخطوات الضرورية للمحافظة على عقائدهم وشعائرهم بمدّهم بالعلماء والدعاة والمدرسين، والعمل على سد حاجاتهم بإنشاء المدارس والمساجد الكفيلة بتربية النشء تربية إسلامية لإنقاذهم من الضياع. ونجتزئ هنا بضعة أسطر من نداء أبناء مسلمى الحبشة، ووصفوه بأنه نداء حار نابع من قلب مؤلم وضمير جريح إلى أخوان لهم فى العقيدة والدم.. قالوا (أيها الأخوة المسلمون فى كل مكان وزمان: أملنا فيكم كبير وثقتنا فيكم قوية، وأعيننا إليكم طامحة فى أن تقوموا بشىء نحو إخوانكم...

إخواننا، يا من يصفهم الرسول ﷺ بقوله «**مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**» وقال تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِى أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ [الأنفال: ٦١- ٦٣].

هذه من صفات المؤمنين المخلصين التى وصفهم بها نبيهم ﷺ ووصفهم بهم خالقهم عز وجل ولا يكون على خلاف هذه الصفات مؤمن مخلص فهذا نداؤنا وصراخنا إليكم راجين منكم القبول والعطف والحنان على إخوان لكم فقدوا كل مقومات الحياة، ونرجو من الله تعالى أن يوفقكم لهذا، وهو حسبنا ونعم الوكيل)[2].

---

(١) نفسه ص٢٨٥/ ٢٨٦.

(٢) نفسه ص٢٧٦/ ٢٧٧.



أما الحديث عن الاضطهاد الدينى الذى عانى منه المسلمون الويلات فهو يحتاج إلى دراسة مستقلة، يتضح فيها الإرهاب الغربى بصورة بشعة، وإذا قارناها بمعاملة غير المسلمين أيام حكم الخلافة العثمانية لاتضحّ لنا مدى **سماحة الإسلام وعدله فى المعاملات الإنسانية.**

لقد سادت تلك الخلافة كدولة عظمى لقرابة السبعة قرون (من أوائل القرن الثالث عشر إلى بدايات القرن العشرين) وأقامت واحدة من أعظم الحضارات فى تاريخ البشرية، فقد كانت الخلافة متعددة الأعراق والأديان، وكان كل مجتمع دينى فيها يتمتع بكافة حقوقه وبهيكل الحكم الذى يرتضيه، وعلى الرغم من تبعية تلك التجمعات غير المسلمة للمسلمين من حيث الوضع السياسى، فإنها لم تكن تعانى من أدنى قدر من الظلم أو الإذلال والقهر (أى الإرهاب) وذلك عل النقيض تمامًا من تجربة المسلمين مع الغرب (من مثل ما حدث للمسلمين فى إسبانيا بعد سقوطها فى أيدى النصارى، وفى فلسطين المحتلة بعد اغتصابها من الصهاينة، وفى البوسنة والهرسك وكوسوفا ومقدونيا واليونان، وباقى دول البلقان وفى كل من الشيشان وأذربيجان وباقى دول الاتحاد السوفيتى المنهار، وفى العديد غيرها من دول العالم)(١).

•••

(١) د/ زغلول النجار (الإسلام والغرب فى كتابات الغربيين) ص٧٩ ط نهضة مصر ط٥ أكتوبر سنة ٢٠٠٧م.
وأثناء الحرب الطاحنة التى شنّها الصرب على المسلمين كتب الأستاذ محمد عامر رئيس تحرير جريدة الحقيقة يقول:
(بعد أن اتضح أن جزّار الصرب لا يرضى بغير تفريغ كوسوفا من شعبها المسلم وإحلال الصرب محلهم لتكوين دولة صربية كبرى. . صار واجبًا علينا -نحن المسلمين- أن نتحرك لوقف هذا السفاحّ، فكلما ازدادت حدة الضربات فوق رأس الصرب ازدادت وحشية يلوسيفيتيس فى قتل وإبادة المسلمين فى كوسوفا وإجبار الآلاف من الأسر فى الهروب إلى الحدود فى جو لا إنسانى. لقد حق لنا أن نصرخ مع ألبان كوسوفا وامعتصماه!. . . فهل من معتصم ينهض ليمسح دموع هؤلاء الفارين الذى وصل عددهم إلى المليون؟ ليس كافيًا من العالم الإسلامى ومن مصر قلبه النابض أن ترسل إليهم الإمدادات الغذائية. . . من العيب علينا أن يتحرك حلف الناتو لمساندة كوسوفا ونحن جامدون كألواح الثلج. . عيب علينا أن يتحرك بابا الفاتيكان لمساندة كوسوفا. . . بينما لم نفعل شيئًا. خلت خطبة الجمعة من أى حديث عن كوسوفا. . لم نستمع إلى أية حوارات أو أحاديث أو برامج تلفازية أو إذاعية حول مشكلة شعب يباد ونحن صامتون!!



● الفصل الثالث:

تاريخ نشأة الإرهاب وبشاعة جرائمه فى بلاد الغرب

يؤرخ جارودى لتاريخ الإرهاب فيرى أنه لم يتبلور واقعًا إلا فى عام ١٧٩٣ ، وكان ذلك فى عهد الرهبنة فى فرنسا من ١٠/ ٧/ ١٧٩٣ . إلى ٢٧/ ٧/ ١٧٩٤ .

ومنه اشتقت اللغتان الإنجليزية والفرنسية لكلمة الإرهاب (Terrarism) ويقول (فخلال الثورة الفرنسية مارس روبسبير وزمرة معه العنف السياسى على نطاق واسع ، فمن أصل سكان فرنسا البالغ عددهم ٢٧ مليونًا تمكنت تلك المجموعة من قطع رؤوس ٤٠ ألف بواسَطة المقصلة، واعتقال ٣٠٠ ألف آخرين . . أليس هذا هو الإرهاب بعينه؟!

ومع تطور المدنية تطور العمل الإرهابى ، ففى عام ١٩٥٦ اختطفت السلطات الفرنسية طائرة مدنية ترفع العلم المغربى ، وعلى متنها (خمسة) من قادة الثورة الجزائرية ، كانوا فى طريقهم لحضور مؤتمر تحضره الحكومة الفرنسية نفسها ، للبحث عن حل للقضية الجزائرية ، واحتفظت الحكومة الفرنسية بالقادة الخمسة لديها حتى استقلال الجزائر عام ١٩٦٢ ، وكان هذا أول حادث قرصنة تقوم به دولة كبرى . . . أليس هذا هو الإرهاب بعينه؟

وبعد عامين وفى يوم ٣/ ١٠/ ١٩٥٨ نظمت الولايات المتحدة حادث اختطاف طائرة كوبية ، أدى إلى مصرع ١٧ شخصًا ، وخلال الفترة من عام ١٩٦٠ حتى عام ١٩٦٤ تم اختطاف ٤٠ طائرة كوبية ، وكان مختطفوها يُستقبلون فى المطارات الأمريكية «كفاتحين» فقد كانت أمريكا تريد تجريد كوبا (كاسترو) من أسطولها الجوى ، أليس هذا هو الإرهاب بعينه؟!

وفى عام ١٩٦٨ قامت إسرائيل بغارة على مطار بيروت الدولى فدمرت وأحرقت



جميع طائرات الأسطول الجوى المدنى اللبنانى وعددها ١٣ طائرة. . . أليس هذا هو الإرهاب بعينه؟!

وأصبح «مناحين بيجن» رئيسًا لحكومة إسرائيل وهو الذى ارتكب مذبحة دير ياسين فى ٩/ ٤/ ١٩٤٨ برغم أنه إن مطلوبًا للقضاء البريطانى بتهمة تفجير فندق الملك داود فى القدس (١٩٤٦) والذى ذهب ضحيته ٢٠٠ شخصًا بين قتيل وجريح، أليس هذا هو الإرهاب بعينه؟! وإسحاق شامير الذى ترأس الفريق الذى اغتال مبعوث الأمم المتحدة «الكونت برنادوت» فى ١٧/ ٩/ ١٩٤٨ وأصبح رئيسًا للحكومة ووزيرًا للخارجية، أليس هذا هو الإرهاب بعينه؟!

وفى النهاية يطالب جارودى بمراجعة الملف الأسود لزعماء إسرائيل، ويعلّق على ذلك بقوله (ومع كل هذا نجد أن «ضحية الإرهاب الدولى» ويقصد به (الإسلام) هو المتهم بأنه الإرهابى الأول، وبأنه المصدر الأساسى للفكر الإرهابى! ثم يعلن فى النهاية ساخرًا (**أليس صحيحًا أن الفاسق يكون أكثر بلاغة عندما يتحدث عن العفة**)(١)؟!

ويرى أن محاربة الإرهاب ليست حربًا عسكرية فحسب، بل حرب «**ثقافية**» فى المقام الأول. . ويتحدثون عن أن حرب الإرهاب يجب أن تمتد إلى تجفيف المنابع، وهم **يقصدون بذلك محاولة القضاء على الفكر الإسلامى وأصوله، فقد وضعوا كل المسلمين فى قارب واحد وعقدوا العزم على إغراقه**.. أو حرقه، **والله غالب على أمره**[٢].

وكذلك يستعرض الدكتور جلال أمين كلمة «الإرهاب» تاريخيًا، وكيف تحول استخدامها من وصف الحكم الديكتاتورى، فيقال إنه يقوم على نشر الإرهاب، أى تخويف الناس لتسهيل مهمة حكمهم، فأطلق الاسم على أعمال حكومة اليعاقبة فى

(١) قراءة فى فكر علماء الإستراتيجية . . جارودى ينذّر ويحذّر) ص١٣١، ١٣٤ دار الوفاء بالمنصورة ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

(٢) د. جلال أمين (عولمة القهر: الولايات المتحدة والعرب والمسلمين قبل وبعد أحداث سبتمبر سنة ٢٠٠١) ص١٠١ دار الشروق بالقاهرة ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.



أعقاب الثورة الفرنسية، ووُصفت بالإرهاب حكومة فرانكو فى إسبانيا وحكومة ستالين فى روسيا. . إلخ (أما أن تقوم حفنة من الأفراد أو جماعة من الناس (بإرهاب) حكومتهم أو أى حكومة أخرى، فكان أمرًا نادر الحديث ولا يخطر كثيرًا بالبال). . . ثم يستشهد بنماذج من التاريخ المعاصر كمجموعة الشباب المصريين الذين قاموا بمهاجمة الإنجليز بمنطقة قناة السويس ٥١/ ١٩٥٢ لإقلاق مضاجعهم وزرع الخوف فى قلوبهم أملاً فى أن يدفعهم ذلك إلى الجلاء من مصر، وكانوا يعرضون أنفسهم للأخطار البالغة، ويسمونّ -حتى بواسطة الإنجليز- بالفدائيين وقام بنفس الدور الفدائيون الفلسطينيون لمفاجأة اليهود بتفجير قنبلة فى جنودهم أو إطلاق الرصاص عليهم (وفى أعقاب الهجوم الإسرائيلى سنة ١٩٦٥ كان هؤلاء أيضًا **يسمون بالفدائيين** لنفس السبب. وكانت إسرائيل تسميهم أيضًا بنفس الاسم)[١].

وبعد هذا العرض الموجز، يتساءل الدكتور جلال أمين متعجبًا: كيف انقلبت الأمور هكذا بشكل مغاير تمامًا للحقيقة، فأصبح الفدائى **يسمى إرهابيًا والدولة الإرهابية تُسمى دولة محبة للسلام؟!**

وفى تفسير هذه الظاهرة المثيرة للعجب أنه عندما انهار الاتحاد السوفيتى أدركت الولايات المتحدة ضرورة تخويف الشعب الأمريكى بعدوّ جديد يحل محل محله، حتى يصبح من الممكن تبرير الإنفاق على السلاح، وتخويف الشعوب الحليفة أيضًا فى العالم الصناعى نفسه -وعلى الأخص أوروبا- لتبرير إنفاقها بدورها على السلاح ولتبرير إقامة قواعد أمريكية بحجة قدرتها على حمايتها، واختراع هذا العدو ضرورى أيضًا لتحويل جزء لا يستهان به من ثروات العالم الثالث -كالدول العربية- لدعم الاقتصاد الأمريكى. . لذلك كله اهتدى الأمريكيون إلى اختراع هذا العدو الخطير (الإرهاب) وهو ما ثبت أنه ملائم جدًا أيضًا لإسرائيل وهو معنى مجرد لا ينحسب على شخص معين أو على دولة بعينها. ثم يقول مستطردًا (إذن فوصول الأمر إلى حد إعلان أن العدو الجديد هو «الإرهاب» هكذا دون حاجة إلى وصف ملامحه أو تحديد

---

(١) نفسه ص١٠١.





مكانه، وإلى حد أن يكون باستطاعة رئيس دولة كبيرة أن يقف ليقول بملء شدقيه إن عدونا اللدود الآن هو «الإرهاب» وأن يعلن الحرب عليه، ويتوقع أن يقدموا له الدعم والتأييد، أن يصل الأمر إلى هذا الحد، فهو الدليل الأكيد على حجم الهوة التى تدهورنا إليها من حيث غسيل المخ واللعب بعقول الناس، وعلى مدى التقدم الذى حققته وسائل (الإعلام فى ميدان الإرهاب بالكلمات)[1].

ونعتقد أنه أصاب كبد الحقيقة بهذا التفسير المنطقى الذى يؤكده الواقع، وتشهد به المكانة التى احتلها الإعلام فى نفوس الجماهير وعقولها وأصبحت كتأثير السحر، بينما تعتمد فى الأغلب على ترديد الأكاذيب التى لا تمل من تكرارها عملاً بمقولة (جوبلز) وزير الدعاية المشهور فى حكومة (هتلر) النازى (وأظل أكذب حتى يصدقنى الناس)! وجاءت وسائل الإعلام فحولّت عمليات غسيل المخً من شىء كريه إلى شىء جميل بأن أطلقت على نفسها اسم (الإعلام) ويقول الدكتور جلال أمين (وقد قبلنا نحن بسذاجة هذا الاسم لمجرد كثرة ترديده. وقبلنا أن يكون لهذا «الإعلام وزارة تعرف باسمه، بل ولم نجد غضاضة فى أن يُعامل كعلم يدرس فى الجامعات فى كلية تعرف باسمه أيضًا. ها هو إذن شىء كريه «غسيل المخ» يعامل وكأنه شىء جميل، بمجرد تغيير اسمه إلى «إعلام»)[2].

وللتحذير أيضًا من أثر الإعلام المدمّر، فقد نادى الفيلسوف الفرنسى رجاء جارودى بضرورة إعادة بقاء النسيج الاجتماعى فى معركة شاملة من أجل اقتصاد ذى وجه إنسانى يتيح التذكير بالأهداف النهائية الإنسانية (فى مواجهة المنطق الأعمى والقاتل للسوق والمصالح المادية)[3].

ويشترط لنجاح هذه المعركة التحرر أولاً من أجهزة الإعلام التى يسيطر عليها رأس المال مما أدى إلى أخطر أنواع الاحتلال، وهو يسميه (الاحتلال الخفىّ) للإنسان عن طريق «تشويش» الأفكار، الذى عشعش فى العقول والقلوب وهو احتلال ساحق..

---

(١) نفسه ص١٠٣.

(٢) نفسه ص٩٩.

(٣) جارودى (حفّارة القبور "الحضارة التى تحفر للإنسانية قبرها) ص١٤٢ دار الشروق بمصر ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

ويرى ضرورة مواجهة (شياطين) الإعلام والتأثير المخدر لشاشة التليفزيون الذى دأب على إبراز الشخصيات الخفية وتسطيح الأحداث، وتحقيق (التكييف) السياسى لكل الأنظمة الديكتاتورية، ويضرب على ذلك مثالاً بقوله (تملك إحدى محطات التلفزيون أن تمد وتطيل الحديث حول غرق طفلة صغيرة بطريقة شديدة الإثارة وسادية، لكنها **تصمت تمامًا على آلاف المدنيين والجنود العراقيين الذين دُفنوا أحياءً بعتاد شوارسكوف الآلى، مثل هذا قادر على تدمير كل «رأى عام» حقيقى**[1].

ويسمى جارودى الإعلام أيضًا (بالسلطة الأولى) الذى يخدم النخبة أولاً الأرستقراطية) القائمة على الهيمنة، هيمنة عسكرية وهيمنة اقتصادية: يعنى فى الحالتين علاقة قوة -أو إرهاب- وتبعية. إنه يشفق على الشعوب بالعالم الثالث من السحق الرأسمالى، ويحذّر من الفساد الشامل للسلطة والأقوياء الذى سيؤدى إلى الدمار، إذ يؤكد الله تعالى ذلك فى القرآن الكريم بقوله: ﴿ **إِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً** ﴾ [الإسراء: ١٦][2].

صلة الحروب الصليبية بالإرهاب الغربى:

استخلص المهتدى للإسلام الأستاذ محمد أسد (ليوبولد فايس) من دراسته المقارنة بين الحضارتين الإسلامية والغربية والعلاقة بينهما، استخلص نتيجة مؤداها أن روح الحروب الصليبية - (ما زال يتسكع فوق أوروبا، ولا تزال مدنيتها تقف من العالم الإسلامى موقفًا يحمل آثارًا واضحة لذلك الشبح المستميت فى القتال)[1] ومن صنعها يقرر أن الحروب الصليبية هى التى عينت فى المقام الأول والمقام الأهم موقف أوروبا من الإسلام لبضعة قرون تتلو، وتفسيره لهذه الظاهرة أن تلك الحروب حدثت فى أثناء طفولة أوروبا، فى العهد الذى كانت فيه الخصائص الثقافية الخاصة قد أخذت تعرض نفسها، وكانت لا تزال فى طور تشكلها، والشعوب كالأفراد، إذا اعتبرنا أن المؤثرات العنيفة التى تحدث فى أوائل الطفولة تظل مستمرّة ظاهرًا أو باطنًا مدى الحياة التالية. وتظل تلك المؤثرات محفورة حفرًا عميقًا، حتى أنه لا يمكن

---

(١) نفسه ص١٣٣.

(٢) نفسه ص١٤٧.



للتجارب العقلية في الدور المتأخر من الحياة، والمتسم بالتفكير أكثر من اتسامه بالعاطفة أن تمحوها إلا بصعوبة، ثم يندر أن تزول آثارها تمامًا، وهكذا كان شأن الحروب الصليبية، فإنها أحدثت أثرًا من أعمق الآثار وأبقاها في نفسية الشعب الأوروبي . . ولقد اتفق في ذلك الحين، وللمرة الأولى في التاريخ، أن أوروبا أدركت في نفسها وحدة -ولكنها وحدة في وجه العالم الإسلامي. ويمكننا أن نقول، من غير أن نوغل في المبالغة أن أوروبا ولدت من روح الحروب الصليبية . لقد كان ثمت قبل ذلك الزمن انكلو سكسون وجرمان وفرنسيون ونورمان وإيطاليون ودنماركيون وسلاف، ولكن في أثناء الحروب الصليبية، وُلدت فكرة المدنية الغربية، وأصبحت هدفًا واحدًا تسعى إليه جميع الشعوب الأوروبية على السواء. وكانت **تلك المدنيّة الغربية عدوة للإسلام**)[1] .

وفي بحثه عن العلاقة بين أوروبا الحديثة وتاريخها يقرراّنها قائمة في أساسها على المدينة الرومانية الوثنية، وفي رأيه أنها لم تأخذ من النصرانية سوى الطلاء الخارجي فحسب، إذ لا تزال المدنية الأوروبية في واقعها وثنية مادية لا تؤمن بغير القوة، من أجل ذلك يقرر أن هناك فرقًا عظيمًا بينها وبين الإسلام الذي بُني على الروح والأخلاق والمثل العليا، تلك الأسس التي خلقت في الإسلام مناعة ذاتية جبارة، ثم يستطرد قائلاً: ولا ريب في أن هذه الحقيقة الثمينة قد انكشفت لغلادستون -وزير بريطانيا الأول وأحد موطدي أركان الإمبراطورية في الشرق -حين قال «ما دام هذا القرآن موجودًا فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق، ولا أن تكون هي نفسها في أمان»[2] .

ويقول محمد إبراهيم مبروك:

(ترى ما الذي حدث عندما احتل الصليبيون (الغربيون) بيت المقدس؟ إن المقارنة هنا بالغة الأهمية بين هذا الذي حدث والذي حدث بعد أن استرد صلاح الدين بيت المقدس بعد ذلك.

(١) محمد أسد (الإسلام على مفترق الطرق) ص٥٥/ ٥٦ .
ترجمة د. عمر فروخ ط٨ ص, ١٩٧٤ دار العلم للملايين/ بيروت .
(٢) نفسه ص٤١ .



والمؤرخون الغربيون أنفسهم هم الذين يهتمون بعقد هذه المقارنة، وسأخذ هذا بشهادتين من أهم هؤلاء المؤرخين الغربيين: هما: ول ديورانت وهـ. جـ. ويلز. أما ديورانت فيذكر التالى:

يقول القس ريمند الإجيلى شاهد العيان:

وشاهدنا أشياء عجيبة، إذ قُطعت رؤوس عدد كبير من المسلمين وقتل غيرهم رميًا بالسهام أو أرغموا أن يلقوا بأنفسهم من فوق الأبراج، وظل بعضهم الآخر يعذبون عدة أيام ثم أحرقوا بالنار، وكنت ترى فى الشوارع أكوام الرؤوس والأيدى والأقدام، وكان الإنسان أينما سار فوق جواده يسير بين جثث الرجال والخيل... [١].

ويروى غيره من المعاصرين تفاصيل أدق من هذه وأوفى، فيقولون إن النساء كنّ يُقتلن طعنًا بالسيوف والحراب، والأطفال الرضّع يُختطفون من أثداء أمهاتهم ويُقذف بهم من فوق الأسوار، أو تُهشّم رؤوسهم بدقّها بالعمد، وذُبح السبعون ألفًا من المسلمين الذين بقوا فى المدينة. أما اليهود الذين بقوا أحياءً، فقد سيقوا إلى كنيسة، وأشعلت فيهم النار وهم أحياء[٢].

أمّا هـ. جـ. ويلز فيقول:

(كانت المذبحة رهيبة، وكان دم المقهورين يجرى فى الشوارع حتى لقد كان الرجال يصيبهم رشاش الدم وهم ركوب، وعندما أرخى الليل سدوله، جاء الصليبيون وهم يبكون من فرط الفرح إلى الناقوس المقدس بعد خوضهم فيما أريق من دم سال كالخمر من معصرة العنب. ورفعوا جميعًا أيديهم الملطخة بالدماء يصلون شكرًا لله)[٣].

أما الذى حدث بالنسبة للمسيحيين الشرقيين أنفسهم إبان حكم الصليبيين على مملكة بيت المقدس فيذكر ديورانت عن ذلك (**أخذ سكان البلاد المسيحيين ينظرون بعين الحسرة إلى حكم المسلمين ويعدونه من العصور الذهبية التى مرت بالبلاد**)[٤].

---

(١) محمد إبراهيم مبروك (الإسلام والغرب الأمريكى)، بين حتمية الصدام وإمكانية الحوار، مركز الحضارة العربية بالقاهرة الحوار) ص١٢٧ سنة ٢٠٠٢م.

(٢) نقلاً عن قصة الحضارة مج٨ ج١، ص٢٥.

(٣) نفسه ص٢٧.

(٤) نفسه ص١٢٧.

ومقارنة بما فعله الصليبيون بعد استيلائهم على القدس يصف وول ديورانت ما فعله صلاح الدين بعد استرداده لها فيقول (ولما اقترب من بيت المقدس خرج إليه أعيانها يعرضون عليه الصلح، فقال لهم إنه يعتقد كما يعتقدون هم إن هذه المدينة بيت الله، وإنه لا يرضيه أن يحاصرها أو يهاجمها، وعرض على أهلها أن تكون لهم الحرية الكاملة في تحصينها، وأن يزرعوا ما حولها من الأرض ما بعد أسوارها بخمسة عشر ميلاً دون أن يقف أحد في سبيلهم، ووعدهم بأن يسد كل ما ينقصهم من المال والطعام إلى يوم عيد العنصرة، فإذا حل هذا اليوم ورأوا أن هناك أملاً في إنقاذهم، كان لهم أن يحتفظوا بالمدينة، ويقاوموا المحاصرين مقاومة شريفة، أما إذا لم يكن لهم أمل في هذه المعونة فإن عليهم أن يستسلموا من غير قتال، وتعهد في هذه الحالة أن يحافظ على أرواح السكان المسيحيين وأموالهم، ورفض المندوبون هذا العرض، قالوا إنهم لن يسلموا المدينة التي مات فيها المسيح منقذ الخلق. ولم يطل حصار المدينة أكثر من اثنى عشر يومًا، ولما أن استسلمت بعدها فرض صلاح الدين على أهلها فدية قدرها عشر قطع من الذهب عن كل رجل، وخمس قطع عن كل امرأة وقطعة واحدة من كل طفل، أما فقراء أهلها البالغ عددهم سبعة آلاف فقد وعد بإطلاق سراحهم إذا أدوا إليه الثلاثين ألف بيزانت (٢٧٠,٠٠٠ ريال أمريكي) التي بعث بها هنري الثاني ملك إنجلترا إلى فرسان المستشفى.

وقبلت المدينة هذه الشروط «بالشكر والنحيب» على حد قول أحد الأخباريين المسيحيين، ولعل بعض العارفين من المسيحيين قد وازنوا بين هذه الحوادث وبين ما جرى في عام ١٠٩٩، وطلب العادل أخو صلاح الدين أن يهدى إليه ألف عبد من الفقراء الذين بقوا من غير فداء، فلما أُجيب إلى طلبه أعتقهم جميعًا. وطلب باليان زعيم المقاومة المسيحيين هدية مثلها، وأجيب إلى طلبه، وأعتق ألفًا آخرين، وحذا حذوه المطران المسيحي وفعل ما فعل صاحبه، وقال صلاح الدين، إن أخاه قد أدى الصدقة عن نفسه، وإن المطران وباليان قد تصدّق عن نفسيهما، وإنه يفعل فعلهما، ثم أعتق كل من لم يستطع أداء الفدية من كبار السن، ويلوح أن نحو خمسة عشر ألفًا من الأسرى المسيحيين بقوا بعدئذ من غير فداء فكانوا أرقّاء، وكان ممن افتدوا زوجات



وبنات النبلاء الذين قتلوا وأسروا فى واقعة حطين، ورق قلب صلاح الدين لدموع أولئك النساء والبنات فأطلق سراح من كان فى أسر المسلمين من أزواجهن وآبائهن (ومن بينهم جاى) أما النساء والبنات اللائى قتل أزواجهن وآباءهن فقد وزع عليهم من ماله الخاص ما أطلق ألسنتهن بحمد الله، وبالثناء على ما عاملهن به صلاح الدين من معاملة رحيمة نبيلة . . .

وأقسم الملك والنبلاء الذين أطلق سراحهم ألا يحملوا السلاح ضده مرة أخرى، ولكنهم ما كادوا يشعرون بالأمن فى طرابلس وأنطاكية المسيحيين حتى أحلهما رجال الدين من يمينهما المغلظة، وأخذوا يديرون الخطط للثأر من صلاح الدين)[1].

ترى كيف يصور المؤرخون الغربيون أنفسهم أفعال صلاح الدين فى مقابل الأفعال الشائنة للقادة الصليبيين؟ . . يقول ديورانث فى ذلك "كان صلاح الدين متمسكًا بدينه إلى أبعد حد، وأجاز لنفسه أن يقسو أشد القسوة على فرسان المعبد والمستشفى (قضى فيليب الرابع ملك فرنسا على فرسان المعبد فى أوائل القرن الرابع عشر بعد اتهامهم بأبشع التهم الأخلاقية) ولكنه كان فى العادة شفيقًا على الضعفاء، رحيمًا بالمغلوبين، يسمو على أعدائه فى وفائه بوعده سموًا جعل المؤرخين المسيحيين (المضللين بالمعلومات المغلوطة على الإسلام) يعجبون كيف يخلّف الدين الإسلامى (الخاطئ فى ظنهم) رجلاً يصل فى العظمة إلى هذا الحد، وكان يعامل خدمه أرق معاملة، ويستمع بنفسه إلى مطالب الشعب جميعها وكانت قيمة المال عنده لا تزيد على قيمة التراب ولم يترك فى خزانته الخاصة بعد موته إلا دينارًا واحدًا)[2].

هذا، وقد خصّص د/ مراد هوفمان بدوره فى كتابه (الإسلام فى الألفية الثالثة) فصلاً لدراسة تاريخ العلاقة بين الشرق والغرب، بدأه منذ تجربة الحروب الصليبية مع

(١) نفسه ص١٢٩/ ١٣٠ نقلاً عن قصة الحضارة مج٨ ج١ ص٣٧/ ٣٨.
(٢) نفسه ص١٣١ نقلاً عن دل ديورانت، قصة الحضارة مج٨ ج١ ص٤٤-٤٥.



الشرق المسلم، إذ كان صدمةً تبعتها نتائج عديدة، إذ عندما وصل الصليبيون إلى المدينة المقدسة عام ١٠٩٩، سالت حمامات دماء أهلها بشكل وحشيّ لا يمكن تخيله حتى يومنا هذا! أما فى عامى ١٤٠٣/ ١٤٠٤ فنهبوا مدينة القسطنطينية وعاثوا فيها فساداً.. لذلك تركت الحروب الصليبية فى الغرب ذكرى مؤلمة تجوب فى مخيلة أهله، ويرى أن إدوارد سعيد أصاب فى تحليله النفسى القائل بأن الصورة الغربية للشرق هى فى جزء منها نتيجة لانعكاس رغبات وإسقاطات لا يعترف الغرب بأنه يكنها فى نفسه ويشعر بها[1]. (ونرى منها الاتهام بالإرهاب الذى هو صانعه)!

ويرى الدكتور مراد هوفمان أيضًا أن كابوس الاحتلال العسكرى فى العصور الحديثة حمل معه فى نفوس الشرق اليقين بأن الحروب الصليبية لا تزال مستمرة بشكل دنيوى إلى يومنا هذا، حتى وإن لم يظهر الصليبيون اليوم بدروعهم الحربية، بل فى بدلة رجال الأعمال.

ولكن لم يفته أيضًا التذكير بحرب البوسنة ومعارك إبادة مسلمى وألبان كوسوفا التى وصفها بأنها كانت حربًا دينية من وجهة نظر الصرب واليونان.. إنها حروب صليبية متأخرة للقضاء على آخر الآثار الإسلامية فى البلقان مؤكدًا أنه يحظر فى البلدين بناء مساجد[2].

وإذا تعمقنا فى نسق الفكر الحتمى لفوكوياما واستراتيجيات استبعاد الإسلام التى يتبناها هنتجيون فى عصرنا الراهن لتبيَّن أنه يشبه الوضع أيام الصليبيين حيث يرى الغرب أن من واجبه أن يرتبط باقى العالم به ويتبعه طبقًا للمقولة الساخرة (The West.. and the rest)، ولذلك يبعث هذا التفكير الخوف فى نفوس المسلمين، حيث يمثل لهم خطر تهميشهم أو حتى استبعادهم من منظومة العالم (ونضيف: ولو بالقوة العسكرية بذريعة القضاء على الإرهاب)!

---

(١) د. مراد هوفمان (الإسلام فى الألفية الثالثة، ديانة فى صعود) ص٧٢ ترجمة عادل المعلم ويس إبراهيم مكتبة الشروق ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

(٢) نفسه ص٧٣.



كذلك يحمِّل دامراد هوفمان المستشرقين مسئولية حجب معرفة الغرب الحقيقية بالإسلام بسبب أحكامهم المنحازة المسبقة ضد الإسلام وحضارته، إذ صوّروه بصورة مشوّهة ومنفرّة، ولقد خدموا مصالح القوى الاستعمارية، مثلهم مثل شخصية لورانس العرب الشهيرة الذى خدم الاستعمار البريطانى فى القرن الماضى[1].

وقد فات الدكتور مراد هوفمان ذكر أكبر مستشرق يهودى معاصر، وهو برنارد لويس الذى يوجّه صنّاع السياسة الأمريكية الحاليين، إذْ يقول فى أسلوب مراوغ (والسؤال الأساسى الذى يشغل صانعى السياسة فى الغرب فى الوقت الحاضر يمكن أن يُصاغ ببساطة على النحو التالى: هل يعتبر الإسلام، سواء كان أصوليًا أو غير ذلك، تهديدًا للغرب؟ وقد أُجيب على هذا السؤال البسيط بإجابات بسيطة متعددة ولكن معظمها مضلل. فوفقًا لما تراه إحدى المدارس الفكرية أنه بعد انهيار الاتحاد السوفيتى والحركة الشيوعية، حلّ الإسلام والأصولية الإسلامية محلهمّا باعتبارهما التهديد الأكبر للغرب ولأسلوب الحياة الغربى. ووفقًا لما تراه مدرسة فكرية أخرى، فإن المسلمين أناس محترمون فى الأساس ومحبّون للسلام وأتقياء، وإنْ كان البعض منهم قد تعرّض لأكثر مما يحتمل بسبب المآسى العديدة التى ألحقناها نحن الغربيون بهم. وقد اخترنا أن ننظر إليهم كأعداء لأننا نحتاج سيكولوجيًا إلى عدوّ يحل محل الاتحاد السوفييتى المنهار)[2].

وقد نشط هذا المستشرق عامى ٢٠٠١ و ٢٠٠٢ فى إلقاء المحاضرات وكتابة المقالات، ثم نشرها بكتاب بعنوان (أزمة الإسلام، حرب مقدّسة وإرهاب غير مقدس) ليزرع فى أذهان قرائه وسامعيه أن ما حدث فى ١١ سبتمبر ليس غريبًا، بل يعبّر عن جوهر الإسلام والمسلمين[3]!

---

(١) نفسه ص٧٤/ ٧٥ باختصار.

(٢) برنارد لويس (الإسلام وأزمة العصر -حرب مقدسة وإرهاب غير مقدس) ص٧١ ترجمة أحمد هيكل تقديم ودراسة رءوف عباس مكتبة الأسرة ٢٠٠٤م.

(٣) نفسه ص١٥.

وقد دحض الأستاذ رءوف عباس افتراءاته متبعًا منهجًا علميًا يتلخص فى الاعتماد على بعض مؤلفات المستشرقين المشهود لهم بالتعمق فى فهم الإسلام، وأهله، وثقافته ومعرفة مصادر دراسته، فجاءت أحكامهم صائبة، وفضحت آراء برنارد لويس الطافحة بعداوة الإسلام وأهله.

وكان من ضمن ما قاله الأستاذ رءوف عباس فى تقديمه للكتاب قوله: (إن كتاب لويس لا يعبر عن «أزمة الإسلام ولكنه يعبّر عن أزمة الضمير» عند برنارد لويس وبطانته من الصهاينة الذين يتحكمّون فى حقل دراسات الشرق الأوسط فى الولايات المتحدة الأمريكية، ويوجهون صنّاع السياسات الاستعمارية الجديدة للهيمنة على الوطن العربى، لذلك يجب علينا أن نتبنّى مشروعًا ثقافيًا إعلاميًا لمواجهة هذا الخطر الذى يهدد بلادنا فى الحاضر والمستقبل)(١).

وإنى أشاركه الرأى، وأرجو أن يُطبق مشروعه لإنقاذنا من المخططات التى تُحاك لنا فى الظلام، ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٢١].

مجازر الصليبيين بمدينة القدس:

بكتابها (القدس: مدينة واحدة عقائد ثلاث) توسعت أرمسترونج عالمة الأديان فى دراسة الحروب الصليبية، وكانت موضوعية عند المقارنة بين الطابع الدموى الإرهابى لتلك الحروب بالمقارنة بعدل صلاح الدين فى معاملة أعدائه الصليبيين.

ويتضح الحقد الصليبى لتلك الحروب وطابعها العدائى للإسلام والمسلمين منذ التصريح المعلن من البابا أربان الثانى الذى طالب فيه فرسان الحملة أن يحرروا إخوانهم المسيحيين فى الأناضول من عبودية الكفرة وأن (يسيروا إلى اورشليم ليحرّروا مقبرة المسيح من الإسلام، وبهذا يعم السلام أوروبا وتندلع «حرب الرب» فى الشرق الأدنى)(٢).

(١) نفسه ص٢٩.

(١) كارين أرمسترونج (القدس: مدينة واحدة عقائد ثلاث) ص٤٤٩ ترجمة د. فاطمة نصر ود. محمد عثمان ط سطور بالقاهرة ١٩٩٨ والكتاب يقع فى نحو ٧٠٠ صفحة من القطع الكبير.

ويحسم قضية الاختلاف بين الدارسين للحروب الصليبية وهل كان دافعها دينى أم استعمارى واقتصادى، إذ يتضح من متابعة تلك الحروب أنها صليبية عدائية فى المقام الأول وظهرت الأهداف الأخرى بالتبعية.





وقد نقلت روايات شهود عيان للمجازر التى ارتكبها الجنود الذين حاصروا القدس ثم اقتحموها (ولمدة أيام ثلاثة قام الصليبيون بانتظام بذبح ما يقرب من ثلاثين ألفًا من سكان المدينة. وطبقًا لما رواه مؤلف أعمال الفرنجة فقد (قتلوا كل المسلمين والأتراك، لقد قتلوا كل شخص ذكرًا أو أنثى وتم بعد ذلك ذبح المسلمين الألف الذين التجئوا إلى سطح المسجد الأقصى، وحوصر اليهود فى معبدهم وقُتلوا بالسيوف حتى لم يتبق منهم أى أحياء تقريبًا... **وتدفقت الدماء فى الشوارع حقيقة لا مجازًا**، وكما يقول شاهد العيان ريمون الأجويلى "كان بالإمكان رؤية أكوام الرؤوس والأيدى والأرجل.

ولكن لم يشعر ذلك الشاهد بالخزى، فقد قال أيضًا «إننى وإن قلت الحقيقة فستتعدى جميع قدرتكم على التصديق.. فقد ركب الرجال، على الأقل فى المعبد ورواق سليمان، **والدماء تصل إلى ركبهم وألجمة خيولهم**. وكان ذلك فى الواقع حكمًا إلهيًا عادلاً رائعًا قضى أن يمتلئ ذلك المكان الذى عانى طويلاً من كُفر الكفرة بدمائهم وتم تطهير المدينة المقدسة من المسلمين واليهود كما تطهر من الهوام)[1].

وخلال السنوات العشر التالية أتم ثلاثة من ذوى العلم من الرهبان وهم جيوبرت النوجنتى، وروبرت الراهب، وبلدريك البورجيلى وصفهم للحملة الأولى الذى أقروا فيه بالورع القتالى للصليبيين!

وعلقت المؤلفة على ذلك بقولها (ومنذ تلك اللحظة سيظل ينظر للمسلمين فى الغرب، والذين كانوا من قبل يُنظر إليهم بعدم اكتراث نسبى على أنهم جنس كريه شرير غريب بشكل كلى عن الربِّ، **ولا يصلح معه سوى الإبادة!**

كما نظر للحملة على أنها فعل إلهى يماثل خروج الإسرائيليين من مصر، وأصبح الفرنجة الآن شعب الله المختار الجديد، لأنهم حملوا الرسالة التى أضاعها اليهود.

كما ادّعى الراهب روبرت ادعاءً غريبًا يثير الدهشة، مفاده أن غزو الصليبيين لأورشليم هو أعظم أحداث التاريخ منذ الصلب)[2]!

(١) نفسه ص٤٥٣/ ٤٥٤.

(٢) نفسه ص٤٥٤.



وقبل الانتقال لوصف المجازر الوحشية التى ارتكبها الصربيون، نتوقف لنسجل أمرًا غريبًا يثير الدهشة بل الامتعاض والتقزز، وذلك باستخدام كلمة (الإبادة) وهى تعنى السحق، ولها دلالة تفوق فى بشاعتها الإجرامية وصف (الإرهاب).

وكانت (الإبادة) أيضًا هدفًا لليهود عندما اغتصبوا أرض فلسطين فلم يقدّروا سماحة المسلمين فى التعامل معهم عندما عاشوا فى أمن وسلام أيام الخلافة الإسلامية فقد عانى الفلسطينيون من المذابح ما عانوا وفقدوا وطنهم (وأزيلوا من على الخريطة كما أنهم قد عانوا من الإبادة)[1] ومن العجب أنهم -أى اليهود- وهم ضحايا أوروبا قد ألحقوا الضرر القاتل بشعب آخر[2] لا ذنب له مما عانوه!

وإذا عللّنا العداء المستكن فى القلوب بأنه متوارث من الحروب الصليبية فإننا لا نتعدى قول الحق، إذا لاحظنا أيضًا استخدام وسيلة (الإبادة)[3] التى تقشعر لها الأبدان عندما نطابقها مما حدث من مجازر ملأت شوارع القدس بالدماء كما نقلنا عن أرمسترونج، وتتجدد انفعالاتنا بمرارة عندما نجد نفس غرض الإبادة يظهر فى العصر الحديث -عصر حضارة الغرب الديمقراطى الساعى لتأكيد حقوق الإنسان! ولكن باستخدام وصف آخر هو (الاستئصال):

يصف الدكتور مراد هوفمان -رحمه الله تعالى- حرب البوسنة والهرسك بقوله: (أعلن المسئولون الصربيون، والإعلام الصربى، والكنيسة الصربية، كذلك الإعلام اليونانى بصراحة ووضح هدف حرب البلقان ١٩٩٢- ١٩٩٥: **وهو استئصال الجيب الأخير للمسلمين فى أوروبا، ليس أكثر ولا أقل)**[4]! والاستئصال مرادف للإبادة!

وقد ذيل المترجم الأستاذ عادل المعلم على مضمون تلك الصفحة (١٦٠ من الكتاب) بتعليقين مناسبين: أحدهما: خلال مأساة البوسنة، تبنى الإعلام اليونانى

(١)(٢) نفسه ص٦٣٣/ ٦٣٤.

(٣) مع الاستناد إلى نص دينى يقول الشيخ محمد الغزالى (أن **العهد القديم** يوصى بحرب الإبادة، الإبادة التى لا تبقى فى ديار الأعداء إنسانًا ولا حيوانًا) آلاف سنة!

(٤) مراد هوفمان (الإسلام كبديل) ص١٦٠ ترجمة عادل المعلم مكتبة الشروق الدولية بالقاهرة ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.





قضية عدم السماح بإقامة دولة مسلمة فى أوروبا، وبعد أن قتل الصرب مائتى ألف مسلم، دعت اليونان بطرس غالى لتسليمه جائزة قدرها ٢٠٠٠٠٠ دولار!

الثانى: كذلك تحتفل فرنسا بمعركة بواتيه التى هزم فيها شارل مارتل قوات المسلمين المنطلقة من الأندلس، وكانت تلك المعركة (١١٤هـ- ٧٣٢م). ويرد قادة إسرائيل على من يحتج على معاناة الفلسطينيين فى الأرض المحتلة بأن أجدادهم تعرضوا لمثل هذه المعاناة على يد فرعون من أكثر من ثلاثة آلاف سنة[١]!

ونعود لاستكمال وصف المجازر التى ارتكبها الصليبيون بالقدس الدالة أيضًا على أن الغرب ما زال مستمرًا فى الإرهاب الذى تلقته الأجيال تلوا الأجيال من تاريخه الدموى، ويسهل التحقق من ذلك إذا درسنا جرائم الاستعمار الغربى فى بلادنا العربية والإسلامية فى العصر الحديث مما لا يخفى على أحد.

تقول أرمسترونج (وبين عشية وضحاها حوّل الصليبيون مدينة القدس المزدهرة الآهلة بالسكان إلى مستودع نتن لجثث القتلى، وحينما أقام الصليبيون سوقًا بعد المذبحة بثلاثة أيام كانت هناك جثث ما زالت فى طريقها للتعفن. ووسط مظاهر الاحتفالات والحفاوة العظيمة قاموا ببيع ما نهبوه وهم فى حالة من المرح وعدم الاكتراث إزاء المجزرة وأدلتها المادية تحت أرجلهم وإذا نحن اعتبرنا احترام حقوق السلف المقدسة محكًا لمصداقية مثل أى فاتح ينتمى إلى العقيدة التوحيدية، فلابد وأن يأتى الصليبيون أسفل قائمة البشر)[٢].

نكبات المسلمين فى إسبانيا نموذجًا لإرهاب الغرب المكثف:

وصل الإسلام إلى إسبانيا مبكرًا، وذلك عندما فتح المسلمون شبه جزيرة أيبريا فى سنة ٩٣هـ ٧١١م. وأتى الفتح بنتائج باهرة، وذلك بفضل الجهاد والتسامح الدينى عند الفاتحين، فلم يتعرض المسلمون للمسيحيين فى إقامة شعائرهم، ولم يجبروهم على الدخول فى الإسلام..

(١) مراد هوفمان (الإسلام كبديل) ص١٦٠ ترجمة عادل المعلم مكتبة الشروق الدولية بالقاهرة ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.
(٢) نفسه ص٤٥٥.



وبهذا الفتح تحولت الأندلس إلى مشعل من ألمع مشاعل الحضارة فى العصر الوسيط.. وأتت ثمارها بنهضة جديدة لأوروبا شملت مختلف الميادين، وتلقى طلاب العلم من المسيحيين من العلوم العربية فكانت ركيزة للنهضة فيما بعد[1].

ولنقارن بين هذا التسامح الإسلامى مع فعلته محاكم التفتيش مع المسلمين المتنصرين فيما بعد، إذ أصاب المسلمون بإسبانيا ما أصابهم من نكبات لعوامل عديدة، فصلّها الدكتور على محمد الصلابى، منها الترف والانغماس فى الشهوات عصيانًا لأوامر الله عز وجل الذى حذّر بكتابه الكريم وأنذر المترفين بقوله تعالى: ﴿فَلَوْلا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [هود: ١١٦]. وقوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ﴾، أى أراد بالذين ظلموا: تاركى النهى عن المنكرات، أى لم يهتموا بما هو ركن عظيم من أركان الدين وهو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وإنما اهتموا بالتنعم والترف والانغماس فى الشهوات والتطلع إلى الزعامة والحفاظ عليها، والسعى لها وطلب أسباب العيش الهانئ.

وقد مضت سنّة الله فى المترفين الذين أبطرتهم النعمة وابتعدوا من شرع الله تعالى بالهلاك والعذاب. قال تعالى: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ⦗١١⦘ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ⦗١٢⦘ لا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ١١-١٣][2].

ومن أسباب مصائب المسلمين بالأندلس أيضًا تفرقهم وتنازعهم خلافًا لأمر الله عز وجل إذ قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

ونهى تعالى عن الفرقة والاختلاف بقوله عز وجل: ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

---

(١) حامد سليمان (مسلمون لا تغرب عنهم الشمس) ص٩٣/ ٩٤ باختصار.

(٢) د. محمد على الصلابى (صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامى) جـ٢ ص٥٩٥ دار الفجر للتراث بالقاهرة ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

وقال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٤٦].

وبانقسام الأمراء وضعف السلطة المركزية بالأندلس -تفتت وحدة المسلمين بالأندلس إلى (دويلات) فالتهمتها الدويلات المسيحية المجاورة.. وبعد حروب طاحنة سقطت غرناطة فى سنة ٨٩٨هـ- ١٤٩٢م، وعقد معاهدة وقع عليها (فرناند وإيزابلا) ملكا إسبانيا والتزما فيها باحترام الدين. ولكن مع الأسف الشديد، عندما استقر لهما الأمر (نقضوا) نصوص المعاهدة وحاكما المسلمين أمام (محاكم التفتيش) الرهيبة الظالمة، التى أصدرت أحكامها بالإعدام على أعداد كبيرة من المسلمين[(١)].

ونال المسلمون فى أسبانيا نصيبهم من التعذيب والتنكيل بواسطة محاكم التفتيش. إذ لما رفضوا الارتداد عن دينهم واعتناق المسيحية (استجمعت محكمة التفتيش كل قواها، واعتصمت بالجرأة والتعصب، وصبت عذابها على المسلمين فى غير رفق ولا عدالة، حتى اعتنق النصرانية من خار فى ميدان الكفاح، وهاجر من اختار بين التمسك بعقيدته، واحتمال آلام العذاب، وفى عامى ١٦٠٩ و ١٦١٠ تم جلاء الألوف من مسلمى أسبانيا، بعد أن أغرقوا بدمائهم أرضها، وكتبوا بمقاومتهم أنصع الصفحات فى تاريخ الجهاد فى سبيل الله)[(٢)].

وإن القلم يكاد يتوقف من هول ما ينقله من المصادر التاريخية التى سجلت أنواع التعذيب بما لا يكاد يصدقه عقل من بشاعة وقسوة لا تصدر إلا من بشر نزع الله من قلوبهم الرحمة وسكب فيها ألواناً من الوحشية والدموية التى تعافها الوحوش نفسها!!

ولكن لابد من التحمل لكى يعرف أبناء الغرب تاريخ بعض أجدادهم الذين نهشوا عظام المسلمين بالأندلس، ولكى نكشف قناع الوقاحة والعنصرية البغيضة عن وجوه ساستهم الذين يتشدقون بالإنسانية وحقوق الإنسان، وبواسطة الإسقاط النفسى فيرمون المسلمين برذائلهم!!

(١) حامد سليمان (مسلمون لا تغرب عنهم الشمس) ص٩٥.
(٢) توفيق الطويل (قصة الاضطهاد الدينى.. ص٨١/ ٨٢.

وحرصًا على النفوس الرحيمة من القراء، سنوجز بعض الوقائع الثابتة تاريخيًا فى أكثر من مصدر عن مأساة المسلمين المتنصرين (أو الموريسكين)، بواسطة محاكم التفتيش التى هدفت إلى إبادة المسلمين فى الأندلس.

لقد اعتبر نصارى الأسبان المسلمين الذين رفضوا عقائدهم، اعتبروهم ثوارًا وعملاء لجهات خارجية فى المغرب والقاهرة والقسطنطينية.

وفى يوليو سنة ١٥٠١ أصدر الملكان الكاثوليكيان أمرًا خلاصته وأنه لما كان الله قد اختارهما لتطهير مملكة غرناطة من الكفرة، فإنه يحظر وجود المسلمين فيها، ويعاقب المخالفون بالموت أو مصادرة الأموال.

وبدأت محاكم التفتيش نشاطها الوحشى المروع، فعند التبليغ عن مسلم أنه يخفى إسلامه، يُزج به فى السجن، وكانت السجون مظلمة عميقة رهيبة، تغص بالحشرات والجرذان، يُقيد فيها المتهمون بالأغلال بعد مصادرة أموالهم، لتدفع نفقات سجنهم، ومن أنواع التعذيب، ملء البطن بالماء حتى الاختناق، وربط يدى المتهم وراء ظهره، وربطه بحبل فوق راحته وبطنه ورفعه وخفضه معلقًا، سواء بمفرده أو مع أثقال تربط معه، والأسياخ الحمية، وسحق العظام بآلات ضاغطة، وتمزيق الرجل وفسخ الفك... وهناك عذاب اختص به النساء وهو تعرية المرأة إلا ما يستر عورتها وكانوا يضعون المرأة فى مقبرة مهجورة ويضعون رأسها بين ركبتيها ويشدّون وثاقها ويربطونها إلى القبر بسلاسل حديدية... وتترك المسكينة على هذه الحال إلى أن تُجن أو تموت جوعًا ورعبًا[٢].

لقد كانت محاكم التفتيش والتحقيق مضرب المثل فى الظلم والقهر والتعذيب.

كانت تلك المحاكم والدواوين تلاحق المسلمين حتى تظفر بهم بأساليب بشعة تقشعر لها القلوب والأبدان... فإذا عُلم أن رجلاً اغتسل يوم الجمعة يصدر فى حقه حكمًا بالموت، وإذا وجدوا رجلاً لابسًا للزينة يوم العيد عرفوا أنه مسلم فيصدر فى حقه الإعدام.

(١) نفسه ص٦٣٣/ ٦٣٤.
(٢) نفسه ص٦٣٤.





لقد تابع النصارى الصليبيون المسلمين، حتى إنهم كانوا يكشفون عورة من يشكون أنه مسلم، فإذا وجدوه مختونًا أو كان أحد عائلته كذلك علم أن الموت نهايته هو وأسرته[1].

وبالرغم من كل هذه الألوان من التعذيب والقهر، ظل المسلمون مستمسكين بدينهم ففي يوم الجمعة يحتجبون ويغتسلون ويقيمون الصلاة في منازلهم، وإذا عمدوا أطفالهم عادوا فغسلوهم سرًا بالماء الحار . . . وقد وصلت إلى المؤرخين وثيقة هامة تلقى ضوءاً أكبر على أحوال الموريسكيين في ظل التنصير وتعلقهم بدينهم السابق، وكيف كانوا يتحايلون لمزاولة شعائرهم الإسلامية خفية ويلتمسون من جهة أخرى سائر الوسائل والأعذار الشرعية التي يمكن أن تبرر مسلكهم وتشفع لهم لدى ربهم عز وجل[2].

ولقد استمرت محاكم التفتيش قرونًا عدة، وعندما احتل نابليون إسبانيا بعد قيام الثورة الفرنسية أصدر مرسومًا سنة ١٨١٨م بإلغاء محاكم التفتيش في أسبانيا، ولكن رهبان (الجزويت) استمروا في القتل والتعذيب مما اضطر الحاكم العسكري الفرنسي حينذاك إلى إرسال نحو ألف جندي وأربعة مدافع بقيادة الكولونيل «ليمونكي». وهاجم دير الديوان . .

وقد وصف في مذكراته ما يلي:

(لقد رأيت من آلات التعذيب، وتمزيق الأجسام البشرية ما يستفز نفسي، ويدعوني إلى التقزز ما حييت . . . والسجناء كانوا رجالاً ونساءً تختلف أعمارهم بين الرابعة عشرة والسبعين، واستطعنا فكاك بعض السجناء الأحياء وتحطيم أغلالهم، وهم على آخر رمق من الحياة، وكان فيهم من جن لكثرة ما لاقى من عذاب، وكان السجناء عرايا زيادة في النكاية بهم، حتى اضطر جنودنا أن يخلعوا أرديتهم ويستروا بها لفيفًا من النساء السجينات.

---

(١) نفسه ص٦٣٥.

(٢) نفسه ص٦٣٧.

وقد نشر الدكتور الصلابي رسالة وجهت من أحد فقهاء المغرب إلى المسلمين الذين أكرهوا على التنصير (ص٦٣٧).



وانتقلنا إلى غرف أخرى فرأينا هناك ما تقشعر لهوله الأبدان، عثرنا على آلات لتكسير العظام.. وآلة تسمى السيدة الجميلة وهي كالتابوت حيث تطبق على الشاب -وهو داخل التابوت بسكاكينه وخناجره حتى يمزق إربًا إربًا.

كما عثرنا على جملة آلات لسل اللسان، ولتمزيق أثداء النساء.

ويختم مذكراته بقوله (ولما شاهد الناس بأعينهم وسائل التعذيب جن جنونهم وانطلقوا -كمن به مس، فأمسكوا برئيس الدير ووضعوه في آلة التكسير.. وفعلوا كذلك بأمين سرّه وفعلوا بسائر العصابة وبقية الرهبان كذلك)(١).

وفي نهاية دراسة الدكتور أحمد شلبي عن وقائع الإرهاب في الغرب تاريخيًا، يقول (وهكذا اتضح لنا أن الإرهاب غربيّ النزعة، غربيّ الجذور، بينما يحمي الإسلام الدم والعرض ويهتم بالأمن والأمان لكل البشر. قال تعالى: ﴿ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٩]، وقال: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]، وآيات كثيرة تحث على الأمن وترفع قدره(٢).

●●●

(١) نفسه ص٦٤٢.

(٢) د/ أحمد شلبي (صراع الحضارات...) ص ٥١.

• الفصل الرابع:

الاستعمار الغربى أخطبوط الإرهاب

التعريف بالاستعمار:

إن الاستعمار فى أبسط تعريفاته يعنى قيام دولة أو مجموعة من الأفراد بحكم أفراد آخرين أجانب عنهم فى أرض أجنبية، بمعنى أنه يستخدم كمرادف لأى توسع استعمارى.

أما أكثر التعريفات شيوعًا فهو أن الاستعمار يعنى تسلط الدول الغربية المتقدمة صناعيًا على غيرها من المناطق فى أفريقيا وآسيا، أو الاستغلال الاقتصادى للشعوب المتخلّفة بواسطة المجتمعات الصناعية الغنية)[1].

ولكن كلا التعريفين ناقصين لأن الأول يقصر الاستعمار على الحكم الفعلى لأرض أجنبية، والثانى يركز على الدوافع الاقتصادية فحسب، لذلك تفضل الدكتورة حورية توفيق التعريف الأشمل للاستعمار وهو (إنه السياسة التى تقوم بالممارسة الفعلية أو التمهيد أو الدعوة لامتداد السيطرة أو توسيع دولة أو تكوين إمبراطورية)[2].

أى أنه يتضمن كافة أنواع التسلط سواء مارسته الدولة ضد شعوب مختلفة معها، أو بطريقة صريحة أو كان استعمارًا مقنعًا تحت ستار اتفاقية دولية أو تحالف، ولكن المحك الرئيسى هو أن تقوم السيطرة أو التسلط أو بسط النفوذ قهرًا وضد رغبة من تفرض عليهم السيطرة أو ضد مصالحهم.

ويتضح من ذلك التعريف أن السياسة الاستعمارية مظهر من مظاهر ممارسة القوة فى

(١) د. حورية توفيق مجاهد (الاستعمار كظاهرة عالمية.. حول الاستعمار والإمبريالية والتبعية) ص٢٤ عالم الكتب بالقاهرة، ١٩٨٤م.
(٢) نفسه ص٢٦.

العلاقات الدولية، أى القوة بمفهومها السياسى القائمة على **التأثير القهرى من ترغيب وترهيب**[1]. وما الإرهاب إلاّ الاسم المشتقّ من فعل الترهيب.

هذا، وقد أصبحت كلمة استعمار وإمبريالية تستخدمان حتى بالإنجليزية كمرادفين وكأنهما شيء واحد، ولكن بفارق واحد، وهو أنه بالنسبة للحاكمين تعنى استخدام القوة وفرض السلطة وممارسة القوة عامة، أما بالنسبة للمحكومين فتعنى التسلط على المناطق التى يعيشون بها من قبل الدولة التى تبسط سلطانها عليهم[1].

ويتأسس الاستعمار على نظرية ميكافيللى ومبدؤه (الغاية تبرر الوسيلة)، وقد أرسى ما يمكن أن يطلق عليه **علم الاستعمار** وكان يرى ضرورته وجدواه كسياسة عامة للدولة فى علاقاتها مع غيرها، وجاء بعده الفيلسوف الألمانى هيجل فسار على نفس منهجه ونظر إلى الحروب على أنها ظاهرة صحية وضرورية لتقوية الدولة فى الخارج، ولتوحيد الجبهة الداخلية، وقد أكد مثله مثل ميكافيللى، على **ضرورة الاستعمار والتوسع**[2].

ولا يوجد نمط واحد للاستعمار، وإن كان أهمها هو الاستعمار التقليدى (الرسمى) الذى يشكل نفسه على مر العصور تحقيقًا للأهداف الاستعمارية الثابتة، وهناك الاستعمار الاستيطانى الذى مارسته فرنسا فى تونس والمغرب والجزائر ثم أصبح فى طى التاريخ بعد ثورات تلك البلاد، (استقلت الجزائر سنة ٦٢ بعد حرب المليون شهيد).

ومع ذلك فهناك مثل حديث لممارسة الاستعمار الاستيطانى عنوة استنادًا إلى إمكانية القمع فى الدولة البوليسية (وذلك بعمل إسرائيل على إقامة المستوطنات فى كثير من المناطق العربية المحتلة بعد عام ١٩٦٧ هو والأسلوب السابق إتباعه فى شكل الهجرة الجماعية لليهود فى أرض فلسطين بمعاونة انجلترا -وأقامت إسرائيل دولتها مستخدمة الاستيطان كنقطة ارتكاز)[3].

---

(١) نفسه ص٢٠ / ٢١.

(٢) نفسه ص٣٥ واستقلت تونس والمغرب عام ٥٦.

(٣) نفسه ص٧٥.



ويلخص الفيلسوف الفرنسى جارودى الحصيلة المرة للاستعمار المغربى بقوله (**أدت خمسة قرون من الاستعمار إلى نهب ثروات ثلاث قارات، وإلى تدمير اقتصادياتها وتكبيلها بالديون**)(١).

وعندما خرج الاستعمار الغربى بجيوشه حرص على ترك معاونيه وأذنابه، ولم يخرج الاستعمار -كما يذكر الدكتور محمد البهى- إلا بعد أن فرق المجتمع الإسلامى إلى طائفتين رئيسيتين: إلى طائفة أعدّها وقت استعماره لمعاونته فى جهاز الحكم الداخلى، وهذه الطائفة بقدر ما أبعدها عن القيم الإسلامية، بقدر ما يقرّبها إلى أهدافه فى الحياة، وإلى طائفة أخرى أهملها وانتقص من شأنها وهى تلك الطائفة التى احتضنت تلك القيم الإسلامية ودافعت عنها، وربما كافحها وعمل على إذلالها.

وبذلك وضع القيم الإسلامية فى ميزان الصراع بين الطائفتين فى المجتمع، إحداهما تواجه الأخرى بالخصومة حول هذه القيم، طائفة ترضى عنها وتريد منها سيلها فى الحياة وأخرى تنفر منها وتريد أن تبعدها كلية من توجيه الحياة.

وطول فترة الاستعمار، يزود المستعمر الطائفة التى ابتعدت عن القيم الإسلامية وتحاول أن تتجنبها فى توجيه الحياة -بالدراسات الإسلامية التى تصورها مصادر الاستشراق فى أوروبا على اختلاف عددها وألوانها، باللغات الأوربية الحديثة، وهى دراسات تهدف إلى إضعاف صلة المسلمين بالإسلام، عن طريق تشويه شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم وشريعة الإسلام وتاريخه، مما يدفع تلك الطائفة -بناء على تلك المعلومات المشوهة -إلى المطالبة بفصل الإسلام عن توجيه المجتمع وجعله عبادة فقط بين الفرد وربه(٢).

استمرار الإرهاب الإسرائيلى بعد معاهدة السلام:

وكعادة اليهود فى نقض العهود، وبعد توقيع إسرائيل على معاهدة السلام قام

---

(١) جارودى (حفارة القبور: الحضارة التى تحفر للإنسانية قبرها) ص١٧.

(٢) د. محمد البهى (الدين والحضارة الإنسانية) جـ٣ ص٣/ ٤/ ٥ هدية مجلة الأزهر بالقاهرة جمادى الأولى ص١٤٣٧هـ.

شارون وبرفقته ستة برلمانيين وسط استعمار شارك فيه ٣٠٠٠ جندى وشرطى إسرائيلى بزيارة استفزازية للحرم القدسى الشريف يوم الخميس ٢٨/ ٩/ ٢٠٠٠ الأمر الذى دفع جموع المصلين إلى التجمهر ومحاولة التصدى له، مما أسفر عن جرح ٢٥ من جنود الاحتلال و ١٢ من الفلسطينيين.

وقبل انتهاء آلاف المصلين من أداء صلاة الجمعة ٢٩/ ٩/ ٢٠٠٠ فى المسجد الأقصى، أطلق عليهم جنود الاحتلال النار مرتكبين مجزرة أسفرت عن استشهاد ١٣ فلسطينيًا، وجرح ٤٧٥ من بينهم ٧ أصيبوا بالرصاص المطاطى فى عيونهم مما أفقدهم الإبصار على الفور[١].

وقام الشعب الفلسطينى فواجه بصدوره الرصاص المحرم دوليًا والصواريخ والمروحيات الإسرائيلية التى طالت المدنيين العزل من السلاح، وكذا المنشآت الفلسطينية الوليدة، وذلك بغية كسر إرادة الشعب الفلسطينى باستعمال أقصى أدوات الإرهاب العسكرية، ولكن ما زال الشعب الفلسطينى صامدًا (رغم كل الممارسات والمجازر الإسرائيلية البشعة، التى كان من بينها مشهد قتل الطفل محمد الدرة برصاص النازيين الإسرائيليين. وتخليدًا لذكرى الطفل الشهيد -وفى نفس الوقت بيان قوة البطش الإسرائيلية قررت جامعة الدول العربية اعتبار الأول من أكتوبر من كل عام يوم الطفل العربى، كى تحتفظ ذاكرة العالم باللحظة التى سلبت فيها إسرائيل حق الطفل الشهيد فى البقاء)[٢].

وبعد يومين من هذه المذبحة فى ٢/ ١٠/ ٢٠٠٠، جرت مذبحة أخرى فى منطقة الجليل أسفرت عنه استشهاد ١٣ من فلسطينى ١٩٤٨، كما خلفت مئات الجرحى بعد أن شهدت المنطقة تظاهرات مع الانتفاضة تصدت لها عناصر الشرطة الإسرائيلية.

---

(١) بهاء على سعد (من دفتر أحوال العالم فى الألفية الثالثة) ص٢٣ مكتبة الآداب -الأوبرا- القاهرة سنة ٢٠١٢.

(٢) نفسه ص٧٠/ ٧١.



وكان من واجب الولايات المتحدة أمام هذا الإرهاب الإجرامى الاعتراض على سلوك إسرائيل، ولكن -مع الأسف الشديد- امتنعت فى ٧ أكتوبر عن التصويت على القرار الذى تبناه مجلس الأمن الدولى بإدانة الاستخدام المفرط للقوة ضد الفلسطينيين!!

ويقول الأستاذ بهاء على سعد عمارة (لقد أثمرت «ثقافة السلام» حتى نهاية ٢٠٠٠ من الشهداء ٤٠٧ منهم ١٣ شهيداً من فلسطينى ١٩٤٨، ومن الجرحى والمصابين ٢١٢٣٩ منهم ٤٧٪ دون سن الثانية عشرة، ناهيك عن تدمير إسرائيل لـ ٧٨ سيارة إسعاف.

ثم علق أخيراً بقوله (لقد صمت العالم وإسرائيل ترقص رقصة الموت على أشلاء الشعب الفلسطينى، وصمتت الدول كبيرة الحجم، وصمتت الأمم المتحدة التى أعلنت سنة ٢٠٠٠ سنة لثقافة السلام)(١).

إنها إسرائيل.. قامت على أساس الإرهاب وتزاوله ليل نهار، ولا تجرؤ دولة الوقوف فى وجهها أو الاعتراض على إرهابها!!!

يقول الكاتب إرسكيير ب. تشيلارز: (وتؤمن الغالبية العظمى من المسلمين فى كل مكان بأن عصر الإمبريالية الغربية هذا لا يزال مستمراً حتى عصرنا الراهن، وإن كانت تحت أقنعة مختلفة. وهذا الاقتناع تُبقى عليه على الدوام، السياسات الغربية التى تدعم أو تتغاضى عن سلوك إسرائيل باعتبارها دولة استيطانية استعمارية، ومما زاده تأكيداً، التركيز الغربى المتكرر على «المصالح الإستراتيجية» فى بلدان الشرق الأوسط والتدخلات الغربية المستترة المستمرة فيها، وقيام الغرب بتسليح إسرائيل والتغاضى عن هجماتها، والهجوم العسكرى الغربى الفعلى)(٢).

---

(١) نفسه ص٢٤.

(٢) مقال بعنوان (الغرب والإسلام فقدان الذاكرة والحضارة) ص١٤٢ كتاب بعنوان (الغرب والإسلام) تقديم وتحليل منى ياسين مراجعة وتعقيب د. محجوب عمر دار جهاد للنشر والتوزيع بالقاهرة فبراير سنة ١٩٩٤.





ويقول أيضًا (والواقع المؤسف أن الحكومات الغربية قد تحركت المرة تلو الأخرى لزعزعة استقرار أى حركة سياسية نابعة من الداخل فى العالم الثالث، وبصفة خاصة أى قيادة ثورية إسلامية قوية، لا تدين بالولاء للغرب فقد استخدمت وكالات مخابراتها والنظم العميلة المحلية لتسليح وتمويل المجموعات الاثنية وأثارتها ضد الحكومة المركزية، ليس بهدف الدفاع عن حقوق الإنسان الديمقراطية الخاصة بهذه المجموعات وإنما لتحقيق السياسات الواقعية الإمبراطورية، وأقامت أو تولت وسلحت سريعًا أسوأ الديكتاتوريات فى العالم الثالث منذ تصفية الاستعمار، إذا ما وجدت فرصة لذلك، ولم تبدأ اهتمامًا جاداً لإتاحة الفرصة لاقتصاد دولى ديمقراطى جديد لأن يحل محل استغلالها المستمر للعالم الثالث. . .

ولذلك يحق الحكم على أن الغرب ليس ديمقراطيًا وأنه مستبد حقًا)[1] ونحن نضيف (إنه أبشع صور الإرهاب!

هذا باختصار فيما يتعلق بالتعريف بالاستعمار الغربى بأنواعه فى إطار علم السياسية ومصطلحاته، واعتراف الكاتب ارسكين باستمراره.

أما فيما يتعلق بصلته بأساليب القهر والبطش والاستعباد، فإن دراسة الاستعمار الغربى وخططه وأهدافه وإنجازاته المشينة فى أرض الواقع، تدينه إدانة حاسمة بتلبّسه بالإرهاب **بما فعلته الدول بأبشع صورة! وسنعرض لنماذج واقعية الغربية بمستعمراتها:**

ففى الهند جندت بريطانيا بضعة ألوف من أهل الهند بلغت فى سنة ١٩١٨ نحو ٩٨٥ ألفًا، ودفعت بهم إلى أتون الحرب، وحكمت الهند بالأحكام العرفية، وجعلت الحكام العسكريين حكام البلاد الشرعيين، وأطلقت يدهم باستعمال الإرهاب ضد الشعب، منهم الحاكم العسكرى الجنرال (داير) الذى أمر الجنود بإطلاق النيران على أهل البنجاب عندما ثاروا، فأطلقوا مدافعهم الرشاشة وبغير

---

(١) نفسه ص١٥٩.



تنبيه ولا إنذار، وراحت تحصد المجتمعين العزل من السلاح، لا تفرق بين شيخ أو امرأة، ولا بين طفل أو رجل ولم تكف آلات الحصن البشرى عن إطلاق النار حتى بلغ عدد القتلى ستمائة، وزاد عدد الجرحى عن ذلك بكثير، وعندما اهتزت الهند لهذه الجريمة النكراء، اضطرت الحكومة البريطانية إلى مداراة الفضيحة بطريقتها المألوفة، طريقة تأليف لجنة تحقيق، وعزلت الجنرال (داير)، كما عزلت اللورد كرومر فى مصر، إثر حادثة دنشواى التى كانت بمثابة مجزرة بشعة، تجسد الإرهاب البريطانى فى كافة المستعمرات الخاصة للإنجليز[1] وحتى بعد جلائها عن مصر عام ١٩٥٤ فقد شاركت فرنسا وإسرائيل العدوان على مصر فواصلت طائرات بريطانيا وفرنسا، إسقاط القنابل فوق رأس أبناء الشعب المصرى فى القاصرة والإسكندرية، كما واصلت وحدات الأسطول البريطانى وطائراته قصف مدينة بور سعيد وأهلها بأقوى المدافع وبقنابل أسراب الطائرات التى لم يخجل طائروها وقوادها من أن يعصفوها فى القرن العشرين - عصر الحضارة والمدنية!- وهى مدينة آمنة، تكاد تكون عزلاء، لمجرد أن حكومتها، استعملت ما اعترفت به حكومات المغيرين المعتدين أنفسهم بأنه حق مشروع، ليس فيه ما يخالف القانون الدولى، ولا ميثاق الأمم المتحدة[1].

هذا هو تاريخ الإرهاب الاستعمارى الإنجليزى فى مصر، إذ وصفه الأمير شكيب أرسلان -بأنه يعبر عن روح التوسع الإمبراطورى والجشع الاستعمارى، روح استلاب الشعوب وإرهاقها، وانتهاب ما بين أيديها وما خلفها، واستنزاف دمائها، وشد الأخنقة على ما حول رقبتها.

وقد قامت بريطانيا بواسطة القوة والإرهاب بتجنيد مليون مصرى ساقتهم بالأعمال الإجبارية فى الشرق الأدنى وفى أوروبا، وجمعت بريطانيا من مصر المقادير العظيمة من أنواع الحبوب والأعلاف اللازمة للجيوش.

---

(١) فتحى رضوان (نفسه) ص١٨٠ (مع الإنسان فى الحرب والسلام).

(٢) نفسه ص٥٢٧.





ثم قامت الثورة الوطنية سنة ١٩١٩ التى لم يسبقها مثيل فى مصر مما اضطر انجلترا أن ترفع الحماية عن مصر وتعلن أن مصر دولة مستقلة، وتعقدها معاهدة تحالف . . وأن تمنح مصر بريطانيا موقعًا عسكريًا وبحريًا بحيث تستطيع الأخيرة حماية قناة السويس ومصر فى حالة هجوم مفاجئ يقوم به عدو أجنبى على حين غرة[(١)].

أما الاستعمار الفرنسى الاستيطانى فإنه طابع إرهابه أشد وأقسى إذ كان من ضحايا الثائرين على فرنسا فى سوريا ١٦ ألفًا، ما عدا النساء والأولاد مع تدمير نحو خمسمائة قرية وأصبح قسم من مدينة دمشق خرابًا، وباتت سورية فى حالة شقاء لا توصف، بالإضافة إلى إعدام الجماعات وإتلاف الزراعة وإطلاق المدافع على دمشق والقرى المجاورة والنهب . .

هذا بينما لم يؤذ المسلمون فى سوريا مسيحيًا واحدًا أيام حكم العثمانيين بل يعاملونهم كإخوان لهم، ولذلك صدق من قال من المواطنين السوريين (ثرنا على الترك من سنة ١٩١٤ إلى سنة ١٩١٨ فكان موقفنا والحالة هذه موقف الثوار لأن بلادنا كانت جزءًا من أجزاء السلطنة العثمانية، ومع ذلك لم يشنق الترك منا إلا بضع عشرات، وقد كانوا قادرين أن ينزلوا بنا أشد العقوبات بالألوف.

أما فرنسا فنحن لسنا من رعاياها، وقد كان مقضيًا عليها أن تكون ملاذنا، ومع ذلك قتلت ولا تزال تقتل من سنة ١٩١٩ ألوفًا من ذوينا ابتغاء توطيد أركان سيادتها. فمن من الاثنين أشد همجية من الآخر؟ لنرجع إلى التمرس بالأتراك)[(٢)].

وبالمقارنة تتضح أن المسلمين فى سوريا لم يؤذوا مسيحيًا واحدًا فى أرع سنوات ونصف حين كانت الحرب العالمية على أشدها، بينما قامت فرنسا بإعدام الجماعات وإتلاف المواسم وإطلاق المدافع على دمشق والقرى المجاورة كلها والنهب . .

---

(١) كتاب (حاضر العالم الإسلامى) جـ٤ باختصار صفحات ١٢٤، ١٢٧، ١٣٠، ١٣٤.

(٢) أوجين يونغ (الإسلام وآسيا أمام المطامع الأوروبية) ص٨٦ مكتبة زيدان العمومية بالفجالة مطبعة النهضة سنة ١٩٢٨.

وهذا الكتاب تتمة لكتاب سابق بعنوان (استعباد الإسلام) والعنوان له دلالة ظاهرة لا تخفى على القارئ، وكان المؤلف موظفًا سابقًا بالمستعمرات ولكن ضمه دفعه إلى كشف أستار جرائم فرنسا.

لقد أُمِّر نحو خمسمائة قرية وأصبح قسم من مدينة دمشق خرابًا ولقد أطلقت عليها المدافع فى إحدى المرات لمدة ست عشرة ساعة متوالية قتل فى أثنائها سبعمائة نفس من النساء والأولاد والشيوخ(١).

هذا فضلاً عن انتهاك حرمة الحريات على اختلافها وأنواعها، وانتهاج خطة الإرهاب بإجرام الإعلام دون حكم وبمجرد التهمة البسيطة مع تحريض المأجورين للقتال من الأرمن والشركس(٢).

وكانت الجريمة الكبرى أيضًا لفرنسا هى تقسيمها لسوريا حيث فرقتها جغرافيًا تمزيقًا إلى ٥ دول أُنشئت على قاعدة المذاهب الدينية، وجعلت فرنسا من كل طائفة دينية شعبًا يتميز على غيره لتزعم أن سوريا «فسيفساء شعوب»(٣)!

وما أكثر أعمال الإرهاب التى قام به الغرب منذ استعماره لبلادنا فى العصر الحديث. فمنذ قرنين من الزمان تجاذبت أرض الإسلام انجلترا وروسيا وفرنسا، فقامت انجلترا بالقضاء على سلالة ملوك المسلمين، وساعدت حملة نابليون على مصر بريطانيا كثيرًا فى أعمالها فى الشرق فبسطت نفوذها بوادى النيل وبلاد اليمن والهند، فكان التخريب -لا التعمير- ديدنها!

ففى مصر فإن (الكاهن) دنلوب خلع عنه ثوب الكهنوت وأخذ يدير المدارس فى خلال ربع قرن، فكان يناهض القرآن مناهضة سرية متواصلة، ويهدم أركان الإسلام هدمًا بطيئًا بخبث نية، وكان غلادستون يقول فى البرلمانى البريطانى إن القرآن أصل البلايا فى هذا العالم(٤)!

وكان الحكم الروسى وبالاً وإرهابًا على المسلمين سواءً فى أيام القياصرة أو النظام الشيوعى، فكانت سلالة روما نوف من ألد أعداء المسلمين وكان هدفها الأسمى

---

(١) نفسه ص٨٣، ٨٥.
(٢) نفسه ص٦٢.
(٣) نفسه ص٥٥.
(٤) نفسه ص١٥٧.

محاربة المسلمين . . وكان قياصرة الروس ينزلون أشد العذاب برعاياهم المسلمين، ويقتلون من الترك والإيرانيين والشركس وغيرهم مئات الألوف والملايين . . كان ذلك من أكبر البلايا والإرهاب[1]!

أما عن التمييز العنصرى البغيض، فمن معاصره قيام الدول الاستعمارية بتقليد اليهود والنصارى سفاراتها ووزاراتها وحدهم دون المسلمين، ثم يتهم -ويا للعجب- بالتعصب الديني واضطهاد الأقليات، بينما يسجل التاريخ الإسلامى إن هذه الأقليات ظلت تنعم بالحكم العادل نحو أربعة عشر قرنًا من الزمان، (مكان المسلمون يسمحون لليهود والنصارى للسفر إلى الأراضى المقدسة دون إرهاقهم بشىء)[2] .

أضف إلى ذلك أن حكام الإسلام فى عهد مجده الماضى جعلوا من مبادئهم عدم التدخل فى شئون اليهود والنصارى الداخلية، فلهم أنظمتهم الخاصة، يريدون شؤونهم كما يشاءون، فلهم مجالسهم ولهم مدارسهم الحرة، ولهم ملء الحرية فى وضع أنظمة أحوالهم الشخصية وهم يتصرفون فى أملاكهم من دون أن يكون للمسلمين رقابة عليهم فيها .

أما الغرب الحديث الظافر، فيدخل بلاد الإسلام بقصد النهب ويتولى الشؤون مباشرة وينصب القضاة على هواه، ويختار أئمة المساجد على ما يوافق مصلحته، ويعبث بالشريعة المطهرة ويتدخل فى كل شىء[3]!

أما وقائع إرهاب الاستعمار الإيطالى فيشيب بها الولدان، وقد أفرد الأمير شكيب أرسلان دراسة خاصة عن (طرابلس الغرب وإيطاليا) استغرقت نحو سبعين صفحة من القطع الكبير بكتاب (حاضر العلم الإسلامى) الجزء الثانى ووصف ما فعله الإيطاليون بليبيا أنهم اقتفوا آثار فرديناند وإيزابيلا فى الأندلس من كل وجه ويختار الباحث من

(١) نفسه ص١٥١ .
(٢) نفسه ص١٥٤ .
(٣) نفسه ص١٥٦ .



كثرة الفظائع أيهما يختارها لينقل للقارئ صور الإرهاب المتوحش.. منها مثلاً إجلاء ١٨ ألف من عرب الجبل الأخضر عن أوطانهم وأماتتهم بالجوع والعطش وأخذ أطفالهم قهرًا إلى إيطاليا لأجل تنصيرهم..

وتنقل جريدة إنجليزية خبرًا فحواه (استمر الجيش الإيطالى ثلاثة أيام يطلق الرصاص على كل من يلقاه من العرب فهلك عدد كبير من النساء والأطفال وبلغ مجموع القتلى بين الاثنين والجمعة أربعة آلاف عربى)..

وصرح أحد رجال حكومة إيطاليا (إننا نأمل كثيرًا تنصير الجنس البربرى بين أهل طرابلس وبرقة) وأصبح استئصال الدين الإسلامى من طرابلس واجتثاث عروقه بمحور حاله من هناك كان محور سياسة إيطاليا فى ذلك القطر، وقد صرح قائد طبرق أمام جماعة من المسلمين أنهم لا يمكنهم أن يصيروا بنى آدم ما دام هذا الكتاب الذى هو القرآن بين أيديهم!

واغتصبت إيطاليا جميع أراضى القبائل المنتسبة إلى الطريقة السنوسية.. وشردوا ثلث مليون من السكان وأفنوا ثلث مليون من السكان وأفنوا ثلث مليون آخر وأخذ الأمير شكيب أرسلان ينقل بعض ما ورد من كتاب «الفظائع السود الحمر» قائلاً (هو قليل من كثير مما لا يمكن استقصاؤه من أعمالهم فى هذه العشرين سنة التى انصب فيها بلاؤهم على ذلك القطر الحزين.

وهذا مما يجىء دليلاً مؤكدًا على أن الأوروبيين عمومًا واللاتيين خصوصًا إذا ظفروا بالمسلمين لا يرقبون فيهم إلا ولا ذمة ولا يعرفون شفقة ولا رحمة).

وإذا سجلنا غزو نابليون لمصر فى سياق قضية (الإرهاب) فإن ذلك يتصل اتصالاً وثيقًا بالغزو الاستعمارى للعالم الإسلامى فى العصر الحديث الذى استخدم مختلف أنواع القمع والضغط والقهر العسكرى والسياسى والاقتصادى. ولقد بلغت حدًا من العنف لم تشهده أى منطقة أخرى تعرضت لولايات الاستعمار، بحيث تجاوزت قوى الاستعمار حدود الأشكال التقليدية للسيطرة والاحتلال، وانفرد الاستعمار الفرنسى

(١) نفس المصدر صفحات ٨٢، ٨٣، ٨٤.



بظاهرتين: إحداهما أنه لم يكتف بالاحتلال العسكرى والاستغلال والاستنزاف البشع للجزائر بل حاول القضاء على إسلام الجزائر بفرنستها ومحاولة إلحاقها بفرنسا كامتداد لها فى أفريقيا[١].

وقد نشر جارودى عن حرب الجزائر نصوصًا مقتبسة من مذكرات وخطابات أمثال (بوجو) و (مارشال سانتى أرنو) وآخرون مثل (كليناك) وقد أوضحوا كيف قادوا حملتهم لفتح الجزائر باعتبارهم مجرمى حرب.

فقد كتب «بوجو» فى مقالة أمام غرفة المفوضين فى ١٤ مايو عام ١٨٤٠م (لابد من غزو كبير لأفريقيا شبيه بذلك الذى قام به الفرنسيون والجوتيون... على أن يكون هذا الغزو شاملاً، حيث المياه العذبة والأراضى الخصبة، وفى هذه الأماكن يجب أن نوطن المستوطنين دون التفات إلى أصحاب الأرض الأصليين). أما مارشال سانت أرنو فقد كتب "لقد تركت فى مسيرى طريقًا عظيمًا، أحرقت كل القرى تقريبًا وعددها مائتا قرية، وخربت كل البساتين، وقطعت أشجار الزيتون (مايو سنة ١٨٥١م).

أما العقيد (مومنتياك) فقد كتب ضمن «رسائل محارب» طاردنا العدو وغنمنا منه النساء والأطفال والقمح والشعير..).

وهناك شاهد آخر، يبدو أن ضميره أنبه، فأدلى بهذه التفاصيل (لقد جلبنا برميلاً من الآذان المقطعة زوجًا من المساجين، وظلت الآذان الأهلية لوقت طويل تساوى ١٠ فرنكات للزوج الواحد، بينما ظلت نساؤهم نهبًا مستباحًا)[٢].

وفرض الاستعمار الفرنسى سلطته بالقوة وتطبيق قوانينه واستهدف ما هو أكثر إرهابًا بأن سعى لمحو الشخصية العربية الإسلامية بخلع الطفل الجزائرى من جذور تلك الثقافة، وذلك طيلة مائة وثلاثين عامًا. ولكن الله تعالى قيض للجزائريين علماء

(١) إبراهيم خليل أحمد (الاستشراق والتبشير وصلتهما بالإمبريالية العالمية) ص٩٧ مكتبة الوعى العربى بمصر سنة ١٩٧٢م.

(٢) روجيه جارودى (الإسلام والقرن الواحد والعشرون، شروط نهضة المسلمين ص١٨، ١٩ ترجمة كمال جاد الله.
الدار العالمية للكتب والنشر سنة ١٩٩٩م.



مجاهدين أمثال الشيخ ابن باريس والشيخ إبراهيم «رابطة العلماء» ووضعوا برنامجًا استلزم بذل الجهد الخارق لإنقاذ بلادهم، إذ (عملوا عملاً وجد بعد ذلك فى الإسلام الحى القوة الأساسية للحركة التحريرية للشعب الجزائرى)[1].

الثانية: ولئن كان مصطلح (الإرهاب) يدل على معانى القتل والبطش وسفك الدماء والهدم والإبادة وغيرها من طرق التنكيل بالعباد والبلاد، فإن ذلك يهون مع بشاعته إذا ما قورن بما فعله نابليون الذى قام بوأد حركة اليقظة الإسلامية وتعليق علمائها على المشانق ليضمن ألا تقوم لها قائمة، وهو ما أطلق عليه جارودى اسم (الإرهاب الثقافى) كما فعلت فرنسا بالجزائر والمغرب وتونس بمحاولة محو ثقافتها العربية الإسلامية!

ولا ينبغى الفصل بين بطش وإرهاب نابليون وجيشه فى مصر، وبين الفكرة التى كانت سائدة، ولا تزال -بأن الحضارة واحدة لا ثانى لها، وهى الحضارة الأوروبية (وأن "التحضر" هو الوصول إلى النمط الأوحد من الحياة فى كل أشكاله من ثقافة وأسلوب حياة، على أن يكون استيعاب تلك الحضارة، بتوجيه من الدول «المتحضرة» وتحت سيطرتها. إنه الاستعمار فى أكثر صورة فجاجة... وكان مفكرو القرن التاسع عشر يؤمنون بأن رسالتهم فى الحياة، بل واجبهم المقدس، هو «تحضير» الشعوب ولو بالقوة -أى بالإرهاب- أولاً، وهو أمر طبيعى ما دام الهدف الحقيقى هو الاستعمار الاستغلالى والحصول على موارد وأسواق بلاد أضعف من أن تدافع عن حريتها)[2].

وقد استحوذت فكرة روما وسيطرة نمط التاريخ على المثقفين المشاركين فى الثورة الفرنسية (فإن فرنسا هى روما الجديدة، فعندما تقدم الوزير (تاليران) مثلاً بمشروع غزو مصر لحكومة «الإدارة» قال (كانت مصر مقاطعة فى الجمهورية الرومانية فيجب أن تصبح للجمهورية الفرنسية)[3].

---

(١) نفسه ص١٢.

(٢) د. ليلى عنان (الحملة الفرنسية، تنوير أو تزوير) جـ١ ص٨٦، كتاب (الهلال) بمصر مارس سنة ١٩٩٨م.

(٣) نفسه ص٨٨ وسبقه الفيلسوف ليبنتز الألمانى حيث اقترح على الملك لويس الرابع عشر احتلال مصر كأفضل وسيلة لضرب (هولندا) ص٢٧.

هذا، وقد تغلب هذا الاتجاه على الاتجاه الآخر الذى تبناه فلاسفة التنويرة ومنهم (فولتير) الذى كان معجبًا بالرسول صلى الله عليه وسلم والحضارة التى أنشأها (علاوة على ما وجده فى الإسلام من سماحة -وهى من أهم قيم التنوير- لم ير لها مثيلاً فى تاريخ المسيحية . . . كذلك أعجب بدين -كان الإحسان فيه، كما يقول، أحد أركانه الخمسة -وهو يقصد فرض الزكاة) فكانت المقارنة بين الإسلام والمسيحية تساعد فلاسفة التنوير على مهاجمة المسيحية التى لا تعطى للعقل المكانة التى يتمتع بها فى الدين الإسلامى)[1].

ولقد أقام النظام الرأسمالى الغربى وليد الاستعمار رفاهية القلة المترفة من أهل الشمال على:

١- دماء العبيد الذين اختطفوا من أفريقيا وسلسلوا بالحديد وشحنوا فى سفن الحيوانات.

٢- وفائض قيمة النهب الاقتصادى لآسيا وأفريقيا وأمريكا الجنوبية على امتداد خمسة قرون، حتى أصبح أهل الشمال (وخصم ٢٠٪ من سكان العالم) يمتلكون ويستهلكون ٨٦٪ من خيرات العالم، بينما أهل الجنوب (وهم ٨٠٪ من سكان العالم) يعيشون على ١٤٪ من ثروات العالم.. وحتى هذه النسبة الأخيرة من ثروة الجنوب: تبتلع أغلبها فوائد الديون التى كبل بها الغرب أهل الجنوب، والتى -من ثم- غدت استعمارًا غربيًا جديدًا، الأمر الذى أفقد أهل الجنوب (وهم أغلب سكان العالم) القدرة الشرائية للسلع والخدمات[2].

الإرهاب الروسى:

إذا كان الطابع الغالب لإرهاب دول أوروبا الغربية هو الاحتلال العسكرى واتخاذ التنصير وسيلة لضم شعوب المستعمرات المغلوبة على أمرها، فإن الإرهاب الروسى فى

---

(١) نفسه ص٩٧، ٩٨.

(٢) د. يحيى رضا جاد، بحث بعنوان (فى فلسفة وفقه العدالة الاجتماعية والثروات والأموال فى الإسلام) ص١٨٢ مجلة (المسلم المعاصر) العدد ١٥٧- ١٥٨. ١ يوليو/ ديسمبر ٢٠١٥م.



ظل الشيوعية تام على اكتساح كل القيم الإنسانية وكل الأراضي المسلمة المجاورة لروسيا، ومن أول إجراءات الشيوعيين عندما يستولون على مكان ما أن يغيروا نظامه التعليمى فوراً إلى الماركسية)[1].

وزاد الطين بلة فى القرم البلد المسلم الذى احتله الروس بالاغتصاب المسلح عام ١٧٨٣م ثم طردوا شعبه من أرضه خلال أعوام طويلة[2].

ويعد الدكتور محمد حرب خمس عشرة جمهورية أو ولاية إسلامية ابتلعها الروس وهى مجهولة من الكثير منا، لكنها كيان واقع هام[3].

كذلك يذكر أن المسلمين فى ديارنا المسلمة فى آسيا الوسطى وما حولها ينسبون عرقيًا إلى العرق التركى الكريم فى أغلبهم، وهو العرق الذى أعز الله تعالى به الإسلام على مدى قرون طويلة، ثم يقول (ومعلوم ذلك الصراع العظيم الذى راح ضحية ملايين من هؤلاء الأتراك (بواسطة الإرهاب الروس) فى سبيل بقائهم على الإسلام، ومعلوم أيضًا مدى القهر الماركسى الذى طمس الإسلام فى عقول الناس هناك)[4].

وفى العهد الشيوعى، أعلن ستالين (الإرهابى الأكبر) سياسته الرامية إلى إنهاء الإسلام فى دولة الاتحاد السوفيتى)[5]، وقد قام بطرد مسلمى القرم من بلادهم ليسكن مكانهم يهود الاتحاد السوفيتى[6].

وإذا اتخذنا سياسته الإجرامية ضد الآذريين نموذجًا، فقد هدفت إلى انقاص عدد المسلمين فى بلادهم، وتحت الإرهاب الستالينى انقلبت النسبة فى فاراباغ حيث أصبح المسلمون الآذريون أصحاب الأراضى والبلاد ربع السكان فقط (٢٥٪) وأصبح الأرض الوافدون المهجرون ثولاثة أرباع السكان، أى ٧٥٪[7]!

---

(١) د. محمد حرب (المسلمون فى آسيا الوسطى والبلقان) ص٢٢٩ سلسلة بحوث العالم التركى (١) المركز المصرى للدراسات العثمانية ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

(٢) نفسه ص٩٧.

(٣) نفسه ص١٣١

(٤) نفسه ص٢٥.

(٥) نفسه ص٥٩.

(٦) نفسه ص٩٦.

(٧) نفسه ص٦٨.

وما زلنا لا نعلم إلا القليل عن أحوال المسلمين فى العالم الشيوعى لأن أجهزة الإعلام الدولية تتجه إلى التعتيم على الأخبار إذا كان فيها إبراز لدور المسلمين[1].

من تطبيقات الإرهاب: الحرب الثقافية فى مصر نموذجًا:

يرى الفيسلوف الفرنسى جارودى أن حرب الإرهاب الغربى ليست عسكرية فحسب، بل حرب (ثقافية) فى المقام الأول. لذا نجد الأجهزة هناك يضيف لفظ التطرف للفظ الإرهاب. وتتحدث عن أن حرب الإرهاب يجب أن تمتد إلى (تجفيف المنابع) وهى تقصد بذلت محاولة القضاء على الفكر الإسلامى وأصوله.. وقد وضعت كل المسلمين فى قارب واحد وعقدت العزم على إغراقه... أو حرقه «والله غالب على أمره»[2].

ونكتفى بعرض ما حدث فى مصر كنموذج لتلك الحرب الثقافية التى استهدفت اللغة العربية. حيث قامت الدكتورة نفوسة زكريا رحمها الله تعالى، بفضح أساليب محاربة اللغة العربية الفصحى وتغليب العامية عليها بكتابها (تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها فى مصر).. والكتاب فى مجمله يقرب لنا حقيقة الدفع بين الحق والباطل فى تاريخ أمتنا العربية والإسلامية قديمًا وحديثًا، واستمرار المعارك المتوالية التى لا تخفى على عين الدارس المحقق، إذ يعبر عن حلقة من سلسلة هجمات الغرب الثقافية ضد تراثنا الإسلامى: عقيدةً وشريعة ولغة وكتابًا وسنة. إن كتاب (تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها فى مصر وثيقة نادرة صورت المعارك التى دارت بين أنصار العربية الفصحى، وبين الداعين إلى استعمال اللغة العامية، وكان الفريق الأول هم أصحاب المشروع الإسلامى المرتبط بالجامعة الإسلامية فى مواجهة دعاة التغريب والفرعونية،

---

(١) نفسه ص١٨١ أما جرائم السفاح الأكبر ستالين نحو المسلمين فتحتاج إلى مجلد.. إذ يكفى أنه يقتلع المسلمين من أراضيهم (ويشحنهم) بقطار الحيوانات إلى سربيريا ليموت الكثيرون أثناء السفر.

(٢) جارودى (قراءة فى فكر علماء الإستراتيجية) ص١٣٢ مصدر سابق ويعترف برنارد لويس بأن العالم المسيحى غزا المسلم فى كل جانب من جوانب حياته العامة بل حتى فى حياته الخاصة أيضًا، وذلك أشد إيلامًا.





لغة القرآن، قال تعالى: ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥١].

وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٤٠][1].

غير أن العاقبة للمتقين، قال تعالى: ﴿ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [آل عمران: ١٢٠]. وقد صدق الشيخ محمود شاكر فى قوله: أراه كتابًا صالحًا لكل مثقف يجد فيه مادة صحيحة لتاريخ معركة قاسية خبيثة وإذا وقانا الله شرها باليقظة فقد نجونا من المحنة الساحقة، وإذا أسأنا فابتلينا بتمام الغفلة فذلك ذل الأبد، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وقد صورت الدكتورة نفوسة زكريا هذه المعركة القاسية أدق تصوير وأشمله، فقدمت لنا نماذج واقعية تجسدت فى شكل كتب ومقالات وقصص ومسرحيات وأزجال استخدمها الخصوم فى حرب اللغة العربية الفصحى محاولين اقتلاعها وفرض العامية بدلها.

ويستمد الكتاب أهميته من فحواه المعنّى بدراسة أحد أدوات الغزو الثقافى الضارى، الذى ما زال يؤدى دوره الخبيث، فبعد جلاء الجيوش، قام الاستعمار بإحلال صنائعه محله[2]، وهو مطمئن إلى أن أفراده سيقومون بأداء أدوارهم خير قيام فى تخريب العقائد والقيم الثابتة المتوارثة، إذ فرضوا واقعًا غريبًا عن شرائع الأمة

(١) يقول الشيخ عبد الجليل عيسى (أى ولولا أن الله تعالى يسخر للقوى المعتدى من هو أقوى منه لطغى فى الأرض، وعم شره حتى خرب بيوت العبادة) ص٤٣٩.
المصحف الميسر، دار الشروق ط٥ س١٣٩١هـ.

(٢) يُنظر كتاب د. محمد البهى (الدين والحضارة الإنسانية) ج٣ ص٣/ ٥ هدية مجلة الأزهر جمادى الأولى ١٤٣٧هـ، الذى سبق الإفادة بمضمونه. انظر ص٥٧.



ونظمها فى الاجتماع والاقتصاد والتربية والسياسة والآداب والفنون، وهم من بنى جلدتنا، ويرددون المصطلحات الوافدة من الغرب كحرية الفكر والتنوير والتقدم والحداثة، ظاهرها الخداع وباطنها السم الزعاف[1].

ومن الشخصيات التى عنيت بها الدكتورة نفوسة مهندس الرى الإنجليزى (وليم ولكوكس) فقامت بتلخيص محاضرته التى ألقاها عام ١٨٩٣م بعنوان (لِم لمْ توجد قوة الاختراع لدى المصريين الآن).

هذا، وقد كشف الأستاذ أنور الجندى عن مهمة أخرى قام بها إذ جمع بين الأشخاص المتعاونين مع الاستعمار وكما حرص النفوذ الاستعمارى على إذاعة أسمائهم وخلق هالات من الضوء حولهم مع دعوته للغة العامية ودعوة المصريين إلى التماس نهضتهم فى ظل العامية، وبيّن قيامه (بدور كبير فى تأريث النفوذ البريطانى وتوزيع أراض الدائرة السنية، على الباشوات أعوان الاستعمار، هؤلاء الذين خلق منهم «كرومر- الحاكم الفعلى للبلاد من وراء الستار -الطبقة الجديدة التى أطلق عليها اسم «أصحاب المصالح» وكانوا يمثلون القوة الفعلية التى يسيطر بها النفوذ البريطانى فى مصر، وعليهم ركز كرومر فى بناء «مصر الحديثة» فمنهم خرج رجال الأحزاب السياسية وكان لأبنائهم دور كبير فى الحرب العالمية الأولى. وكانت هذه المدرسة تؤمن بأن الاستعمار البريطانى باق ولابد من التعاون معه على أساس مفاهيمه وفلسفته التى عبر عنها (لطفى السيد) فى (الجريدة) من إعلاء الوطنية الضيقة، ورفض الوحدة العربية والجامعة الإسلامية، والإيمان بالثقافة الإنجليزية والفكر الغربى فى مفاهيمه السياسية والاقتصادية)[2].

---

(١) يقول الشيخ أبو بكر الجزائرى (وأخيرًا، وبعد أن قررت أوروبا التخلى عن مستعمراتها الإسلامية لعدم الجدوى لها فى بقائها فيها، صنعت على عينها، وبيدها رجالاً من مستعمراتها ملء إهاب أحدهم عداوة للإسلام، وحنقًا عليه وتقززًا منه، واستخفافًا به، وبمبادئه وشرائعه، وسلمتهم السلطة المحلية، رخرجت من الباب لتعود من النافذة، وتجلس على عرش قلوب أولئك الصنائع لتسخرهم، عملاء لها، يواصلون نيابة عنها حربهم للإسلام وأهله.. ص٥٨ من كتابه (عقيدة المؤمن) ط دار السلام سنة ٢٠٠٠م.

(٢) أنور الجندى (مقدمات العلوم والمناهج- المجلد الخامس).



ولقد حرص النفوذ الاستعمارى على إذاعة أسمائهم وخلق هالات من الضوء حولهم، كما أفسح لهم مجال الشهرة والغنى، وهم المتصدرون للمعارك فى جرأة المطمئن إلى سناده الذى يحميه(١).

وقد أجاد الأستاذ أنور الجندى -رحمه الله تعالى فى تأصيل الدعوات المشبوهة والهادمة- ومنها الدعوة إلى العامية وأرجعها إلى (الكود) الأصلى (الذى كتبه المبشرون والمستشرقون فى مختلف جوانب الرأى فى اللغة العربية والإسلام والتاريخ والحضارة الإسلامية(٢).

ويرى أنه من السهل على الباحث المثقف إرجاع الشبهات التى أثارها أمثال شبلى شميل وفرح أنطون وجرجى زيدان وسلامة موسى وإسماعيل مظهر وطه حسين وساطع الحصرى.. إرجاعها إلى مصادرها من كتب المستشرقين والمبشرين.

وكما تصدت الدكتورة نفوسة رحمها الله تعالى للدعاة للغة العامية على حساب العربية، تصدى قبلها علماء وكتاب وصحفيون مخلصون لكافة تلك الدعاوى المشبوهة، ومن واجب الأجيال الجديدة معرفة آرائهم والإطلاع على كتبهم للتواصل بين الأجيال وتقوية المناعة الذاتية لكافة الهجمات التى تعرض ويتعرض لها الإسلام حتى يومنا هذا. ومن هؤلاء: صادق الرافعى، ومحب الدين الخطيب، وعبد الوهاب عزام وشكيب أرسلان ولطفى جمعه وفريد وجدى وعمر فروخ ورشيد رضا والخضر حسين ومحمد أحمد الغمراوى ومصطفى الغلاينى وعبد العزيز جاويش وعلى يوسف ومصطفى كامل، وغيرهم.. وهم فى مجموعهم رواد حركة اليقظة الفكرية الإسلامية العربية فى العصر الحديث(٣)، وأعمدة المشروع الإسلامى للنهضة البديل للمشروع التغريبى الذى فُرض قسراً على الأمة.

---

(١) نفسه ص٥٣.

(٢) نفسه ص٥٨.

(٣) ص٥٢ و ص٥٨ المصدر نفسه.





ولقد حرص النفوذ الاستعمارى على إذاعة أسمائهم وخلق هالات من الضوء حولهم، كما أفسح لهم مجال الشهرة والغنى، وهم المتصدرون للمعارك فى جرأة المطمئن إلى سناده الذى يحميه(١).

وقد أجاد الأستاذ أنور الجندى -رحمه الله تعالى فى تأصيل الدعوات المشبوهة والهادمة- ومنها الدعوة إلى العامية وأرجعها إلى (الكود) الأصلى (الذى كتبه المبشرون والمستشرقون فى مختلف جوانب الرأى فى اللغة العربية والإسلام والتاريخ والحضارة الإسلامية(٢).

ويرى أنه من السهل على الباحث المثقف إرجاع الشبهات التى أثارها أمثال شبلى شميل وفرح أنطون وجرجى زيدان وسلامة موسى وإسماعيل مظهر وطه حسين وساطع الحصرى.. إرجاعها إلى مصادرها من كتب المستشرقين والمبشرين.

وكما تصدت الدكتورة نفوسة رحمها الله تعالى للدعاة للغة العامية على حساب العربية، تصدى قبلها علماء وكتاب وصحفيون مخلصون لكافة تلك الدعاوى المشبوهة، ومن واجب الأجيال الجديدة معرفة آرائهم والإطلاع على كتبهم للتواصل بين الأجيال وتقوية المناعة الذاتية لكافة الهجمات التى تعرض ويتعرض لها الإسلام حتى يومنا هذا. ومن هؤلاء: صادق الرافعى، ومحب الدين الخطيب، وعبد الوهاب عزام وشكيب أرسلان ولطفى جمعه وفريد وجدى وعمر فروخ ورشيد رضا والخضر حسين ومحمد أحمد الغمراوى ومصطفى الغلايينى وعبد العزيز جاويش وعلى يوسف ومصطفى كامل، وغيرهم.. وهم فى مجموعهم رواد حركة اليقظة الفكرية الإسلامية العربية فى العصر الحديث(٣)، وأعمدة المشروع الإسلامى للنهضة البديل للمشروع التغريبى الذى فُرض قسراً على الأمة.

(١) نفسه ص٥٣.
(٢) نفسه ص٥٨.
(٣) ص٥٢ و ص٥٨ المصدر نفسه.



وأمام الحملات القاسية للتنديد بحالة الشعوب الإسلامية والازدراء بها فى المجالات الدولية العالمية والغض من اللغة العربية الفصحى وإحلال العامية محلها . . أمام ذلك كله انبرى من كان من دعاة التغريب، وهو الدكتور محمد حسين هيكل بعد اكتشاف الحقيقة أمامه كاملة فكتب قائلاً (**إن التبشير ليس إلا وسيلة أكيدة لتوهين القيم الإسلامية والعربية فى نفوس المسلمين والعرب وذلك لإحكام سيطرة النفوذ الأجنبى والاستعمارى على العالم الإسلامى**)، ثم قال (إن الذين درسوا فى أوروبا -يقصد نفسه ومجموعة من زملائه (طه حسين ومحمود عزمى ومصطفى عبد الرازق -كانوا هم رسل الحضارة الغربية الداعين إليها فى مصر ظنًا منهم أن ذلك هو السبيل إلى نهضتها، هؤلاء الشباب تفتحت عيونهم على حقيقة الأمر بعد الحرب، فقد أدركوا أن كل ما بذلت الشعوب العربية من تضحيات لم يكن إلا فى سبيل الاستعمار، من التعصب الدينى وهى دول متعصبة مسيحيًا ولم تنس معه الحروب الصليبية، حتى أن قائدًا كبيراً من قوادهم هو (ألّنبى) قال يوم استولى على القدس إن الحروب الصليبية قد انتهت[1]!

إن هذا الهاجس هو الشغل الشاغل الساسة الغرب وقادته، وهو الدافع لوأد المشروع الإسلامى للنهضة الذى تمثل حينذاك فى الجامعة الإسلامية، مستخدمًا كل الوسائل المتاحة له -كما رأينا مخطط كرومر -الحاكم الفعلى لمصر أثناء الاحتلال- وكما أوردت الدكتورة نفوسه بكتابها قول محب الدين الخطيب إذ اقترن الدفاع عن اللغة العربية

---

(١) نفسه ص٤٥، وما زال التعصب قائمًا حتى الآن، خذ مثلاً أن مجلة (شئون دولية) التى تصدر بلندن عن جامعة كمبردج تقول (لقد شعر الكثيرون بالحاجة إلى اكتشاف تهديد يحل محل التهديد السوفيتى، وبالنسبة لهذا الغرض فإن الإسلام جاهر فى التناول! فالإسلام مقاوم للعلمنة، وسيطرته على المؤمنين به قوية، وهى أقوى الآن عما كانت عليه من مائة سنة مضت، لذلك فهو، من الثقافات الموجودة فى الجنوب، هو الهدف المباشر للحملة الغربية الجديدة ليس لسبب سوى أنه الثقافة الوحيدة القادرة على توجيه تحد فعلى وحقيقى المجتمعات غربية يسودها مذهب اللا أدرية، وفتور الهمة واللامبالاة، وهى آفات من شأنها أن تؤدى إلى هلاك تلك المجتمعات تمامًا، فضلاً عن هلاكها المعنوى) مقال بعنوان «ماذا يتبقى من عبد الرحمن بدوى) بقلم زغلول عبد الحميد -مجلة المختار الإسلامى ٤/ ١٠/ ٢٠١٥م العدد ٣٩٦ هذا -ويسود الآن فى الغرب مصطلح (الإسلامو فوبيا) ويعنى الارتباط فى كل مسلم وعربى باعتباره إرهابيًا . ص٢٨٣ من كتاب «الإسلاموفوبيا»، الحملة الأيديولوجية ضد المسلمين لمؤلفه ستيفن شيهى، ترجمة د/ فاطمة نصر ط سطور الجديدة بالقاهرة .

الفصحى بالاستمساك بالانتماء الحضارى للأمة الإسلامية ومن مقوماتها الثابتة العربية الفصحى، لغة القرآن الكريم.

وكما ورد على لسان شكيب أرسلان حيث وصف الداعين للعامية بقوله (إن هذه الفئة تحارب القرآن والحديث وجميع الآثار الإسلامية، وتريد أن تتبدل بها من كلام الجاهلية وكلام فصحاء العرب، وأنها لا تحارب اللغة العربية نفسها ولكنها تحارب منها القرآن.. وكرر (القرآن)، ثمّ يستطرد لبيان غرضهم النهائى من غض مكانة القرآن فى صدور الناس ومن ثم طعن الإسلام طعنة سياسية فى أحشائه.. على حين هم يزعمون أن الموضوع لغوى لا يدخل للسياسية وهم من يريدون هدم الأمة فى لغتها وآدابها خدمة لمبدأ الاستعمار الأوروبى[(١)].

كذلك وصفهم أحمد زكى باشا بقوله (من بواعث الأسى فى نفسى ودواعى الأسف فى قلبى أن بعض أنصاف العلماء فى مصر وسوريا، وأن بعض أشباه المتعلمين وأشباه الأشياخ فى هذين القطرين الشقيقين قد أصابهم التفرنج بداء الحذلقة والتشكك، فصاروا لا يرون لأجدادهم فضلاً ولا يعرفون لهم مبّره ولا يذكرون عنهم مفخرة، بل صار أولاد الحلال هؤلاء يطأطئون رءوسهم أمام كل إفرنجى، ويخرون ساجدين لكل وارد عليهم من بلاد الإفرنج أو باسم الإفرنج، حتى قد أصبحوا وهم يرون العلم كل العلم ما جاءهم ولو بطريق التحريف أو على سبيل التخريف عن المستشرق فلان أو المسيوعلان[(٢)]!

ويبدو أن التفرنج هذا قد انتقلت عدواه من جيل إلى جيل حتى وصل إلينا الآن فى شكل مذهب (الحداثة)، ومحصلته النهائية انبهار بالعقل الغربى، والدعوة إلى القطيعة مع الماضى، وتعمد الغموض والإبهام والمراوغة)[(٣)].

---

(١) شكيب أرسلان مقال بعنوان «ما وراء الأكمة» منشور بمجلة (الزهراء) ونقله مصطفى صادق الرافعى بكتابه (تحت راية القرآن) ص٣١ وما بعدها المكتبة التجارية بمصر ١٣٨٥هـ- ١٩٦٦م.

(٢) نفسه ص٢٨٩/ ٢٩٠.

(٣) د. عبد العزيز حمودة (المرايا المقعرة) ص٩٨ سنة ٢٠٠١م (عالم المعرفة الكويتى رقم ٢٧٢ «نحو نظرية نقدية عربية».

يقول الدكتور عبد العزيز حمودة فى دراسته المستوعبة للحداثة (فبالإضافة إلى تأكيد الحداثة العربية للتبعية الثقافية التى أفرغت الثورة أو التمرد الحداثى المبدئى من مضمونه بعد أن حولتنا إلى قطع من الشطرنج تحركها مصالح الإمبريالية الجديدة تحت عباءة الكونية والعولمة، وإلى راقصين يتواثبون فى فوضى مع أنغام عازف دفعت أجره مبكرًا ومقدمًا المخابرات الأجنبية، الغربية والشرقية على السواء، يضيف الحداثيون وما بعد الحداثيين العرب إلى خطاياهم، خطيئة جديدة، وهى العبث بالعقل العربى)[1].

إن فحوى الكتاب يتصل اتصالاً وثيقًا كما أسلفنا بتاريخنا المعاصر المشحون بالأحداث الأليمة التى سببها الاستعمار -وما يزال لأمتنا، استغلالاً لأراضيها، ونهبًا لثرواتها، واغتصابًا لمقدّساتها (مدينة القدس والمسجد الأقصى)، فضلاً عن طعناته المسمومة لثوابتها، وفى مقدمتها العقيدة واللغة العربية الفصحى، بعد فشله فى اقتلاعها من النفوس، لأنه استفاد الدرس من حصيلة تجارب حروبه الصليبية، فتأكد أنها الدرع الفولاذى الذى احتضنته الأمة، فانتصرت. وما لم نستفد من تجارب التاريخ كدروس ننتفع بها فى طريق مستقبلنا، نكون قد ضيعنا أعمارنا سدًى، وهذا ما لا يفعله عاقل!

ومن أهم النتائج التى أبرزتها الدكتورة نفوسة زكريا أن الداعين للغة العامية رموا إلى القضاء على الجامعة العربية والجامعة الإسلامية عن طريق القضاء على رابطة أهم من روابطها، وهى اللغة العربية الفصحى، لغة الفكر والأدب بين العرب ولغة القرآن والحديث والفقه بين المسلمين والكتاب -مع كبر حجمه وتنوع قضاياه، فإنه يعد مصدرًا هامًا لعلماء اللغة العربية، وقضية الصراع بين الحضارات، والغزو الثقافى الأجنبى، أو ما أطلق عليه جارودى اسم (الحرب الثقافية).

---

(١) نفسه ص٩٨

ويشير الدكتور عبد العزيز بعبارته أعلاه عن (أنغام العازف)، إلى كتاب بعنوان (من دفع أجرة العازف)؟ لباحثة إنجليزية اسمها فرانسيس ستونر، معتمدة على مئات الوثائق التى أفرجت عنها الإدارة الأمريكية بسبب التقادم وعرفت من بعضها، دور المخابرات الأمريكية والبريطانية فى تمويل الأنشطة الحداثية، وعنوان كتابها جزء من مثل إنجليزى يقول «من يدفع أجر العازف يختر اللحن» ص٧٥ نفس المصدر.



• الفصل الخامس:

مسئولية الغرب عن غرس إسرائيل وإرهابها

تمهيد:

الإرهاب وسيلة اغتصاب أرض فلسطين:

قال المؤرخ الإنجليزى الذائع الصيت أرنولد توينبى:

إن الحركة الصهيونية قد جمعت بين جنبيْها أسوأ ما فى الحضارة الغربية: القومية العمياء، والاستعمار! فإن استيلاء الحركة الصهيونية على بيوت وأراضى وأملاك ٩٠٠ ألف عربى فى فلسطين، هم الآن لاجئون ليس أدنى من الناحية الأخلاقية من أبشع الجرائم التى ارتكبت خلال الخمسة قرون الأخيرة بواسطة الغزاة والمستعمرين وهذا هو حكمى الأخير على تاريخ الصهيونية فى فلسطين. إن اليهود من بين كل شعوب العالم، لهم أطول تاريخ فى التعرض للاضطهاد. وقيام اليهود بتحميل طرف ثالث مسئولية الاضطهاد الذى لاقوه على يد الغرب. يشكك المرء فى الطبيعة الإنسانية كلها[1].

إن تحليل عبارة توينبى لتقودنا إلى معرفة خصال حضارة الغرب برمتها، فإن اغتصاب أرض فلسطين وتشريد أهلها بالإرهاب والبطش وإذاعة الدعايات الكاذبة، مع نقض العهود والمواثيق، والميكافيلية.. كل ذلك يجمع فصول رواية أغرب من الخيال، ولولا أنها مروية بالوثائق وشهود العيان لما أمكن تصديقها[2]!

ونكتفى بتسجيل وقائع الغدر الصهيونى، ومن ورائه خيانة انجلترا للعرب وسماحها للعصابات اليهودية بدخول أرض فلسطين لتفتك بسكانها، إذ قبل شهرين من انتهاء

---

(١) أحمد بهاء الدين (إسرائيليات. وما بعد العدوان) ص٢١٤ كتاب الهلال بمصر شعبان ١٣٨٧هـ- نوفمبر سنة ١٩٦٧م.

(٢) ويرى الدكتور مصطفى محمود أنها حملة صليبية جديدة تقودها القوى الصهيونية.. بدأوها باتهام الإسلام بالإرهاب وتشويهه (وهم الذين صنعوا هذا الإرهاب وموّلوه واحتضنوا أقطابه حتى يجدوا لهجمتهم الشاملة على كل ديار الإسلام لكسر شوكة المسلمين وإضعاف الدول الإسلامية وإرهابها تمهيداً للهيمنة الإسرائيلية القادمة...
ويقول أيضًا (والصليبية هذه المرة صليبية يهودية وهى مثل سابقتها أيام صلاح الدين قادمة من أوروبا من يهود ونصارى أوروبا) ص ٧٩/ ٨٠/ ٨١ من كتابه (عظماء الدنيا وعظماء الآخرة) ط أخبار اليوم سنة ١٩٩٦م.

الانتداب البريطاني على فلسطين في ١٥/ ٥/ ١٩٤٨ أمطرت العصابة المعروفة باسم (الهاجانا) كل الأرض بمنشورات تقول فيها (على الذين يودون تجنب هذه الحرب والنجاة بحياتهم أن يهربوا بأزواجهم وأطفالهم لأنها ستكون حربًا وحشية لا ترحم) وعمدوا صباح ٩/ ٤/ ١٩٤٨ إلى مهاجمة قرية (دير ياسين) وقتلوا «٢٥٤» عربيًا يشكلون معظم سكان القرية، وقاموا بتصوير جثث القتلى وتسريبها إلى القرى الأخرى ومعها التحذير التالي: «هذا ما ينتظركم إذا لم تغادروا» ومع انتهاء الانتداب الإنجليزي في ١٥/ ٥/ ١٩٤٨ كان هناك ربع مليون عربي فلسطيني قد تم طردهم بالقوة من بلادهم، مما دفع بالمؤرخ الروسي مادز هوريان على التعليق بقوله (لو نُفذت هذه العمليات ضد اليهود في أي بلد في العالم لسميت إبادة، وهذا صحيح. ولكن عندما تم الشيء نفسه ضد العرب أطلق عليه الصهيونيين الاستعماريون: الحصول على أرض بدون شعب لشعب بلا أرض)[1].

أن ما حدث في مذبحة دير ياسين أمر لا يصدقه عقل لفداحته وبشاعته لولا أن اليهود حرصوا على تصويره لتحذير باقي سكان فلسطين من مصير أهل دير ياسين.

وجاء ضمن تفاصيل تلك الجريمة التاريخية المروعة، أن من الضحايا (خمس وعشرون امرأة حبلى بقرت بطونهن وهن على قيد الحياة برؤوس الحراب! ومن هؤلاء كذلك اثنان وخمسون طفلاً قطعت أوصالهم أمام أمهاتهم، ثم ذبحوا واجتزت رقابهم في أحضان أمهاتهم ثم أجهز على الأمهات العربيات ومثل بهن كما قتل ومثل بنحو ستين امرأة وفتاة أخرى... ثم جمعوا من بقى على قيد الحياة من النساء والبنات العربيات وجردوهن من ثيابهن ووضعوهن في سيارات نقل مفتوحة وطيف بهن في الشوارع اليهودية من مدينة القدس... وطاب لكثير من اليهود أخذ صور فوتوغرافية تذكارية لهذه الحرمات المهتوكة والأعراض المستباحة)[2].

---

(١) د. عبد الرحيم أحمد حسين (النشاط الصهيوني خلال الحرب العالمية الثانية «١٩٣٩ - ١٩٤٥» ص ٣٢١. المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت سنة ١٩٨٤م.

(٢) محمد عبد العزيز منصور (اليهود المغضوب عليهم) ص١٢٦/ ١٢٧ ط دار الاعتصام بالقاهرة سنة ١٩٨٠م= ١٤٠٠هـ.





هذه بعض جرائم «السفاح بيجين» وعصابة «الأرجون زفاى ليومى» وقس على ذلك ما فعله أمثال بيجين من قادة العصابات الإرهابية . وقد تعمد هذا الإرهابى تسجيل بعض الجرائم فى كتابه «الثورة» مفتخراً بها ومهدداً أيضًا . . وقد سجل فيه سلسلة طويلة من العمليات الإجرامية التى قامت بها تلك العصابة، وكيف سلبوا أسلحة الإنجليز ونهبوا أموالهم، وكيف جلدوا الضباط الإنجليز مقابل جلدهم لأعضاء العصابة الذين وقعوا فى أيديهم، وكيف شنقوا عدداً كبيراً من ضباط الإنجليز . . . وكيف نسفوا فندق الملك داود بالقدس، واقتحموا السجون لتحرير رجال العصابة، وتحدوا الأحكام العرفية التى فرضها الإنجليز، وظلوا يواصلون هجماتهم برغم محاصرة الجيش البريطانى لكل مدينة وقرية ومستعمرة يهودية فى فلسطين، وقد أثبت بيجين أن تخلى بريطانيا وجلاءها عنها نهائيًا فى ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ كان النتيجة المباشرة لهذه العمليات الإرهابية[١] .

وقد استخدم هذا الأسلوب الدموى لإلقاء الرعب فى قلوب الفلسطينيين، إذ قال بالحرف الواحد فى كتابه «الثورة» (لقد خلقنا جواً من الرعب المجنون جعل أكثر من ٧٥٠ ألف عربى يفرون، تاركين وراءهم كل شيء . . الأمر الذى كان له أهمية سياسية واقتصادية لا حدود لها)[٢] .

فكان الإرهاب هو الدعامة الأساسية لقيام الكيان الصهيونى واغتصاب أرض فلسطين، بل إن إسرائيل أقامت دولتها الدينية على جماجم الفلسطينيين وارتكبت فى سبيل ذلك المجازر متخطية العوائق مهما كانت مثال ذلك قتلها الكونت برنادوت وسيط هيئة الأمم المتحدة ورفيقه الكولونيل الفرنسى عندما أراد الكونت فى عام ١٩٤٨ أن يرد للفلسطينيين جزءاً من أرضهم التى اغتصبها اليهود حيث أرادوا أكثر مما فى أيديهم (وقد تأكد ذلك بعد الهزيمة المروعة للعرب عام ١٩٦٧ حيث استولى اليهود على كامل سيناء والجولان والضفة الغربية للأردن والقدس العربية ومسجدها الأقصى

---

(١) نفسه ص١٢٨/ ١٢٩ .

(٢) نفسه ص١٦ .



المبارك، فهذا التخاذل والانهيار كان نتيجة فى القيادات العربية العليا الفاسدة وقتئذ التى ساعدت على تحقيق حلم الصهيونية العالمية لدولة إسرائيل الكبرى)[١].

ونسبوا إلى التوراة المفتراه -كذبًا على الله تعالى- القول (حين تقرب من مدينة لتحاربها استدعها إلى الصلح فإن أجابتك وسلمت لك فكل من بها عبيد لك، وإن لم تسالمك وحاربتك فحاصرها، فإذا دفعها الرب إليك إلى يديك فاضرب جميع ذكورها بالسيف وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما فى المدينة فهو غنيمة لك!!)[٢]. . وفى بعض الأسفار اليهودية (سفر الملوك الثانى، وصايا بقطع الأشجار، وتخريب المزارع والحدائق، وطمس الآبار[٣].

وهكذا ارتبط تاريخ اليهود الطويل بالإرهاب الإجرامى، وكانوا يبيحون لأنفسهم سلوك طرق خارجة عن الطبيعة البشرية، معتمدين على التوراة والتلمود والبروتوكلات (التى كتبها أحبارهم وحاخاماتهم كما أخبرنا الله بذلك فى كتابه العزيز ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾[البقرة: ٧٩][٤].

ونقل الأستاذ فتحى رضوان عن الكاتب الإنجليزى «دوجلاس ريد» قوله (لم تكن الدولة الصهيونية من أهداف الحرب الدولية الثانية، ولم يعلن عنها عند تعبئة الشعوب للحرب، ومع ذلك فإن هيئة دولية سميت باسم هيئة الأمم المتحدة سلمت أرض العرب المسالمين إلى غاصبيها من شرق أوروبا، وقدمت لهؤلاء الأخيرين الأموال والأسلحة والمجاهدين من أمريكا وروسيا، وقد شكا وزير صهيونى من أن ما تطلبه عملية إنشاء دولة إسرائيل من نفقات بلغت مائة مليون جنيه لم يقدم لها من الخارج سوى ٢٥ مليونًا فقط.

وفى هذه القضية وحدها أجيز الاغتصاب، والتعدى، وتخلى العالم الغربى عن تعاليمه ومبادئه التى حارب من أجلها حربين عالميتين، ولم يعرف التاريخ فضيحة كهذه[٥].

---

(١) نفسه ص١٤٣. (٢) نفسه ص١٦٤.

(٣) نفسه ص١٦٥. (٤) نفسه ص٢٩٨.

(٥) (فتحى رضوان) مع الإنسان الحرب والسلام ص٥١٠ ولكن الأستاذ فتحى رضوان يعلق على الكاتب بقوله (لا نوافق على ما رآه الكاتب، فالحربان العالميتان كانتا صراعًا بواعثه أنانية صرفة، ولا صلة له بمبادئ من أى نوع! (مع الإنسان فى الحرب والسلام).

وينقل الأستاذ فتحى رضوان عن ليليانتول فى كتابه (ثمن إسرائيل) أن وزراء فى حكومة ترومان ومنهم مستر باركلى وكيل ترومان نفسه، كانوا يؤجرون أنفسهم للدعاية الصهيونية، وكان لكل منهم سعر معروف، فكان ما يتقاضاه باركلى هو ١٥٠٠ دولار للمحاضرة. . . وخلاصة هذا كله، أن إسرائيل ثمرة عنف واسع المدى، عميق الجذور، بعيد الأهداف، وأنه عنف مادى ضار، يستعمل السلاح للتحطيم المباشر، ويستعمل المال، والمؤامرة لتحطيم غير مباشر لجميع القيم، والأشخاص التى تعترض سبيله وأنه يستبيح كل وسيلة، ويسير فى كل طريق، ويستحل كل أداة، ليفرض نفوذه، ويبسط إرادته، وينشر الرعب منه، والطمع فيه، وأنه يكمم الأفواه، ويلجم الضمائر، ويلقى الفزع فى القلوب، وهو يستفحل ويشتد مع الأيام، لأنه يضيف إلى كل قوته القديمة قوة يكسبها، مع الأيام ويفتن فى إرهاف أسلحته[١].

يقول الأستاذ صلاح الدين حافظ:

(وبهذا المعنى فهى دولة عنصرية طائفية دينية، أكثر منها دولة علمانية ديمقراطية، لكن الدعم الغربى والترويج الدعائى نجح لعقود فى تصوير إسرائيل على أنها جزء لا يتجزأ من الحضارة الغربية القائمة على جناحى العلمانية والديمقراطية)[٢].

سار اليهود بفلسطين على طريق المهاجرين الأوائل لأرض أمريكا:

وباسترجاع تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية يتضح التشابه مع تاريخ إسرائيل، وقد صدرت كثير من البحوث والمؤلفات التى تقارن بين الدولتين فى النشأة والسلوك والفلسفة العنصرية، إذ تتطابق عمليات الغزو الصهيونى لأرض فلسطين مع ما فعله المهاجرون الأوائل للأرض الأمريكية بعمليات ما يسمى بالتطهير العرقى.

يقول جارودى (بدأت الولايات المتحدة الأمريكية تاريخها بعمليات «التطهير

(١) فتحى رضوان ص٥١٢ (مع الإنسان فى الحرب والسلام) ط دار المعارف بمصر.
(٢) مقال بعنوان (بوش والدولة الفلسطينية. . . أوهام تتبدد) الأهرام فى ١٦/ ١/ ٢٠٠٨م.



العرقى للسكان الأصليين من الهنود الحمر. ثم استرق بعد ذلك المجتمع الأمريكى زنوج أفريقيا أكثر من قرن من بعد (إعلان الاستقلال) مع ممارسة سياسة التمييز العنصرى حتّى أيامنا هذه)[1].

ثم يذكر جارودى أن العنف الذى تمارسه الولايات المتحدة فى سياستها الخارجية إنما هو امتداد لما يُمارس فى الحياة داخليًا مستندًا إلى تصريح السيناتور ألبرت جى بفريدج منذ عام ١٨٩٨م الذى قال فيه:

(التجارة الدولية يجب أن نستحوذ على النصيب الأعظم منها، وأن نقوم بغزو البحار والسيطرة على التجارة البحرية من خلال تملك أسطول ضخم يتناسب مع قوتنا وطموحاتنا. فهناك مستعمرات كبيرة تحكم نفسها ويمكننا أن تتغلب على مراكبنا، لذا يجب أن نضع نصب أعينا ضرورة السيطرة على الطرق التجارية، وأن يرفرف علمنا على العديد من مناطق العالم من خلال وصول تجارتنا إلى هذه المناطق. يجب أن تصمم مؤسساتنا على وصول القانون الأمريكى والعلم الأمريكى والنظام الأمريكى والحضارة الأمريكية إلى هذه المناطق والطرق التجارية فى العالم. وقد يكون ذلك بصورة دموية.. وستكون نعمة الرب معنا حتى يصبح نجمنا ساطعًا فى أرجاء عديدة من العالم)[2].

وكان عدد الهنود الحمر فى الأمريكيتين أكثر من خمسين مليونًا، وبسبب الإرهاب الأمريكى أصبح أقل من ثمانى ملايين وهم الشعب الأصلى الذى سكن تلك الأرض.. وقام القائد الأمريكى (البريطانى الأصل سنة ١٧٦٣ برمى بطانيات كانت تستخدم فى مصحات علاج الجدرى إلى الهنود الحمر مما أدى إلى انتشار الوباء الذى نتج عنه موت الملايين من الهنود ورافقت حملات الإرهاب والإبادة ضد الهنود الحمر حملات الاسترقاق من أفريقيا، والتى كان أهم تجارها من البروتستانت واليهود، وهى

(١) روجيه جارودى (الإرهاب الغربى) جـ٥ ص٣٢ تعريب عبد المسيح على مكتبة الشروق الدولية، القاهرة ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

(٢) نفسه ص٣٦ ويرى جارودى أنه يحث إعادة النظر فى فكرة المركزية العرقة لأوروبا، إذ أصبحت تابعة وخاضعة لأمريكا ولا تتوقف عن التدليس لمصلحة أمريكا منذ أكثر من خمسين عامًا ص١٣٣.

بحق (أفظع جريمة إبادة وتهجير فى التاريخ، وهى تجارة الرقيق الأسود بعد اصطيادهم وأسرهم من السواحل الأفريقية فى عمليات إجرام، أدت إلى مآسى طالت خمسين مليون أفريقى أسود تم شحنهم من القارة الأفريقية، وقد هلك معظمهم قبل أن يصلوا إلى العالم الجديد، مما لاقوه من العذاب والجوع والقهر . . . **هل هناك إرهاب أفظع من هذا؟**[1] .

ومن الأمثلة الأخرى ما رحب به جون كونيسى ادافر عام ١٨١٨ بفاعلية الذبح بحق حشود الهنود والسود، وقال إن المذابح التى ارتكبها اندرو جاكسون فى فلوريدا والتى أدت إلى محو السكان الأصليين ووضع الولاية تحت حكم أمريكا أثرت إيجابيًا على توماس جيفرسون . . وقال (**أن استخدام الإرهاب لهو من صميم ثقافتنا الوطنية**)[2] .

وقد قورن الرواد اليهود فى فلسطين بالرواد الأمريكيين الأوائل الذين مهدوا البلاد للاستيطان فى العالم الجديد، فإن تجفيف المستنقعات وإقامة البساتين وجمع المحاصيل وتخطيط المدن –والذى قام به الرواد الأوائل لفلسطين - تذكر الأمريكيين بالصورة التى لا تُنسى عن أيام ريادتهم الأولى فى الماضى القريب. وحتى الموقف العدائى الذى تقفه بعض العناصر العربية من جهود الاستعمار اليهودى تذكر الأمريكيين بنضالهم من أجل إقامة حضارة فى أرض غير مكتظة بالسكان[3] .

ولكن أجهزة الأعلام الغربية تتجاهل عن عمد كل هذه الصنوف من الإرهاب الأسود الجامع ككل أنواع الجرائم ضد البشرية، تتجاهل ذلك وتركز على الإرهاب تحت اسم الإسلام، بينما هناك إحصائية حديثة للبوليس الدولى الأوروبى تقول (بأنه وقع فى دول الاتحاد والأوروبى ٤٩٨ هجومًا إرهابيًا فى عام ٢٠٠٦، منها ٤٢٤ هجمة قامت بها الجماعات الانفصالية و٥٥ هجمة من متطرفين يساريين، و١٨ هجمة من

---

(١) د. رائد العزاوى (أمريكا والإسلام والإرهاب) ص١٣٨ مكتبة مدبولى سنة ٢٠٠٩م.

(٢) نزار بشير (حضارة الدم وحصادها، فصول من تاريخ الإرهاب الأمريكى ص٣٢٤ ط الزهراء للإعلام العربى بمصر ٢٠٠٣م.

(٣) د. ريجينا شريف (الصهيونية غير اليهودية) ص١٥٥ ترجمة أحمد عبد العزيز مكتبة الشروق الدولية بمصر ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.



مختلف الإرهابيين، ولم تقع سوى هجمة واحدة من إسلاميين، وهذه الأرقام تكشف المدى الأيديولوجى الواسع للإرهابيين المحتملين فى العالم)[1].

إسرائيل وإرهاب الدولة المنظم:

إن جرائم اليهود المروعة من القتل والنهب وحرق القرى وغيرها من أعمال الإفساد والإرهاب الحقيقى، هذه الجرائم ليست عشوائية ولكنها تستند إلى نصوص من كتبهم الدينية وغيرها من مصادر كالتوراة والتلمود وبرتوكولات حكماء صهيون:

وهذه الأخيرة تحتاج إلى بعض الشرح والتحليل لأنها تحتوى على المخطط الصهيونى وترسم الطريق الذى يوصل اليهود إلى السيطرة على العالم بكافة الطرق ﴿ **وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ** ﴾ [المائدة: ٦٤]. وسنكتفى بالإشارة إلى بعض نصوص تلك البروتوكلات، وقد ثبت من عدة مصادر أنها من وضع وتأليف حكمائهم (أى شياطينهم) كما ورد على لسان يهودى مصرى.

يقول الأستاذ وجيه أبو ذكرى (فى القاهرة، اتصل بى طبيب أسنان يهودى مقيم فى مصر، وطلب منى أن أحضر أحد أعيادهم الشعبية فى المحلة الكبرى، وكان ذلك عام ١٩٦٤ -وذلك ليعرف العالم التسامح الدينى الموجود فى مصر منذ فجر التاريخ وذهبت إلى الطبيب، والتقيت به فى منزله بمدينة المحلة الكبرى الموجودة فى دلتا مصر وسألته عن (بروتوكولات حكماء صهيون)، هل هى حقيقة أم نوع من الخيال، وهل هى مدسوسة على اليهود، كما تدّعى إسرائيل، أم أنها حقيقة؟

فقال لى الطبيب اليهودى الذى رفض الهجرة إلى إسرائيل، إن هذه البروتوكولات موجودة فى المعابد اليهودية فى كل أنحاء العالم بما فى ذلك مصر، وأن حاخامات المعابد يحفظونها عن ظهر قلب، ولأنها بروتوكولات سياسية فإن الحاخام يشرح الكثير منها فى أيام السبت دون أن يذكر أن هذه هى البروتوكولات...

(١) بدر محمد بدر (ثلاثون كتابًا فى كتاب) ص٢٠٩ ط سطور الجديدة الأولى بالقاهرة سنة ٢٠٠٩م والنص مقتبس من كتاب بعنوان (ماذا لو لم يظهر الإسلام)؟ لمؤلفه جراهام فولر -الشروق الدولية ٢٠٠٨م.



باختصار شديد، فإن هذه البروتوكولات -ومعى نسخة منها- هى دعوة لتدمير العالم، وسيطرة اليهود على هذا العالم، لأنهم الشعب الأقوى. . الشعب العبقرى، شعب الله المختار، وللوصول إلى ذلك -فلقد أباحت البروتوكولات كل الوسائل غير المشروعة- لتحقيق الحكومة اليهودية العالمية التى تسيطر على هذه الأرض.

لست هنا أقوم ببحث عن صحة أو عدم صحة هذه البروتوكولات، ولكن هى تأتى منسجمة تمامًا مع الفكر اليهودى الذى جاء فى العهد القديم وفى التلمود)[١].

وينص البروتوكول الخامس عشر على الآتى (سنعمل كل ما فى وسعنا على منع المؤامرات التى تدبر ضدنا حين نحصل نهائيًا على السلطة، متوسلين إليها بعدد من الانقلابات السياسية. . . وسنقبض على السلطة بسرعة عند إعلان حكوماتها رسميًا أنها عاجزة عن حكم الشعوب، وقد تنقضى فترة طويلة من الزمن قبل أن يتحقق هذا، وربما تمتد هذه الفترة قرنًا **بلا رحمة فى كل من يشهر أسلحة ضد استقرار سلطتنا**)[٢] وينص البروتوكول التاسع على الآتى:

(إن لنا طموحًا لا يُحد وشرها لا يشبع، ونقمة لا ترحم، وبغضاء لا تحس، إننا مصدر إرهاب بعيد المدى، وإننا نسخر فى خدمتنا أناسًا من جميع المذاهب والأحزاب)[٣]. .

---

(١) وجيه أبو ذكرى (الإرهابيون الأوائل، جيراننا الجدد)! ص١٨/ ١٩ المكتب المصرى الحديث بالقاهرة سنة ١٩٨٧ وبغلاف الكتاب يعلق الأستاذ أحمد يحيى صاحب المكتب بقوله لهذا، فقد قامت الإستراتيجية على أن تهاجم لا أن تدافع. . أن تقتل لا أن تقاتل. . أن تمارس الإرهاب باسمها علنًا وبأسماء غيرها سرًا. . أن تظل يدها ملطخة بالدم ليتواصل الدم فى شرايين وجودها وبقائها كمجتمع ودولة. .

(٢) د. يوسف حسن المصرى (بروتوكلات حكماء صهيون والعالم الخفى ص٢٤٠ مكتبة جزيرة الورد بالقاهرة ٢٠١١.

ويرجح المؤلف نسبة البروتوكلات إلى اليهود مستندًا إلى ما نصت عليه من سيطرتهم على البنوك العالمية وهم من أصحاب الصناعات والملايين فى العالم وسعيهم لتحطيم عقائد الإيمان باستثناء دين اليهود والعمل على الحط من رجال الدين، وإلهاء الشعوب بالنظريات المبهرجة والفنون الهابطة والملاهى والألعاب وإفساد الأجيال بتشجيعهم على إدمان المسكرات مع السيطرة على الصحافة ووكالات الأنباء والدوريات الأدبية والاستئثار بالاحتكارات العظيمة وهى صهاريج الثورة الضخمة. . واختيار القضاة من بين الرجال الذين يفهمون أن واجبهم هو العقاب وتطبيق القوانين وليس الاستغراق فى أحلام مذهب التحررية!

(٣) نفسه ص٢١٤.

ويفسر هذا النص ما ورد بالبروتوكول الخامس عشر، إذ يصرحون فيه بالقول (وإلى أن يأتى الذى نصل فيه إلى السلطة، سنحاول أن ننشئ ونضاعف خلايا الماسونيين الأحرار فى جميع أنحاء العالم وسنجذب إليها كل من يصير أو من يكون معروفًا بأنه ذو روح عامة).. وسوف نركز كل هذه الخلايا تحت قيادة واحدة معروفة لنا وحدنا وستتألف هذه القيادة من علمائنا)[1].

وورد بالبروتوكول السابع قولهم (وبإيجاز، من أجل أن نظهر استعبادنا لجميع الحكومات الأمية فى أوروبا، سوف نبين قوتنا لواحدة منها متوسلين بجرائم العنف، وذلك هو ما يقال له حكم الإرهاب وإذا اتفقوا جميعًا ضدنا فعندئذ سنجيبهم بالمدانع الأمريكية أو الصينية أو اليابانية)[2].

يقول الأستاذ صابر عبد الرحمن طعيمة (والجمعيات، أو التنظيمات الماسونية كمذهب سرى يقوم على أساس من تراث دينى وسياسى متوارث عند اليهود، لتعبر هذه الجمعيات والتنظيمات عما يؤمن به أولئك الغلاة من المتطرفين الذين يرون أنفسهم: أنه عن طريق اصطفائهم وانتقاء عنصرهم هم الصفوة المنتقاة من البشر الذين من حقهم أن يصنعوا بالمثل العليا للإنسان والقيم والمعتقدات، ما يرونه كفيلاً بتهيئة الأرض السياسية والدينية التى يقوم عليها الجنس اليهودى المدعى وسيادة الشعب المختار!! حتى ولو كان الأسلوب، أو التنظيم الذى تراه القوى اليهودية جيلاً بعد جيل

---

(١) نفسه ص٢٤٢.

(٢) نفسه ص٢١٠.

وقد علّق المؤلف بقوله (هى الحكومة الروسية القيصرية التى وقع عليها اختيار اليهود لتكون عبرة ونكالاً لغيرها، وقد تنبأ بهذا ناشر البروتوكلات الأول قبل حدوثه باثنى عشرة سنة. ولقد نجح الشيوعيون اليهود أخيرًا فى النفوذ إلى الصين على أيدى وكلائهم من الصينيون وغيرهم... وتسخير اليابان أيضًا ضد أوروبا عند الضرورة.

هذا، ويذكرّنا الدكتور عبد العزيز بالمسلمين بقوله بالمقدمة (المسلمون الصينيون فى دائرة النسيان، مسلموا الصين ليسوا فى هذه الدنيا، المسلمون الصينيون القوة المنسية والمهمشة على حافة المحيط الهادى، مع العلم بأنهم تعرضوا لأهوال وإرهاب شديدين أثناء الثورة الثقافية المدمرّة (١٩٦٦/ ١٩٧٦) كتابه (المسلمون فى الصين) كتاب اليوم أكتوبر سنة ٢٠٠٥م.



مسخًا وتشويهًا لكل قيم الوجود الإنسانى، وذلك بهدم الأديان ورفض القيم والأخلاق وإنكار الرسالات والتجرد من كل عرف أو مألوف إلا ما يساعد على نشر سيادة عقيدة الجنس اليهودى، والتمكين لأطماعه فى الأرض والبشر، وذلك بفرض أساليب الغزو الفكرى والوجدانى للبشر قبل فرض السيادة المدعاة)(١).

ويعرّف الماسونية بأنها (حركة ذات هدف يهودى بحت، وذات طابع عالمى، تلبس من أجل تحقيق أهدافها كل صور وأدوات العصر الذى تمر به وطقوس وشعائر المجتمع الذى تكون فيه لإمكانية تحقيق الهدف الماسونى فى خاتمة المطاف)(٢).

وتضع الماسونية قيودًا فى منتهى الدقة والحيطة، حتى تزيد من فكرة تضليل الراغب، وتتصيد من تريد تجنيده فتجرده من كل ولاء للوطن أو الجنس أو القومية أو أى عقيدة أخرى يؤمن بها، لذا كان لزامًا عليه أن يمر بمراحل، منها:

١- ابتدائية رمزية وتكون واجهة تعاليم الماسونية وأعمالها واجهة من بريق الدعاية وأسلوب الخداع القائم على شعارات وعبارات فارغة.

٢- مرحلة متوسطة- أو ملوكية- وهى التى يصبح منها العضو من الصلاحية بحيث يخول له ممارسة وجوده الشخصى بتلقى المعلومات عن حياة مملكة الماسون التى يعمل لها الأعضاء لتشمل العالم بأسره.

٣- مرحلة «كونية» وهى الحالة التى تضم النخبة الممتازة والصفوة الذين اختيروا بالعمل الماسونى فأثبتوا كفاءتهم ليكونوا من حكام (الماسون).

وللماسونية قسمًا مقدسًا نصه (أقسم بمهندس الكون الأعظم، أن لا أخون عهد الجمعية وأسرها، لا بالإشارة ولا بالكلام، ولا بالحركات، وأن لا أكتب شيئًا عنها ولا أنشر بالطبع أو الحفر أو التصوير، وأرضى -إن حنثت بقسمى- بأن تحرق شفتاى بحديد محمى وأن تقطع يداى، ويحز عنقى وتعلق جثتى فى محفل ماسونى ليرانى

(١) صابر عبد الرحمن طعيمة (الماسونية ذلك العالم المجهول، دراسة فى الأسرار التنظيمية لليهودية العالمية) ص٩ مكتبة القاهرة الحديثة ١٩٧٣.
(٢) نفسه ص١٥.



طالب آخر فيتعظ بها، ثم تحرق جثتي ويذر رمادها في الهواء لئلا يبقى أثر من جنايتي)[١].

ويرى الأستاذ صابر طعيمة، أن ما يثير العجب أن الجماعات اليهودية، منذ ركبت حركة الثورة الصناعية وسيطرت بالنفوذ والرشوة على حركة التجارة العالمية وإدارة الأعمال -وبدراسة الكثير من حوادث العالم يتضح أنها مرتبطة بالنشاط اليهودى الذى يعبر عن نفسه بخطة الأطماع المسماة «بروتوكولات حكماء صهيون».

وبعد أن جمع بعض بنودها واتخذها دليلاً على ما تنطوى عليه (من روح الشر والتدمير والتخريب والإعداد للسيطرة على العالم وعلى مقدراته بمنهج غاية فى الدنس والخطيئة وكل صنوف الموبقات)[٢].

وقد يعجب الإنسان إذا علم أنه أمكن للجماعات اليهودية أن تتمكن عن طريق (الماسون) التغلغل فى جميع الحكومات الأوروبية والأمريكية إلى الحد الذى لم يكن ليخلو مرفق أو هيئة أو بيت مال بالإضافة إلى رجال الحكومة وقادة الجيوش ورؤساء الدول من وجود عدد ضخم منهم يمثل جزءاً من الجهاز العام للسيطرة على المواقع الحساسة عن طريق من يدينون بالولاء لدعوات الماسونية وتعاليمها.

وفى إحصائية للأستاذ عبد الله التل فى كتابه (خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية) تبين منها أنه أمكن للجماعات اليهودية عن طريق عضوية هذه الجمعيات أن تؤثر بتعاليمها فى ما لا يقل عن ٦٠٪ من عدد العاملين فى الجمعية العامة للأمم المتحدة[٣].

الإرهاب الإسرائيلى: الإرهاب المركّب:

إذا وصفنا الإرهاب الإسرائيلى بأنه إرهاب مكثف أو مركب، فإننا نعنى بذلك أنه يعبّر عن ظاهرة فريدة فى نوعها فى التاريخ من حيث تنوع أساليبه فى القتل والمذابح

---

(١) نفسه ص١٦٣ .

(٢) نفسه ص١٨٤ .

(٣) نفسه ص١٥٩ .

الجماعية وتدمير القرى والمدن واغتيال الشخصيات والتهديد المستمر باستخدام القوة لمواجهة كل من يقف فى وجه أطماع إسرائيل بلا مراعاة لقيم أو أعراف إنسانية أو قوانين دولية، أضف إلى ذلك اغتصاب الأراضى الفلسطينية المستمر منذ سن ١٩٤٨ وحتى الآن[١]. وهو أيضًا كمرض السرطان الذى ينهش الجسم ليدمر -خلاياه حتى يقضى عليه!!

وهو مركّب أيضًا لأنه يجمع بين سلوك الصهاينة كأفراد وشعب، وبين التأييد المطلق بواسطة دول الغرب وفى مقدمته الولايات المتحدة الأمريكية، بالمال والسلاح والفيتو بمجلس الأمن!

ولا نتجاوز الحقيقة إن قلنا بتعذر عمل إحصائيات كاملة عن الإرهاب الإسرائيلى لكثرة جرائمه الذى سجّلته مؤلفات وبحوث ودراسات لا تكاد تُحصى هى الأخرى فى كافة بلاد العالم بلغاته المختلفة، بحيث يمكن القول **بأن الصهيونية هى التى أدخلت الإرهاب إلى الشرق الأوسط**. وتمهيدًا لعرض بعض وقائع الإرهاب[٢] الإسرائيلى منذ نشأة الدولة اليهودية عام ١٩٤٨م وحتى يومنا هذا، نرى ضرورة تسجيل الملاحظات الضرورية التالى بيانها:

أولاً:

تحيز الغرب وعلى رأسه الولايات المتحدة الأمريكية كما أسلفنا، فقد صوت أعضاء الكونجرس الأمريكى بالموافقة على نقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس فى ٢٤/ ١٠/ ١٩٩٥, وكان هذا القرار بمثابة ضرب قرارات الشرعية الدولية، ومنها قرار الجمعية العامة بمنع إسرائيل من تهويد القدس وتغيير معالمها عقب حرب يونيو سنة ١٩٦٧[٣].

(١) عندما سُئلت جولدا مائير بعد توسعات سنة ١٩٦٧: ما هى حدود دولتكم؟ قالت: حيثما نكون ستكون حدودنا، أى أنها حدود مفتوحة لا تتقبل التوقف.. أو من النيل إلى الفرات.

(٢) د. فوزى الأسمر (أمريكا وسراب الحلم العربى) ص٣٣٢ كتاب الرياض العدد ٨٨ مارس سنة ٢٠٠١م.

(٣) نفسه ص٥٧/ ٥٨.

ولا يفسر ذلك إلا بازدياد النفوذ اليهودى وبخاصة فى عصر رئاسة كلينتون، وقد شرحت ذلك تفصيلاً صحيفة «معاريف» بتاريخ ٢/ ٩/ ١٩٩٤ بمقال بعنوان (اليهود الذين يديرون بلاط كلينتون) واقتبست قول حاخام يهودى ونصه (لأول مرة فى التاريخ الأمريكى، لا نشعر أننا نعيش فى الغربة . . إن الحكومة الأمريكية لم تعد حكومة غوييم (أى حكومة غير يهودية)، إنها إدارة لليهود فيها مشاركة تامة فى صنع القرار على جميع المستويات)[١].

ويتضح الانحياز الغربى بشكل سافر لإسرائيل باستخدامه لطريقة ازدواجية المعايير فى نظرته للإرهاب فيعتبر الغرب المقاومة المسلحة للشعب الفلسطينى لمواجهة مغتصبى أرضه (عمل إرهابى) . . **بينما تتغافل عن مجموعة الإرهاب الإسرائيلية التى تدخل فى وضح النهار إلى المخيمات الفلسطينية** (بزى عربى، والقيام بإطلاق النار على الشباب وهم سائرون فى الشوارع وعلى مرأى من المارين . . ويفرون، ولم تصُنّف لعمليات إرهابية، بينما تقوم الدنيا ولا تعقد عندما يقوم فلسطينى بالرد على هذا العمل بعمل مشابه)[٢].

وعندما قتل إسحق رابين قامت وسائل الإعلام الغربية بالحديث لأيام متواصلة عن إسرائيل والسلام ورابين كرجل سلام وأغفلت عن عمد الأعمال البشعة التى قام بها أثناء حياته، وفى مقدمتها المذابح التى أمر بها عندما دخلت القوات اليهودية مدينتى اللد والرملة فى عام ١٩٤٨ حيث قتل الآلاف بإطلاق النار العشوائى عليهم من جنود الاحتلال كما أمر بطرد سكان المدينتين، وهو الذى يتحمل مسئولية القتل الذى وقع فى «يوم الأرض» ضد الفلسطينيين من سكان إسرائيل، **وهو الذى أمر بتكسير عظام الأطفال أثناء الانتفاضة لكى يبقوا عجزة طوال حياتهم. وتاريخه حافل بمثل هذه الأعمال الإرهابية**[٣].

(١) نفسه ص٢٥٣ .
(٢) نفسه ص١٧٠ .
(٣) نفسه ص١٢٥ .



ولا يمكن إغفال دور الغرب الاستعمارى منذ البداية فى غرس إسرائيل ودعمها المتواصل الاستعمار هو الذى خلق إسرائيل وأقامها على أرضنا الطيبة لتكون قاعدته والمكان الذى يستقر فيه نفوذه وتتوطد دعائم عدوانه ومؤامراته ومناوراته فى الشرق الأوسط. فالاستعمار القديم ممثلاً فى زعيمته السابقة بريطانيا هو الذى أصدر وعد بلفور لليهود، وهو الذى ضمن صك الانتداب النص على أن تكون فلسطين وطنًا قوميًا، وهو الذى فرض التقسيم وأشرف على تنفيذه خطوة خطوة. . . والاستعمار الجديد ممثلاً فى الولايات المتحدة الأمريكية هو الذى عزّز كيان إسرائيل بما أضفاه عليها من حماية سافرة ودعم يتمثل فى أنواع السلاح ومليارات الدولارات)[١].

كذلك لا ننسى العداء السافر للإسلام المتوارث من الحروب الصليبية، ألم يقل الوزير البريطانى الاستعمارى لويد جورج بالحرف الواحد **«إن فتح فلسطين هو الحرب الصليبية الأخيرة»؟!**

وهو ما دفع العقاد إلى قوله (إن الحماسة فى تأييد الصهيونية إنما هى حماسة فى عداوة الإسلام، وإن إسرائيل عدو مقتحم للبلاد الإسلامية، أو على حد تعبير المؤرخ الكبير أرنولد توينبى إسرائيل ليست طبقة حاكمة تكتفى بالسيطرة ووظائف الدولة، بل **هى مجتمع كامل يهدد العالم الإسلامى كله، ولا يقبل فيه إلا من ينظرون إلى العالم الإسلامى نظرة عداء**[٢].

ثانيًا: الصمت التام -أو الخرس أمام الإرهاب الإسرائيلى الذى بدأ بغزو فلسطين بشكل منظم منذ نهاية القرن الماضى باعتراف قادة المنظمات الإرهابية اليهودية داخل الأرض المحتلة وخارجها وقد شرحوها بمذكراتهم!

وتنعكس الصورة تمامًا إذا كان العمل الإرهابى بواسطة الرجل الأبيض، ومثال ذلك العملية الإجرامية التى وقعت ضد مبنى تابع للحكومة الفدرالية الأمريكية فى

---

(١) إبراهيم خليل أحمد (إسرائيل فتنة الأجيال، العصور الحديثة) ص١٨٩ مكتبة الوعى العربى المحرر سنة ١٣٩٥هـ/ مارس سنة ١٩٧٠م.

(٢) جلال العشرى (مصطفى محمود شاهد على عصره) ص٧١ دار المعارف بمصر سنة ١٩٩٧م.



١٩/ ٤/ ١٩٩٥[١] فقد سارعت وسائل الإعلام هناك إلى الإشارة بأصابع الاتهام إلى العرب والمسلمين الذين اتضح فى النهاية براءتهم . . (وبعد أن تبنيت هوية المجرمين فى الحادثة، فإن الاتهام لن يوجه إلى الإنسان الأبيض، أو الإنسان المسيحى، ولن يقولوا هذا «إرهاب مسيحى» أو« إرهاب أبيض» بل ستواجه التهمة إلى المجموعة أو الحركة أو المنظمة التى ينتمى إلى هؤلاء المجرمون)[٢] .

ثالثًا:

استمرار الإرهاب الإسرائيلى، (ويكفى الإشارة إلى مذابح : دير ياسين وكفر قاسم وقانا والحرم الإبراهيمى الشريف فى الخليل ومدرسة بحر البقر فى مصر، وبلدة قبية فى الأردن، والمجازر الإسرائيلية التى شهدتها شواطئ مدينة غزة ضد الشباب الفلسطينى)[٣] .

ويضيف الدكتور فوزى الأسمر قوله (وإن إسرائيل لن تتوقف عند حدود فلسطين التاريخية، بل إن دورها الذى رسمته لها الدول الغربية، يتعدى هذه الحدود، إلى الدول المجاورة)[٤] .

رابعًا: إمداد الدول الغربية والولايات المتحدة الأمريكية إسرائيل بأحدث الأسلحة وأشدها تدميرًا، وبما فى ذلك القنبلة الذرية إذ لجأت إسرائيل فى بناء طاقتها النووية إلى الكتمان وادعت أن المصانع الذرية التى أقامتها إنما كانت لتحلية المياه وغيرها من الأغراض السلمية ثم اتضح بعد ذلك أنها كانت لغرض الحصول على القدرة النووية فى المجالات العسكرية[٥] .

---

(١) أمريكا وسراب الحلم الأمريكى ص١١٧ .

(٢) نفسه ص١٢١ .

(٣) أمريكا وسراب الحلم العربى ص٣٠٦ .

(٤) نفسه ص٢٥٧ .

(٥) أبو الحارث محمد حامد (مؤامرة الصهيونية والهندوكية على المسلمين) ص٨٩ من منشورات مجلس شؤون المسلمين فى العالم- إسلام آباد- باكستان سنة ١٩٧٦ .

ولما كانت الطاقة النووية تعتمد، فيما تعتمد عليه من أشياء أخرى، على الطاقة البشرية، وبما أن تسعين فى المائة من الباحثين فى إسرائيل يعملون فى الحقل العلمى فإنها بذلك قد تجاوزت هذه المرحلة النووية، فضلاً عن أن لإسرائيل اتفاقات ثنائية للتعاون فى الحقل الذرى مع مع ثمانية بلدان، واتفاقيات لتبادل المعلومات مع ستمائة مؤسسة فى ثمانين بلدًا، ومنها الهند وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية التى زودت إسرائيل بطائرات الفانتوم فأصبحت قادرة على إلقاء القنبلة[١] (وقد يقال بأنها لن تستعمل الأسلحة النووية لعدة اعتبارات سكانية وإستراتيجية ومالية. ولكن إذا ما أخذ المرء بعين الاعتبار مجريات الأمور فى الربع الأخير من هذا القرن يظهر له بوضوح أن الهدف من الأسلحة النووية هو فى الواقع نفسية العدو وأنها لا تستهدف قواته ومدنه إلا كآخر سهم فى الجعبة)[٢].

وقد أسفر أبا أيبان -وكان وزيرًا فى إسرائيل- عن ذلك بقوله (إننا نريد أن نخلق الشك وروح الاستسلام فى النفوس، واليأس من إمكانية تحقيق الحلم العربى الذى ينطوى على محو إسرائيل من خريطة العالم)[٣].

ولكن يمكن الرد عليه بأن السلاح الذرى غير صالح فى الحروب غير النظامية وانتشار العمليات الثورية وحروب التحرير، ففى هذا العصر الذرى، يشهد على أن هذا السلاح لا يفيد فى هذا النوع من القتال الذى يعتمد أساسًا على تفرق المقاتلين وتجمعهم وسعيهم إلى بلوغ هدفهم بخطوات خفية وباللجوء إلى إستراتيجية المعارك الميدانية التقليدية[٤].

ومهما كانت الميزات التى تتوقعها إسرائيل بما تصنع من معدات نووية، فإن أسلوب الحرب اللا نظامية التى يمارسها الفلسطينيون قد أدى بالفعل إلى اختناق بطىء ومستمر

(١) نفسه ص٩٥.
(٢) نفسه ص٩٦.
(٣) نفسه ص٩٩.
(٤) نفسه ص١٠٠.

للقوى الإسرائيلية . وتأثير هذه الحرب على المعنويات يظهر بوضوح من تصريح موشى ديان فى جوابه عل سؤال وجه إليه عام ١٩٧٠ حيث قال : خسائر إسرائيل بفعل الحرب غير النظامية منذ نيسان ١٩٦٩ (١١٣ قتيلاً) و (٣٣٠ جريحًا)، كما بلغت خسائرها منذ حرب سنة ١٩٦٧ فى الأراضى المحتلة وإسرائيل (٧٣ قتيلاً) و (٥٢٥) جريحًا[١] .

ويقول مؤلف كتاب (مؤامرة الصهيونية والهندوسية على المسلمين) «إن تجارب الحروب الأربع السابقة التى جرت فى سنى ١٩٤٨ و١٩٥٦ و١٩٩٦٧ و١٩٧٣ قد أكدت بقوة أنها وحدها هى اللغة التى تفهمها إسرائيل . وكل ما يقال فى الصحف أو تتناقله وسائل الإعلام العالمية بشأن السلم الذى تدعيه إسرائيل إن هو إلا خداع وكذب . إن لإسرائيل مطامع فى العالم الإسلامى كله يجب الانتباه إليها والحذر منها والعمل الدائب لدفع الخطر الإسرائيلى) . وبعد عرض بعض صور الإرهاب الإسرائيلى بإجمال، نأتى إلى سرد بعض وقائع أخرى بتفاصيلها الدموية الإجرامية ومصدرها كتاب (**الإرهابيون الأوائل: جيراننا الجدد للأستاذ وجيه أبو ذكرى ويقع فى نحو ٣٠٠ صفحة من القطع الكبير**، وهو موسوعة شاملة للإرهاب الصهيونى مؤيدًا بالوثائق اقتبست منه بضعة صفحات تتضمن الإرهاب[٢] بنماذجه المختلفة (الأفراد- العصابات- الدولة) ومعيار اختيارى هو تصويرى مدى الوحشية فى المجازر التى ارتكبت، والقرى التى دُمرّت، والمنازل التى نسفت . .

الأول: جذور الإرهاب الإسرائيلى .

الثانى: إرهاب ما قبل الدولة .

الثالث: إرهاب الدولة .

---

(١) نفسه ص١٠٠ .

وبهذه المناسبة لابد أن نعرّف القارئ بحقيقة (نهرو) الذى سوقه الإعلام الكاذب بأنه من زعماء الحياد الإيجابى . . بينما كان فى الحقيقة يضع يده بيد إسرائيل وقلبه معها ولكنه كان يسخّر لسانه لتملق العرب ص٣٠ وفى مؤتمر (باندونج)، عندما تحدث القشيرى حينذاك عن ضرورة مناقشة قضية فلسطين، قام نهرو غاضبًا وقال (إنها لجرأة من العرب أن يناقشوا هذه القضية فى هذا المؤتمر الذى لم تدع إسرائيل إليه؟ أوليس إسرائيل وجودها فى غرب آسيا حقيقية؟ ص٣٧ .

(٢) الناشر : المكتب المصرى الحديث بالقاهرة والإسكندرية سنة ١٩٨٧م .

وقال فى موضع آخر عن قضية كشمير (إن حق تقرير المصير حق وعدل إلا فى كشمير)؟! قالها فى صيغة تبجّح لا مثيل له .

الرابع: الجذور الإرهابية للموساد.

الخامس: الموساد واغتيال القيادات الفلسطينية.

السادس: الموساد والإرهاب ضد الدول العربية.

السابع: الإرهاب الإسرائيلى خلال الحرب.

الثامن: صبراً وشاتيلا . . أبشع مذبحة فى التاريخ.

التاسع: الإرهاب الإسرائيلى ضد الأسرى والمعتقلين.

العاشر: الجيتو الكبير.

الحادى عشر: مستقبل السلام العربى الإسرائيلى. وبعد الخاتمة، نشر بعض صور الإرهاب بالإسرائيلى بالفوتوغرافيا.

إرهاب ما قبل الدولة:

عاش اليهود يحلمون بإقامة «الجيتو الكبير» حيث يتجمع كل اليهود من الشتات فى رقعة أرض واحدة، وتحت علم واحد، وأن يحكموا أنفسهم . . وفكروا فى أوغندا وطنًا قوميًا لهم، وفكروا فى الأرجنتين، وفكروا فى سيناء لولا عدم وجود مياه وفيرة بها، واستقر بهم الأمر على فلسطين، وأخيراً حصلوا على وعد بلفور عام ١٩١٧، وبدأت بريطانيا -حكومة الانتداب على فلسطين- تسهّل لهم الهجرة إلى فلسطين، وقد جاءوا إلى فلسطين وهم يحملون كل أحقاد الدنيا على البشرية، وأصبح لهم الأرض التى يمكن أن يمارسوا من خلالها أحقادهم، وأن يحققوا الوعد الذى قطعوه على أنفسهم بالثأر من البشرية -كل البشرية-، على المجازر التى أقيمت لهم فى كل أنحاء الدنيا، فيما عدا العالم العربى، ولكن . . يثأرون ممّن؟ . . فالذين أقاموا لهم المجازر فى بلاد بعيدة، فكان الثأر من الفلسطينيين على أرض فلسطين، ولم يكن الثأر للثأر وحده، بل كان لتحقيق هدف المؤتمر الذى عقد فى عام ١٨٩٧ فى مدينة بال، وتقرر فيه العمل على إقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين وطرد شعبها . .

وهنا قامت الوكالة اليهودية بتصميم شعار يحقق هدف مؤتمر بازل، وهو صورة لليهودى يحمل البندقية بيد، والفأس فى يد أخرى . . أى البندقية لطرد العربى، والفأس لزراعة أرضه واستيطانها بعد خروجه منها . .

لذلك . . كانت الدعوة لإقامة مؤسسات عسكرية إرهابية فى فلسطين تلقى قبولاً شديداً عند كل اليهود القادمين إلى فلسطين فى حماية القوات البريطانية . . وشهدت فلسطين (١٩٢٠ - ١٩٢٥) أكبر هجرة يهودية، حيث عينت بريطانيا مندوبًا ساميًا يهوديًا هو «هربرت صمويل»، وهذا المندوب السامى فتح أبواب فلسطين لليهود، واعترف بمبدأ تمثيل اليهود فى الجمعيات واللجان المحلية، كما اعترف باللغة العبرية لغة رسمية فى فلسطين، وفتح صمويل للشركات الصهيونية امتيازات إنشاء الأعمال الرئيسية فى فلسطين كمحطات الكهرباء والطرق، ثم أقام لهم المحاكم اليهودية، وانتهى به الأمر إلى افتتاح الجامعة العبرية فى أبريل عام ١٩٢٥ .

فى عهد هذا المندوب السامى، كان اليهود يشكلون أول مؤسسة عسكرية سرية، هى منظمة الهاجاناة[١] .

وفى نوفمبر ١٩٢١، دخلت الهاجاناه تجربة أخرى مع عرب القدس حين تطورت تظاهرات الاحتجاج ضد وعد بلفور إلى اشتباكات بين العرب واليهود فى المدينة . . ومع اندلاع الثورة الفلسطينية عام ١٩٣٦ توطدت العلاقة بشكل كبير بين الهجاناه وسلطات الانتداب البريطانية إحساساً من الطرفين بالخطر المشترك المحدق بمصالحهما المشتركة، وفى صيف ١٩٣٧ أقامت منظمة الهاجاناه «سرايا الميدان» كلفت بمهاجمة الثوار العرب، وبأسلوب إرهابى ينفر منه العرب، كالاعتداء على النساء . . وبعدها بعام أقام الضابط البريطانى أورد وينجت «سرايا النار» المعروفة أيضًا باسم «سرايا الليل الخاصة» لصالح منظمة الهاجاناه، وأسفر تماثل المصالح فى هذه الفترة عن إشراك البريطانيين لقوات الهاجاناه فى الجهود الحربية البريطانية ضد الفلسطينيين، والأخطر من ذلك سمحت سلطات الانتداب لمنظمة الهاجاناه بإقامة سلاح الحراسة، وشرطة المستوطنات العبرية التى

(١) وجيه أبو ذكرى (الإرهابيون الأوائل . . جيراننا الجدد ص٣٧ .

غدت قوة شرعية تابعة لها، وقد تعززت بسرعة وبلغ عدد أفرادها سنة ١٩٣٩ حوالى ٢٠ ألف رجل يتوزعون على عشر كتائب. .

ويمكن القول أن أبرز سمات هذه الحقبة من الجانب الصهيونى هى التحول إلى العمل العدوانى المباشر فى غزو الأرض، وفى نفس الوقت تطوير الجيش اليهودى الذى يحميه الانتداب ولا يكون مسئولاً عنه، ورغم ذلك كله انبرى جابوتنسكى يعلن اعتراضه على السياسات العسكرية التى اتبعتها المنظمة الصهيونية ونفذتها الهاجاناه وأسمتها بسياسة ضبط النفس، وكان رأى جابوتنسكى الذى أعلنه فى أعقاب الثورة العربية حين بدأت فى عام ١٩٣٦ **أن الحل الوحيد هو الإرهاب ضد كل من العرب والإنجليز معًا**[١] .

تكثيف الإرهاب:

عندما قررت وأعلنت بريطانيا الانسحاب من فلسطين فى ١٥ مايو عام ١٩٤٨ نشطت كل المنظمات الإرهابية اليهودية لتفريغ فلسطين من العرب، وخلق أمر واقع بحيث يعلن بن جوريون الدولة الإسرائيلية، وتكون القوات الإرهابية مسيطرة على أكبر جزء من فلسطين، وفى سبيل ذلك، **لم يعد بن جوريون يتحفظ فى إعلان معرفته بالعمليات الإرهابية، بل إنه كان يشترك فى التخطيط لها، وينتظر نتائجها**..

ولقد اتخذت هذه العمليات الإرهابية إستراتيجية تكاد تكون ثابتة، وهى الإغارة على القرى، وذبح الرجال والنساء والأطفال وترك من يريد أن يهرب واحتلال القرية[٢] والاستيلاء على الممتلكات الموجودة فى البيوت واستيطان القرية مع تغيير اسمها العربى، وإطلاق اسم عبرى عليها، وبهذا تصبح القرية العربية مستعمرة يهودية فى عدة أيام . وفيما يلى نماذج من الغارات اليهودية على القرى العربية :

الإغارة على قرية حساس العربية:

فى عام ١٩٤٧، وفى صباح يوم ١٢ من ديسمبر، توجه خمسة عمال عرب من قرية

(١) نفسه ص٤١ .
(٢) نفسه ص٦٥ .



حساش إلى أعمالهم فى الصباح الباكر، وخرج عليهم قطاع الطرق اليهودى من مستعمرة «معيان باروخ» القريبة من القرية العربية، وحدثت مشادة بين اليهود الثلاثة والعرب الخمسة، أدى إلى قيام أحد العمال العرب بطعن يهودى بسكين مات على الفور، وفر اليهوديان، وفر العربى أيضًا..

وبلغ الحادث قيادة البالماخ، واعتبر اغتيال يهودى كارثة، وتقرر الإغارة على قرية - حساش.

وتم تشكيل قوتين من البالماخ لمهاجمة القرية، الأولى بقيادة دافيد شركسكى والثانية بقيادة يعقوب ليفنجر..

وذهبت القوتان إلى القرية، ونسفت بعض البيوت، وقتلت كل من رأته من الرجال والنساء والأطفال، وأرسلت تقريرها عن نتائج هذه العملية، فماذا يقول التقرير:

- أن المجموعة لم تتمكن من قتل سوى ١٢ فقط من عرب قرية حساش بينهم عدد من النساء والأطفال واتضح أن الرجال قد غادروا القرية قبل تنفيذ العملية.. وأن جميع قتلى العملية من النساء والأطفال، ولقد كانت هذه العملية كئيبة من حيث نتائجها بسبب عدم التخطيط السليم(١)..

إرهاب الدولة:

بعد قيام دولة «إسرائيل»، وبعد أن انتهت من حروبها مع العرب، وبعد أن عقدت مع الدول العربية اتفاقيات هدنة، لم تتمكن من تغيير جلدها من عصابات إرهابية، إلى دولة يقودها متحضرون، بل أنشأت عدة مؤسسات عسكرية، **مهمتها ممارسة إرهاب الدولة**، قال بن جوريون أن حدود إسرائيل سوف يحددها الجندى الإسرائيلى..

وكان أول ما فعله بن جوريون -زعيم الإرهابيين- إقامة مهمته، إرهاب الدول العربية، «جيران» الدولة الجديدة، وكان هذا اللواء:

(١) صحيفة معاريف الإسرائيلية- ملحق العدد / ٧٣١/ ١٩٨١، كتاب الإرهابيين الأوائل ص٦٦.



● اللواء ١٠١:

يبدو أن بن جوريون، مؤسس الدولة الإسرائيلية، كان يعلم أنه يقود عصابات أقام بها دولة، وكان لابد أن ينظم عمل هذه العصابات، أو على الأقل «ضم قيادات هذه العصابات فى **«مؤسسة إرهابية واحدة تسيطر عليها الدولة وتعمل ضمن تخطيطها»**، تلك هى الفكرة المتصورة لإقامة اللواء ١٠١ الإسرائيلى.. والذى قام بعشرات العمليات الإرهابية ضد القرى العربية بعد قيام إسرائيل.. ولقد قاد هذا اللواء الإرهابى الصهيونى أريل شارون، وضم من القيادات الإرهابية شلومويوم، ومائير هارتسون وبنيامين جفلى.. وكان هذا اللواء الذى يقوده الإرهابى أريل شارون، يأخذ أوامره من بن جوريون شخصيًا، ولهذا.. فلقد قام بمجازر لا تعد ولا تحصى ضد القرى العربية، ورغم ما أعلن أنه تم حل هذا اللواء بعد مجزرة قرية قبية، إلا أن الحقيقة يبدو أنها غير ذلك، لأنه بعد هذه المجزرة، **قامت القوات الإسرائيلية بعمليات مماثلة ضد قرى الحدود العربية بلغت عدة آلاف.**

والسؤال.. لماذا تشكيل لواء إرهابى؟

ثم.. لماذا الاعتداء الدائم على قرى الحدود[1]؟

لقد تم تشكيل هذا اللواء من العناصر المتعطشة دائمًا للدماء، والتى لا ترويها دماء كل الأمة العربية، حتى تكون أعمالها خالية تمامًا من الإنسانية والشفقة، ثم إن الاعتداء الإسرائيلى الدائم على قرى الحدود العربية، يضعفها.. حتى إذا أرادت إسرائيل تنفيذ خططها التوسعية، لا تجد مقاومة تذكر، فلقد كان هدف هذه الوحدة هو الحيلولة دون تشكيل قوات مقاومة داخل القرى الحدودية.. بالإضافة إلى أن ضعف الحدود دائمًا، يضعف بالتالى محاولة اتخاذ هذه القرى نقطة انطلاق داخل الأرض المحتلة..

وهذه أشهر العمليات التى قام بها أريل شارون أثناء قيادته للواء ١٠١.

---

(١) نفسه ص٩٣.



اختار بن جوريون قرية قبية، لتكون أول تجربة لتلك القوة التى شكلها من الإرهابيين تحت اسم اللواء ١٠١، واختار ليلة ١٤ نوفمبر عام ١٩٥٣ موعداً لتنفيذ تلك المجزرة، وذهبت القوة بقيادة الإرهابى أريل شارون، واقتحمت القرية بعد منتصف الليل، وقامت بنسف ٤١ بيتًا ومدرسة، **وأخذت ٤٢ رجلاً وامرأة وطفلاً وقتلتهم أمام سكان القرية بصورة لا إنسانية، أبشع مما تتصورون.. وعادت بعد أن وصل عدد الضحايا ٦٩ قتيلاً فلسطينيًا..**

أحدثت المجزرة الجديدة دويًا وقد كتب موسى شاربت فى مذكراته فى تلك الليلة[1]:

- قلت للافون إن هذا الهجوم سيكون خطأ فادحًا وذكرته.. مستنداً إلى سوابق عديدة، بأنه لم يثبت أبداً أن العمليات العقابية تخدم هدفها المعلن.. ابتسم لافون.. ولم يعدل رأيه.. وقال: (إن بن جوريون لا يشاطر الرأى).

وكتب بعد يومين: «يجب أن أؤكد أنه عندما عارضت العملية لم يكن لدى أية فكرة أنى كنت أعارض حمام دم كهذا.. ظننت أنى أعارض عملية من بين تلك التى أصبحت فى الماضى روتينية.. والآن يريد الجيش أن يعلم كيف سنبرر المسألة.. فى اجتماع مشترك ضم المسئولين فى وزارة الخارجية والجيش، اقترح شمويل بندور أن نقول إن الجيش لم يشارك أبداً فى العملية بل أن سكان القرى الحدودية أغضبتهم الأحداث السابقة، فأرادوا أن يثأروا لها وتصرفوا من وحيهم الخاص، مثل هذه الرواية ستجعلنا محطًا للسخرية، أى طفل يستطيع أن يلاحظ أن هذه عملية عسكرية».

«الموساد» واغتيالات القيادات الفلسطينية:

أوامر السفّاح شارون لعصابته:

«اضربوهم، لا تتوقفوا عن ضربهم، عليكم أن تضربوا -الإرهابيين- أينما كانوا. فى إسرائيل أو فى البلاد العربية أو فى غيرها- وأنا أعرف كيف نفعل ذلك، فلقد سبق

(١) إيلان هاليفى: إسرائيل من الإرهاب إلى مجازر الدولة.. (الإرهابيون الأوائل) ص٩٤.





لى أن فعلتها بيدى، لا يصح أن تتحركوا بعد أن يقوموا بعملياتهم، اضربوهم فى كل مكان، وفى كل يوم، فإذا كان بعضهم فى بلد عربى، أو فى أوربا، فعليكم أن تصلوا إليهم، لا تفعلوا ذلك فى وضح النهار، ولكن يجب أن يختفى من نريد اختفاءه فجأة، أو أن نجده ميتًا، أو نعثر عليه مطعونًا بسكين فى أحد ملاهى أوربا الليلية»[1] . .

وفيما يلى نموذج من جرائم جيش إسرائيل أثناء حرب عام ١٩٦٧، وهى فى غنى عن التعليق:

«خلال حرب الأيام الستة، مات الآلاف من الجنود المصريين ضربًا بالرصاص أو عطشًا بعد نهاية القتال، ولقد دارت مناقشة لمعرفة إن كان يجب أو لا يجب إنزال المياه بالمظلات لآلاف الجنود المصريين التائهين فى الصحراء، ولكن ما تم تنظيمه كان هو مصيدة للرجال بين التلال . . شجعها بعض الضباط الكبار، ومنهم من ساهم فيها شخصيًا»[2] . .

أبشع مذبحة فى التاريخ (صبرًا وشاتيلا): يتساءل الأستاذ وجيه أبو ذكرى:

فى البداية . . أطرح سؤالاً ضروريًا . . ما هو الهدف الرئيسى لدخول القوات الإسرائيلية لبنان واحتلال أراضيه؟

هل الهدف إخراج المقاومة الفلسطينية من لبنان؟

لا .

هل الهدف الاستيلاء على مياه نهر الليطانى؟

لا .

هل الهدف -كما ادعت- سلامة المستعمرات الإسرائيلية فى الجليل الأعلى من قذائف الكاتيوشا؟

لا .

(١) أريل شارون ٢٦ مايو ١٩٧٤ جمعية يديعون أحرونوت (كتاب: الإرهابيون الأوائل) ص١٣٣ .

(٢) يورى أفنيرى ها أرتس: ١/٨/١٩٧٩ كتاب (الإرهابيون الأوائل) ص١٨١ .





الهدف الحقيقى -من خلال استقراء المجازر والمذابح والأحداث فى لبنان- هو إبادة أكبر تجمع فلسطينى خارج الأرض المحتلة إبادة تامة. فالقوات الإسرائيلية منذ اللحظة الأولى التى وضعت أقدامها على التراب اللبنانى وهى تقتل -لا تقاتل- الفلسطينيين، خاصة النساء منهم، على أساس أن المرأة الفلسطينية هى التى تقدم الوقود الدائم وإلى الأبد للثورة الفلسطينية، وهى القنبلة البيولوجية -التى ترعب إسرائيل- كما وصفها ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية لجريدة «الأخبار» القاهرية فى أبريل عام ١٩٨٦، لذلك.. كانت فوهات المدافع الإسرائيلية تضرب بقسوة أماكن التجمعات الفلسطينية المدنية فى المخيمات الفلسطينية بلبنان، وكان رصاص القناصة الإسرائيليين يختار المرأة الفلسطينية هدفًا له.

لم يكن غزو لبنان، هو مجرد عملية انتقامية ضد محاولة اغتيال السفير الإسرائيلى فى لندن، لقد كان الغزو مبيتًا له، معروفًا لدى أطراف عربية، مخططًا له من قبل الحكومة الإسرائيلية تخطيطًا جيدًا، بحيث تشترك فيه كل أسلحة الإرهاب الحكومية الإسرائيلية[1]، من الموساد إلى الطيران، إلى البحرية إلى القوات البرية وهذه المؤسسات الإرهابية الحكومية الإسرائيلية، تلتقى عند هدف واحد: إبادة أكبر تجمع فلسطينى خارج الأرض المحتلة.

وللوصول إلى هذا الهدف.. فلا شيء محرم.. قتل النساء والأطفال.. اقتحام المخيمات.. استخدام الأسلحة المحرمة.. إثارة الطوائف اللبنانية بعضها على بعض.. لا رحمة ولا شفقة ولا إنسانية مع الفلسطينيين المقيمين فى لبنان..

● **الأسلحة المحرقة**: لقد كشفت مجلة ميدل إيست البريطانية فى عدد شهر سبتمبر ١٩٨٦، خبرًا خطيرًا، قالت إن إسرائيل قد استعدت لحرب لبنان بأسلحة رعب جديدة، وأن إسرائيل قد ابتكرت قنابل مدمرة ضد الأفراد، وتقول المجلة:

- «تصنع أغلفة القنابل الصغيرة من معدن شديد الصلابة وعندما تنفجر تتناثر شظايا

(١) نفسه ص٢٠٥.



بسرعة تزيد على أربعة آلاف قدم فى الثانية وبذلك تستطيع القنابل من طراز س. بى يو اختراق دروع الدبابات لعدة بوصات -أما الأفراد فيمكنها تمزيقهم إربًا.

وفى بعض الأحيان تسقط هذه القنابل على الأرض دون أن تنفجر إلا عند العبث بها.. ويصف كيفين دانهار، الأستاذ المساعد بالجامعة الأمريكية فى بيروت ما حدث لصبيين التقطا واحدة من هذه القنابل أثناء الغزو الإسرائيلى للبنان عام ١٩٨٢.

فقد خرج الصبيان محمد وأمين سنونو -وهما أبناء عمومة- من مخيم شاتيلا لشراء طعام خلال إحدى فترات وقف إطلاق النار..

ويقول دانهار: «كان أمين يقف قريبًا من محمد الذى التقط كرة معدنية صغيرة كانت ملقاة فى الشارع. ثم انفجرت الكرة مطلقة شفرات معدنية حادة فى جميع الاتجاهات. واخترقت الشظايا الضلوع أسفل القفص الصدرى لأمين ممزقة معدته والقولون والأمعاء وإحدى رئتيه»..

ويستطرد قائلاً: «كذلك خرجت أحشاء محمد نتيجة للانفجار. وحدث تلف بالطحال واستلزم الأمر إجراء جراحة لمعدته والقولون. أما اليد التى كانت تحمل القنبلة فقد تمزقت وأصيب وجه محمد وإحدى عينيه بحروق شديدة»..

ومما يذكر أن التطور الكبير الذى أدخل على هذا النوع من لقنابل تم أثناء الحرب[1] الفيتنامية، وبحلول أواخر الستينيات كانت الولايات المتحدة تستخدم هذه القنابل بصورة مكثفة **كأسلحة «إبادة»**. وكان أول نوع من هذه القنابل تسلمته إسرائيل من طراز س. بى يو ٥٨ ويصل طول الغلاف إلى سبعة أقدام وتحتوى على ٦٧٠ كرة فى حجم كرة الجولف وتزن ٣٨٠ كجم»..

وأغلفة هذه القنابل تنفجر فى الجو لتخرج منها الكرات المعدنية الصغيرة التى تنتشر فوق مساحة واسعة.. وتجدر الإشارة إلى أن الكرات الصغيرة تتحرك حركة دورانية أثناء انتشارها وهذا بدوره تنتج عنه حرارة بسبب انفجارات هذه الكرات.

---

(١) نفسه ص٢٠٦.



وقد توقف إنتاج هذا النوع من القنابل إلا أنها استخدمت من جانب إسرائيل فى لبنان عامى ١٩٧٨ و١٩٨٢ .

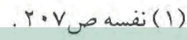
وفى عام ١٩٨٢ ، أصبحت إسرائيل تمتلك عدة أنواع من القنابل العنقودية وبخاصة طراز م ك- ٢٠ روكاى التى تنتجها شركة «هونيوبل» الأمريكية. ويزن هذا النوع أقل من ٢٢٧ كجم إلا أنه أقوى، كما تحتوى كل قنبلة على ٢٤٧ كرة معدنية. .

والمعروف أن هذه القنابل الأمريكية مصممة فى الأساس كأسلحة ضد الدبابات أما إسرائيل فإنها بحاجة إلى قنابل ضد الأفراد، ومن ثم فقد ابتكرت قنبلتها الخاصة المعروفة باسم تال -١ . وتزن الواحدة حوالى ٢٥٠ كجم أنها مزودة بنظام ميكانيكى زمنى يسمح للطيار بضبط شكل الانتشار ليلائم الهدف، وتحمل القنبلة الواحدة ٢٧٩ كرة معدنية. . ويستطرد الأستاذ وجيه أبو ذكرى قائلاً:

انتهت أحدث شهادة عن الإرهاب الإسرائيلى الحكومى فى لبنان، وهناك شهادات أخرى، وإليكم بعضها؟

لقد قصف الطيران الصهيونى بصورة منتظمة المستشفيات والعيادات رغم وجود أعلام وشعارات الصليب الأحمر الدولى مما تسبب فى مقتل آلاف المدنيين وفى هذا الصدد أشار التقرير، الذى وضعته فى نيقوسيا اللجنة الدولية للتحقيق فى جرائم الكيان الصهيونى، قال فريق من الأطباء والممرضات اليونانيين: «لقد رأينا جرحى ومرضى سحقتهم الدبابات الإسرائيلية» وأسفر قصف مستشفى الأمراض العقلية عن مقتل ٢٧ شخصًا، وما يخالف المعاهدات الدولية فقد منعت قوات الاحتلال الصهيونى وصول الدم والأدوية والعقاقير [١] لصالح الصليب الأحمر، كما قصفوا بالصواريخ فى ميناء جونيه السفينة الألمانية الغربية «م- س. فلورا» بينما كانت تفرغ حمولتها من الأدوية واللقاحات ويلازم الدم والتجهيزات الطبية لصالح المستشفيات. .

كما ألقت الطائرات الصهيونية متفجرات على شكل لعب زاهية الألوان لها أشكال مختلفة، وكان الأطفال يلتقطونها لتنفجر بين أيديهم وقد زار المؤلف الموسيقى اليونانى



(١) نفسه ص٢٠٧ .





ميكيس تيودور أكيس المستشفيات اللبنانية، وأفاد أمام لجنة التحقيق فى جرائم إسرائيل أنه شهد عدداً من حالات الموت الفاجع بين الأطفال اللبنانيين والفلسطينيين ممن التقطوا الألعاب المتفجرة..

وعرض فرانكلين ليمب وهو شخصية اجتماعية أمريكية على اللجنة الدولية للتحقيق فى جرائم إسرائيل فى لبنان، نماذج من القنابل الفوسفورية التى استخدمها الكيان الصهيونى على نطاق واسع خلال عملية غزو لبنان، ولدى انفجار هذه القنابل يتطاير منها وابل من الشظايا الصغيرة كما قصف المعتدون الصهاينة مدينة بيروت بقنابل مماثلة فى صناديق يتّسع الصندوق الواحد منها لـ ٤٥٠ قنبلة، وقال أطباء كنديون ويونانيون عملوا فى لبنان خلال عملية الغزو: «لقد أجرينا عمليات جراحية لمرضى شوهتهم نار القنابل العنقودية والفوسفورية وكانت أجساد الضحايا تبدو أشبه بالغربال».

ونشرت صحيفة واشنطن بوست رسالة لمراسلها فى بيروت عن آلام وهلاك السكان المدنيين الذين سقطوا ضحايا القنابل الفوسفورية، كما استخدم المعتدون فى لبنان غاز الشلل العصبى الذى يسبب القيء وأوجاع الرأس والهلوسة والشلل.. كذلك اقتحمت القوات الإسرائيلية فى التاسع من يونيو عام ١٩٨٢ الجنوب اللبنانى وبدأت مسلسل الإرهاب على أوسع نطاق، وكانت هذه بداية خطيرة لحرب الإبادة التى خططتها المؤسسة العسكرية الإرهابية الحاكمة فى إسرائيل، وقامت القوات الإسرائيلية بَتدمير القرى على رؤوس سكانها، والأحياء السكنية فى مدن الجنوب اللبنانى، ثم دمرت مدارس الأطفال تدميراً بربريًا، ولم تنج المستشفيات اللبنانية من قصف الطائرات الإسرائيلية، وتمكنت من تحويل بعض أجزاء من العاصمة اللبنانية إلى أنقاض، وكذلك مدن الجنوب اللبنانى، وخاصة مخيمات الفلسطينيين(١).

ولا يسعنى بعد العرض المسهب لتلك الجرائم البشعة، إلا أن أبقى على التعليق الأخير للمؤلف الأستاذ وجيه أبو ذكرى:

يا سادة.. قبل أن نمتلك ناصية الشجاعة، ونكتب مأساة صبراً وشاتيلا، نعم

(١) نفسه ص٢٠٨.



الشجاعة . . فإن قسوة ما حدث يجعل الكاتب يلقى بقلمه فزعًا مما يسمع . . ويسجل . . ويكتب ، لقد سافرت إلى تونس ، والتقيت بمن قدر لهم النجاة من المخيم ، والتقيت فى القاهرة بمن جاءوا بعد المذبحة ، وقرأت عدة كتب عن المذبحة ، ولقد سبق لى أن قرأت عن المذابح التى حدثت فى كل التاريخ الإنسانى ، من مذبحة محمد على والى مصر ضد المماليك فى القلعة ، إلى مذابح النازية ، إلى تلك المذابح التى حدثت لليهود فى إسبانيا وروسيا ، وهى المذابح التى صدرت عنها أطنان من الكتب وعشرات الروايات ، ومئات الأفلام الروائية ، ولكن كل ما قرأت ، لا يقارن بذلك الذى حدث فى صبرا وشاتيلا ، إن الكلمات قد وقفت عاجزة تمامًا عن وصف البربرية الإسرائيلية فى صبرا وشاتيلا ، وأن ما حدث من مجزرة ضد الصغار والنساء ، لم يحدث فى كل التاريخ . . **ورغم ذلك فما زالت إسرائيل تطلق على الفلسطينيين الإرهابيين، ورغم ذلك فما زال العالم يصدق القول الإسرائيلى**، ورغم ذلك فإن أجهزة الإعلام الإسرائيلية تحاول أن تضغط على عقول البشر فى كل أنحاء الدنيا لكى تنسى تلك المأساة المفرطة فى الوحشية والقسوة وما زلنا -كعرب- غاية فى التقصير فى عرض هذه المجزرة على الرأى العام . .

أقول . . إن بعض الكتاب فى الغرب قد استطاعوا تقديم صورة لما حدث فى صبراً وشاتيلا . .

أقول . . إن بعض صحافة الغرب ، وفى الولايات المتحدة ، قدمت جانبًا من المجزرة . .

وأقول . . إن أجهزة الإعلام الغربية ، لم تمكنها قسوة المجزرة من السكوت عليها ، وأن البشاعة التى حدثت ونفذت بها تلك المجزرة ، أنستهم -ولو للحظات- انتماءاتهم[1] السياسية ، وتأييدهم المطلق لصناع المجزرة «إسرائيل» . .

ولكن . . هنا . . لم نتمكن من تقديمها . .

---

(١) نفسه ص٢١٧ .



بل إن أجهزة إعلامنا العربية تحاول أن تنسينا أبشع جريمة ارتكبتها «دولة إسرائيل» . .

يا سادة . .

لقد كانت هذه المجزرة هى دافعى لكتابة هذا الكتاب . .

يا كتاب العربية . .

نريد أن نقرأ ونسجل أحداث هذه المجزرة التى لم يحدث مثلها فى التاريخ . .

نريد أن نلقنها للأجيال القادمة . . ليعرفوا دائمًا ماذا فعلت بهم «دولة إسرائيل» . .

نريد أن نقيم مهرجانًا للشعر . . نتحدث فيه، فى ذكرى المجزرة عن ضحاياها . .

نريد أن نقيم مهرجانًا منسوبًا للقصة نتحدث فيه عن أعداء البشرية الذين اقتحموا مخيمى صبرا وشاتيلا . .

فيا كتاب العربية . . لا تكونوا شياطين خرسا . . وفى الختام يقول الأستاذ وجيه أبو ذكرى:

والآن . . ماذا يعنى مخيمًا صبرًا وشاتيلا للاجئين الفلسطينيين؟

إن إسرائيل تتخيل أن المخيم الفلسطينى فى أى مكان كالجيتو اليهودى ولكن المخيم الفلسطينى يختلف تمامًا عن «الجيتو»، إنه مكان يأوى كل الفقراء سواء أكانوا فلسطينيين أم غير فلسطينيين، وسواء أكانوا مسيحيين أم مسلمين ثم . . وليس له قوانين خاصة، ولا طقوس خاصة، بعكس الجيتو تمامًا، الذى يضم اليهود فقط، ويمارسون فيه طقوسهم، فالمخيم تجمع علمانى للفقراء، والجيتو تجمع عنصرى لليهود . . ولأن هذا المفهوم بعيد عن أذهان قيادة المؤسسة العسكرية وتصورهم أن «المخيم» وحدة ممكن أن تنطلق منه «صهيونية» فلسطينية . . مما جعل كل المخيمات فى كل مكان هدفًا استراتيجيًا لقوات إسرائيل الإرهابية(١) . .

(١) نفسه ص٢١٨ .





شهادة صحفى إنجليزى على تعذيب الأسرى الفلسطينيين:

«عندما أرى صور الأسرى الفلسطينيين فى الصحف وأيديهم وأرجلهم مربوطة وأعينهم مغطاة، لا حيلة لهم فى الجو الحار الرطب، لا أستطيع أن أقلب الصفحة أو أن أفكّر فى أى شىء آخر . .

ولقد كتبت بعد عودتى من الضفة الغربية بعد حرب عام ١٩٦٧ فى مقال لى أنى مررت بظروف تتفاوت بين الجيدة والسيئة، خلال سجنى الذى استمر لمدة أربع سنوات كأسير حرب فى ألمانيا ولكن الألمان لم يعاملونى قط بالفظاظة التى يعامل بها الإسرائيليون العرب فى قطاع غزة والذين كانوا أغلبهم من النساء والأطفال، إن هذه الحقيقة المجردة وهى توضح أهمية توفير الحماية لهؤلاء الفلسطينيين الواقعين فى قبضة إسرائيل فى معسكرات الاعتقال فى جنوب لبنان»(١).

توحش الإرهاب الإسرائيلى عقب حرب يونيو سنة ١٩٦٧:

نفس «اللعبة الإرهابية» التى لعبت قبل قيام الدولة، تحدث الآن وبنفس الأسلوب، بعد قيام الدولة، فلقد حدث بعد الانتصار «الخاطف» للقوات الإسرائيلية على الدول العربية فى حرب يونيو عام ١٩٦٧، أن أغرت هذه الانتصارات قدامى الإرهابيين أن يعيدوا نشاطهم ضد العرب فى الأرض المحتلة، أو لنقل إن هذه الانتصارات واحتلال أراضى ثلاث دول عربية، قد بعثت من جديد جذور الإرهاب اليهودى عبر التاريخ، **فقامت منظمة يهودية إرهابية فى حماية دولة إسرائيل مهمتها القيام بمجازر مذابح ضد الفلسطينيين فى الأرض العربية المحتلة** بهدف إرغامهم على الهجرة إلى خارج فلسطين، كما أن مهمة هذه المنظمات الاستيلاء على أراضى الفلسطينيين بالقوة، وإقامة المستوطنات الإسرائيلية فى الأراضى العربية المحتلة. وتتلقى هذه المنظمات الإرهابية، كل عون ودعم من الحكومة الإسرائيلية ومؤسساتها، وكأنها تقيم إسرائيل ثانية . .

(١) مايكل آدمز الجارديان البريطانية ٩/٨/١٩٨٢ كتاب (الإرهابيون الأوائل) ص٢٤١.





والغريب فى الأمر أن معظم قيادات هذه المنظمات من الحاخامات -أى أن قيادة الإرهاب يكمن فى رجال الدين اليهودى- والمعروف أن رجل الدين، يميل دائمًا إلى التسامح والعدل والإنسانية، **إلا رجال الدين اليهودى الذين وضعوا العقيدة الصهيونية العبقرية، وقادوا عمليات إرهابية وحشية ضد العرب فى كل مكان وزمان.** وهذا ما يفسر أصول جذور الإرهاب اليهودى من التلمود وحتّى الجيتو الكبير «إسرائيل».

بعد هزيمة يونيو عام ١٩٦٧، اجتمع خريجو مدرسة «مركاز هاريا» وهى واحدة من عشرات المدارس الدينية فى إسرائيل، وذلك لتكوين جمعية تساهم فى استيطان الأراضى الجديدة.. أى أراضى الضفة الغربية وغزة، واجتمع حاخامات هذه المدرسة، ووضعوا دستورًا لجمعيتهم والتى أطلق عليها «جوش ايمونيم».. ومهمة هذه الجماعة، كما جاء فى دستورهم زرع الإرهاب فى نفوس العرب حتى يتركوا الأرض وبعدها تقيم الجمعية المستوطنات الإسرائيلية، لتحقيق دولة يهودية خالصة بلا عرب.. وقد انضم هؤلاء للعمل من خلال حزب (المفدال) للمتدينين الوطنيين ثم انفصلوا عن «المفدال» بعد حرب عام ١٩٧٣، يقود هذه الحركة الحاخام الإرهابى تسفى يهودا كوك، ووالده إرهابى سابق، وهذا الذى أسس المدرسة الدينية «مركاز رابا» التى خرجت معظم قيادات هذه المنظمة الإرهابية أمثال الحاخام موشيه ليفيجى، والحاخام حاييم دوركمان «عضو كنيست» وحنان يورات، وهذه الجمعية، هى أول من أقام مستوطنة فى الأرض العربية المحتلة، وهى مستوطنة «الون موريه» الشهيرة[(١)].

وتتلقى حركة غوش ايمونيم دعم ومساندة السلطات الصهيونية الحاكمة إذ يقف وراءها عدد من رجال الحكم الكبار وعدد من كبار رجال الأعمال ومعظم ميزانية الحركة مصادرها ووسائل التمويل الحكومية بصورة مباشرة وغير مباشرة.. وقد تمتعت غوش ايمونيم ومنذ بداية تكوينها بتمويل من أرباب الصناعة ورجال البنوك الأغنياء وكمثل على مموّلى غوش ايمونيم فإن اسحق شوبنسكى الذى كان يملك شركة إنتاج سيارات أوتوكارس قد تبرع بسيارة للحاخام ليفنغر ورجاله بعد غزوهم لمدينة

(١) نفسه ص٢٦٨.



الخليل . . وقد حقق مع شوبنسكى بتهمة توزيع سيارات على بعض الرجالات والمسئولين بأسعار رخيصة . .

وهناك ممول آخر معروف هو لغوش ايمونيم وأيضًا رجل البنوك المعروف يهوشع بن يسيون . . وهناك ممولون من خارج فلسطين المحتلة أبرزهم سيريل شتاين مدير شبكة دور الكازينوهات والقمار فى لندن وتاجر الأسلحة المكسيكى ماركوس كاتس . كما أن العشرات من الموظفين الرئيسيين فى جوش ايمونيم يتلقون رواتبهم من الحكومة . .

وبعد عام ١٩٧٧ أخذت الأموال تتدفق على صندوق هذه الحركة الاستيطانية من كافة الوزارات الصهيونية مثل وزارة الزراعة والإسكان والاستيعاب ووزارة الدفاع ومن دائرة الاستيطان فى الوكالة اليهودية . .

كانت جوش ايمونيم قد أقامت مستوطنة أخرى وأطلقت عليها اسم «أمانا» . . ومن هذه المستوطنة خرجت جمعية تدين بدستور جوش ايمونيم ، وتعمل كتنظيم مستقل ، وتحاول إقامة مستوطناتها فى قطاع غزة ومنطقتى الجليل ونابلس . . وتؤمن كما تؤمن المنظمة الأم بضرورة العنف للاستيطان فى الأرض العربية المحتلة مستندين فى ذلك إلى نص دينى[(١)] ، وهو سفر التثنية :

«حين تقترب من مدينة لكى تحاربها ، استدعها للصلح . . فإن أجابتك لصلح وفتحت لك ، فكل الشعب الموجود فيها يكون للتسخير ويستعبد لك ، وإن لم تسالمك بل عملت معك حربًا فحاصرها ، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك ، فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما فى المدينة كل غنيمتها ، فتضمنها لنفسك ، وتأكل غنيمة أعدائك التى أعطاها الرب إلهك هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدًا التى ليست من مدن هذه الأمم هنا ، وأما مدن هذه الشعوب التى يعطيك الرب إلهك نصيبًا ، فلا تستبق منها نسمة ما»[(٢)] !!

سفر التثنية.

---

(١) نفسه ص٢٦٩ .

(١) (الإرهابيون الأوائل) ص٢٨٣ .



معارضة الإرهاب الصهيونى:

ولكن هناك من يعارض هذا الإرهاب حرصًا على بقاء إسرائيل اخترنا منهم إثْنين:

أولاً: إن روجيه جارودى يشرح لماذا يحارب الصهيونية . . فيقول:

- «الشعب فى إسرائيل وقد بدا يعى الألاعيب التى كان هو ضحيتها بسبب ما تفعله حكومة إسرائيل، فينبغى أن نميز اليهودية من الأسطورية الصهيونية التى تشوه شكل اليهودية من أجل أغراض سياسية. وواجبنا أيضًا ألا نستسلم أمام الإرهاب الفكرى الذى يقوم به من يعملون من أجل العنصرية الإسرائيلية ويبغون تقسيم العالم قسمين: صهيونيين ولا ساميين، كما فعل بالأمس العنصريون عندما زعموا تقسيم العالم إلى يهود وغير يهود».

«إننا نحارب الصهيونية السياسية لأننا مناهضون للعنصرية، وليست مناهضة الصهيونية هى التى تخلق اللاسامية فالأمر على عكس ذلك تمامًا، فالصهيونية هى التى تخلق اللاسامية».

إننا نحارب الصهيونية التى تستخدم الدين لإضفاء صفة القداسة على السياسة.

والثانى: مفكر إسرائيل هو بنجامين عمرى (٨٠ سنة)، حيث يرى أن الحركة الصهيونية محكومة عليها بالموت على أرض فلسطين لا محالة، وأن إنقاذ الشعب اليهودى فى دولة إسرائيل الحالية لن يأتى إلا من خلال سلام حقيقى مع الفلسطينيين أولاً، ومع العالم العربى[١].

كذلك ويندد بالإرهاب الصهيونى ضد الفلسطينيين والعرب[٢]. ويقدم حلاً جريئًا للمسألة اليهودية، يقول عمرى:

- «إن قدرة إسرائيل على الاستيعاب فيما يتعلق بالمجتمع اليهودى المعاصر، بما فى

---

(١) نفسه ص٣٠٥.

(٢) بنجامين عمرى - إسرائيل وفلسطين بعد الحقبة الصهيونية.
(كتاب الإرهابيون الأوائل) ص٣٠٦).



ذلك مجتمع إسرائيل نفسها، بلغت حد الصفر، بل ما دون ذلك . . ومن ثم فمن المحتمل أن يكون ميزان الهجرة بالنسبة لليهود الإسرائيليين سلبيًا (الفصل السادس)، ولو على الأقل فى الوضع السياسى الراهن[1].

وهذا يعنى أن الصهيونية الحقيقية أى الصهيونية التى ينظر إليها كحل للمسألة اليهودية قد ماتت منذ أوائل الخمسينيات وهى تستمر كشبح، فى شكل شعار أجوف يدعو إلى الهجرة إلى إسرائيل . .

وطالما كانت هناك صهيونية حية، أى حركة قومية يهودية، كانت هناك أمة يهودية لكنها لا تضم غير جزء من الشعب اليهودى، والشعب اليهودى لا يزال موجودًا ولكن ليست هناك حركة قومية يهودية، ولا أمة يهودية إلى جانب الأمة اليهودية -الإسرائيلية .

وما يسمى الآن بالصهيونية هى صهيونية غير حقيقية، ولكنها مجرد صهيونية تساند الدولة اليهودية، وتعتبرها بمثابة قبلة ليهود العالم، هذا الاتجاه الذى يجمع عليه الآن تقريبًا اليهود الغربيون بشكل جماعى -سواء اعتبروا أنفسهم كصهيونيين أم لا -لا يعنى أكثر من تأييد إسرائيل كدولة تقتصر على اليهود- أو على الأقل دولة يسيطر عليها اليهود وحدهم -والمساعدة بشكل ثانوى لدفع اليهود الغربيين تجاه الغربيين تجاه اليمين . .

ومن ثم يشجع اليهود الغربيون على الاستمرار فى اتجاهها الحالى نحو تصفية نفسها، سواء تحت حكم كتلة ليكود أو حكومة التحالف، ونتيجة الحروب التى لا تنتهى مع العالم العربى، وتدهور الإنتاج وما يترتب على ذلك من هجرة من إسرائيل، وهذا الاتجاه لا يؤدى فقط إلى التصفية الذاتية للدولة اليهودية، ولكن أيضًا إلى تقويض وجود المجتمع اليهودى على أرض إسرائيل .

وهناك اتجاه بديل، وهو تشجيع إسرائيل على السعى من أجل السلام مع العالم العربى، وفى المقام الأول السلام مع الفلسطينيين، ولكن إقرار سلام حقيقى مع

(١) كتاب الإرهابيون الأوائل ص٣٠٦ ومصدره كتاب بنجامين عمرى (اسرائيل بعد الحقبة الصهيونية).





الفلسطينيين يقتضى بالضرورة حل مشكلة لاجئى ١٩٤٨، وهذا يعنى تحويل إسرائيل إلى دولة يهودية - عربية . .

إن ابن جامين عمرى (٨٤ سنة) . . كان قد آمن بالصهيونية وعاش فى إسرائيل . . وترفض الصحف الإسرائيلية نشر أفكاره لأنها ضد العقائد التى تحاول إسرائيل تنميتها، **ولأنه يرى أن الإرهاب الصهيونى فى إسرائيل.. قد يؤدى إلى تصفية الوجود الإسرائيلى بالكامل!!**

وقال الأستاذ وجيه أبو ذكرى فى نهاية كتابه:

(وفى آخر هذه الأوراق . . أطرح سؤالاً مهمًا . . متى يتوقف الإرهاب الإسرائيلى ضد الفلسطينيين، وضد العرب؟ . .

. . الإجابة على هذا السؤال بضرورة التغيير فى بنية إسرائيل نفسها فى النظرية الصهيونية نفسها، فلا يوجد فى إسرائيل حمائم وصقور، ولكن يوجد نظرية صهيونية، أدت هذه النظرية إلى بربرية إسرائيل قبل وبعد قيامها، وإلى هجماتها الوحشية قبل وبعد كامب ديفيد . . فلن يتوقف الإرهاب الصهيونى ضد الفلسطينيين، وضد العرب إلا إذا تم انتزاع هذه العقيدة السياسية القاتلة المسماة بالصهيونية وإلاّ فستظل هذه العقيدة تدفع بالإسرائيليين إلى مزيد من سفك الدماء ومزيد من المذابح، ومزيد من العداء، ولن تتوقف بحور الدم إلا برفض إجماعى فى إسرائيل للنظرية الصهيونية، أو حسم الصراع فى أكتوبر جديد . . وبأسلوب جديد)[١] .

●●●

---

(١) نفسه ص٣٠٨ .





• الفصل السادس:

الإرهاب فى العاصر الحديث: أهدافه وتطوراته وبعض نماذجه:

إن من أعجب ما نقرأه ونسمع عنه هو إلصاق تهمة «الإرهاب» بكل من هو مسلم، بينما حقيقة الإرهاب أنه صناعة استعمارية غربية استخدمه الغرب فى إخضاع الشعوب لسيطرته بالقوات العسكرية التى لا تعرف ولا تستخدم إلا الحديد والنار لقهر الشعوب المغلوبة على أمرها! وهل الإرهاب إلاّ أخطبوط الاستعمار؟ وأمامنا فى مطلع القرن الواحد والعشرين الميلادى مشاهد جرائم إسرائيل مع أهل فلسطين ومخازى الصرب مع المسلمين والمسلمات فى البوسنة والهرسك، ووحشية الروس مع الشيشان، وكلها تتفق فى اكتساح المدن وحرقها وأعمال الإبادة والاغتصاب مما يندى له الجبين، وما يزال الغرب يطوّر وسائل إرهابه!.

وإذا علمنا أن إسرائيل من «غرس» حضارة الغرب أيضًا، فلا يدهشنا استخدام سلاح الإرهاب، فى اغتصاب أرض فلسطين بعد تدمير القرى والمدن وقتل المدنيين من النساء والأطفال والشيوخ، ونسف المساكن وإحراق المزارع، وكل ذلك للتعجيل بتحقيق أمر واقع بالقوة وبغير حق وكان شعار بيجن الإرهابى السفاح (قال ديكارت أنا أفكر فأنا إذن موجود، وأقول: أنا أقتل فأنا إذن موجود)[1].

أرأيتهم إرهابًا أكثر إجرامًا ووقاحة من هذا الإعلان الذى يعبر عن استخفاف بكل القيم والأعراف الإنسانية؟!

لقد أصبح القتل غاية لإثبات الوجود -أى على أشلاء سكان فلسطين الأصليين أصحاب الأرض المغتصبة.

---

(١) ص(٣٩) من كتاب «الصهيونية والعنف» للرائد حسين الطنطاوى، دراسة علمية بعد حرب أكتوبر، ط. دار الشعب سنة ١٩٧١م.

هذا البحث مستل من كتابنا (خواطر حول كتاب الإسلام من الشرق والغرب لعلى بنحونتين) هـ دار الراشدين/ مصطفى كامل. الإسكندارية ٢٠٠٨م.



(وكانت هذه «الدولة» اليهودية تحتل ضعف ما خولته لها قرارات التقسيم التى صدرت عن الأمم المتحدة، وثلاثة أضعاف المساحة التى اقترحها الكونت برنادوت، هذا فضلاً عن عقارات وأملاك وأموال لعرب فلسطين تركوها يوم شردهم الغدر اليهودى الإرهابى الذى مارسته العصابات اليهودية على الأسلوب الماركسى الإرهابى، والذى أتقنته الحركات اليسارية الثورية فى الاتحاد السوفيتي وأوروبا الشرقية -هى مسقط رأس الأغلبية الساحقة من الزعماء والقادة العسكريين الصهيونيين الذى تولوا إرهاب عرب فلسطين والغدر بهم- من بن غوريون إلى مانيويلكسى هوشه منه، ومناحيم بيجن، ومئات غيرهم من كبار الإرهابيين وصغارهم، الذين وردوا من روسيا السوفياتية قبل عام ١٩٤٧م ومولد النكبة الفسطينية، كما وردوا مدججين بالسلاح والتدريب الإرهابى فى أوج الصراع العربى -اليهودى المسلح فى أعوام ١٩٤٧ و١٩٤٨م)[١].

إنها وقائع «الإرهاب» المتكررة بواسطة الغرب المتحضر حتى العصر الحديث وكثيراً ما يقع بعد عقد معاهدات، وذلك منذ إبادة المسلمين من إسبانيا، يقول جوستاف لوبون: (وعاهد فرديناند العرب على منحهم حرية الدين واللغة، ولكن سنة ١٤٩٩م لم تكد تحلُّ حتى حل بالعرب دور الإضطهاد والتعذيب الذى دام قرونًا، والذى لم ينته إلا بطرد العرب من إسبانيا، وكان تعميد العرب كَرهًا فاتحة ذلك الدور، ثم صارت محاكم التفتيش تأمر بإحراق كثير من المعمّدين على أنهم من النصارى، ولم تتم عملية التطهير بالنار إلا بالتدريج لتعذر إحراق الملايين من العرب دفعة واحدة، ونصح كاردينال طليطلة التقىُّ، الذى كان رئيسًا لمحاكم التفتيش، بقطع رءوس جميع من لم يَتَنَصَّر من العرب رجالاً وشيوخًا وولدانًا، ولم ير الراهب الدومينيكى بليدا الكفاية فى ذلك فأشار بضرب رقاب من تنصر من العرب ومن بقى على دينه منهم، وحجته فى ذلك أن من المستحيل معرفة صدق إيمان من تنصر من العرب، فمن المستحب، إذا، قتلُ جميع العرب بحد السيف لكى يحكم الرب بينهم فى الحياة الأخرى ويُدخل النار من لم يكن صادق النصرانية منهم، ولم تر الحكومة الإسبانية أن تعمل بما أشار به الدومينيكىُّ الذى أيده الإكليروس فى رأيه لما قد يُبديه الضحايا من مقاومة، وإنما أمرت

(١) ص (٣٥٧) من كتاب «موسكو وإسرائيل» للدكتور عمر حليق، ط. دار السعودية للنشر بدون تاريخ.



في سنة ١٦١٠م، بإخلاء العرب من إسبانيا، فقتل أكثر مهاجرى العرب فى الطريق، وأبدى ذلك الراهب البارع بليدا، ارتياحه لقتل ثلاثة أرباع هؤلاء المهاجرين فى أثناء هجرتهم، وهو الذى قتل مائة ألف مهاجر من قافلة واحدة كانت مؤلفة من ١٤٠٠٠٠ مهاجر مسلم حينما كانت مُتجهة إلى إفريقيا[١].

وختامًا لهذه الفواجع، ننهى المأساة بما قرره لوبون: (وخسرت إسبانيا بذلك مليون مسلم من رعاياه فى بضعة أشهر، ويُقدر كثير من العلماء، ومنهم سيديو عدد المسلمين الذين خسرتهم إسبانيا منذ أن فتح فرديناند غرناطة حتى إجلائهم الأخير بثلاثة ملايين، ولا تُعد ملحمة سان بارتلمى إزاء ذلك المذابح سوى حادث تافه لا يُؤبه له، ولا يسعنا سوى الاعتراف بأننا لم نجد بين وحوش الفاتحين من يُؤاخذ على اقترافه مظالم قتل كتلك التى اقتُرفت ضد المسلمين.

ومما يرثى له أن حُرمت إسبانيا عمدًا من هؤلاء الملايين الثلاثة الذين كانت لهم إمامة السكان الثقافية والصناعية[٢].

نماذج من الإرهاب الغربي فى العصر الحديث:

وكذلك يسرد مؤلف كتاب (العذاب الذى لاقاه المسلمون على أيدى الغرب) أحداثًا رهيبة، وسجل أبشع وقائع الإرهاب والقرصنة، ويلفتنا إلى أن أمريكا لها باع طويل أيضًا فى الإسهام بجرائم الاستعمار بشكله القديم، على غير الشائع عنها بأنها رائدة الاستعمار الجديد!

وامتد نشاطها الاستعمارى منذ القرن التاسع عشر بعقد معاهدات مجحفة بالخليج العربى والتبشير بالمسيحية وراء ستار التمريض وبناء المستشفيات لاصطياد المرضى والمحتاجين.

---

(١) «حضارة العرب» ترجمة عادل زعيتر ص (٢٧٠ - ٢٧١)، مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه، سنة ١٩٦٩م.
ويذكر مؤلف الكتاب جوستاف لوبون أن دولة العرب دامت فى إسبانيا نحو ثمانية قرون (ص ٢٧٠)، ويقول: كان أتباع محمد ﷺ يذلّوننا بأفضلية حضارتهم الساحقة، وأننا لم نتحرّر من نفوذهم إلا بالأمس (ص ٥٧٧).

(٢) نفسه ص (٢٧٢) م.





ونجحت أمريكا فى إنشاء أول جامعة أمريكية فى بيروت سنة ١٨٦٦م، وكونت منظمتان للتبشير (الأولى هى «المرسلون الأمريكيون» والثانية هى «جمعية التوراة الأمريكية» فكان شعار الجمعية الأخيرة هو «نشر المسيحية فى العالم كله فى حياة جيل واحد»)(١) .

أما الإرهاب الأمريكى فى إندونسيا فإنه سلسلة من المآسى والفواجع ونكتفى بواحدة منها، عندما استاء سكان سومطرة من تهريب الأفيون والويسكى وفتح أمريكا لجنودها بيوت الدعارة، انطلقت بأوامر وزيرة البحرية الأمريكية سفينة حربية ضخمة اسمها «بوتاماك» ونزلت منها فصيلة من المارينز «البحرية الأمريكية» ودكت البيوت دكًا وحصدت الأرواح حصدًا بينما كان الأهالى خارجين من المساجد عقب صلاة الفجر، وكتب قائد الفصيلة الأمريكى إلى وزارته يصف المأساة ليعلن بفخار أنه (تم تحويل المدينة كلها تقريبًا إلى أنقاض وأكوام من الرماد، وأغلبية البيوت الكبيرة لم يبق منها غير الأنقاض)(٢) .

ومن الصفحات المجهولة فى تاريخ استعمار بريطانيا لمصر سنة ١٨٨٢م، أن أمريكا اشتركت بأربع قطع بحرية كبيرة مع الأسطول الإنجليزى (وتسببت فى تدمير الإسكندرية وقتل عشرات الآلاف من المصريين بعد القصف العشوائى للمدينة)(٣) .

ونكتفى بهذا القدر لإيقاظ الوعى بما يدور حولنا ونطالعه ليل نهار، ولا نندهش إذا نظر العالم الغربى إلى الروس وهم يحولون مدينة جروزنى إلى أنقاض ويقتلون الشيوخ والنساء والأطفال فى الشيشان فتلك عادة القوم، وهذه طبيعتهم التى لا تستنكر أية جرائم، طالما أنها تمارس فى بلاد العالم الثالث -وأغلبه من المسلمين-، بل مما يزعج الإنسان أن هذه الأعمال تُعد من المفاخر فلا يجد الأمريكان بأسًا (حتى يومنا هذا فى نشيدهم الوطنى لمشاة البحرية بالتغنى بمعركة «درنة بليبيا ١٨٠٥م» قائلين: (من تلال مونتيسوما إلى سواحل طرابلس، فى السماء، وفى الأرض، وفى البحر خضنا معارك الوطن)(١) .

---

(١) ص (٤٧) من كتاب «العذاب الذى لاقاه المسلمون» تأليف عميد مهندس كامل الشرقاوى، مطابع الأهرام ١٩٩٨م.

(٢) نفسه ص (٥٣) .

(٣) نفسه ص (٤٥) .

(٤) نفسه ص (٢٥) .





وتكررت أعمال الإرهاب البشع فى بلاد الجزائر وتونس وليبيا والجزائر . . وفى سنة ١٨١٤م (أمطرت سفن الأسطول الأمريكى مدينة الجزائر بالقنابل والقذائف من القنابل الثقيلة وقدر عدد القتلى بعشرات الآلاف)(١) .

أما فى تونس، فقد كتب «سبيرس» المؤرخ الأمريكى المختص بالبحرية الأمريكية يقول عام ١٨٩٧م -أى بعد دخول تونس بنحو ٩٠ عامًا- يقول: (لم تخف أمريكا اعتداءاتها على شعوب العالم الإسلامى، ولم تستطع أن تصور للعالم أنها صديقة العالم الإسلامى . . وأنها حجة للسلام وصديقة الإسلام الدائمة . . وتحت القصف العشوائى لمواسير مدافع السفن الأمريكية أملت على حاكم تونس شروط الصلح، وهو لم يحدث له مثيل من قبل)(٢) .

الإرهاب الروسى:

وأمَّا ما فعله الاتحاد السوفييتى وبلاد أوروبا الشرقية فى المسلمين فلا يكفى الإحاطة به مجلدات . ولقد عانى المسلمون أكثر من غيرهم فى ظل هذه الأنظمة الجائرة، وكان هدفها الثابت زحزحتهم عن دينهم وإلقائهم فى أتون الإلحاد منذ قام الشيوعيون بالثورة واستلموا الحكم فى روسيا (وكان إفناء المسلمين والقضاء على الإسلام فى رأس قائمة الأعمال التى ينوونها لأن الشيوعية هى بنت اليهودية الفاجرة واليهود يعلمون بأن المسيحية لا تستطيع أن تقف تعاليمها وتاريخها أمام اليهودية لأنها هى ذاتها فرع من اليهود وتشريعها هو التشريع اليهودى ذاته، ولكنهم يخشون الإسلام لأنه هو الدين الوحيد الذى يستطيع أن يقف فى وجه اليهودية وغير اليهودية من الديانات والعقائد أو من الأديان السماوية ومن الأديان الأرضية)(٣) .

---

(١) نفسه ص (٢٨) .

(٢) نفسه .

(٣) ص (٩٠) من كتاب «المسلمون أمام التحدى العالمى» للدكتور إحسان حقى، بيروت، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦، وتشير د/ زينب عبد العزيز إلى التحالف السياسى بين اليهود لضرب ما يطلقون عليه (العدو المشترك) ومع نفيها لتحقيق ذلك لأن الله حق ووعده حق «الدين عند الله الإسلام» ص (١٠٤) تنصير العالم «مناقشة لخطاب البابا يوحنا يولس الثانى»، دار الوفاء بالمنصورة، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .



ولو انتقلنا من إرهاب الدول التى تملأ أجهزة إعلامها أدمغة العالم بالصراخ عن حقوق الإنسان ورعايتها له بينما هى التى لا تتورع عن اغتياله إذا سنحت لها الفرصة ووجدت فى ذلك مصلحتها، إذا انتقلنا إلى إرهاب الجماعات المعاصرة لتبين أنها تنتمى إلى دول الغرب أيضًا، وقد عَدَّدَ الأستاذ شريف الشوباشى بعضها خلال العشرين عامًا الماضية فقط، فمن أشهرها جماعة من بادر -ما ينهوف فى ألمانيا الغربية، والألوية الحمراء فى إيطاليا، والعمل المباشر فى فرنسا، والإيتا فى إسبانيا، وجيش التحرير السمبيونيزى فى أمريكا، وجيش التحرير الأيرلندى.. وهناك أيضًا منظمة غربية سرية تدعى «السيف»..

وأضاف إلى ذلك أن الجماعات الصهيونية هى التى تمارس الإرهاب فى الشرق الأوسط، ومنها (انفجار فندق الملك داود واغتيال الكونت «برنادوت» مبعوث الأمم المتحدة، واغتيال وزير الدولة البريطانى «لورد موين»، وانفجار أول لغم ناسف فى وجه الضابط المصرى الشهير «مصطفى حافظ»)[(١)].

ويقول مؤلف كتاب «حضارة الدم وحصادها -فصول من تاريخ الإرهاب الأمريكى»:

(يخطىء من يعتقد أن الإرهاب الأمريكى بدأ من ظهور الولايات المتحدة كقوة عظمى عقب نهاية الحرب العالمية الثانية، فالإرهاب الأمريكى بدأ قبل ذلك بنحو خمسة قرون تقريبًا مع اكتشاف أمريكا نفسها فمنذ اليوم الأول لنزول كريستوفر كولومبوس على شواطىء جزر الباهاما بدأت أعتى حملات الإبادة وأكثرها دموية فى التاريخ البشرى ضد السكان الأصليين لما عرف بعد ذلك بالعالم الجديد)[(٢)].

ونقل المؤلف بضعة سطور من مذكرات كولومبوس حيث سجل عبارته الدموية التى رسمت سياسات الحكومات المتعاقبة لأمريكا فقال: (باستطاعتى احتلال كل هذه الأراضى والجزر بخمسين من رجالى ويمكننى حكم هؤلاء الهنود كما أشاء)[(٣)].

---

(١) شريف الشوباشى «هل فرنسا عنصرية» ص (١٨١)، مطابع الأهرام ١٩٩٢م.
وقد سبق أن سجلنا هذه الوقائع بكتابنا «حضارة العصر - الوجه الآخر»، وقد صدر فى سبتمبر ٢٠٠٠م - أى قبل أحداث سبتمبر ٢٠٠١م - بعام كامل.

(٢) د/ نزار بشير: «حضارة الدم وحصادها - فصول من تاريخ الإرهاب الأمريكى» ص (١٤)، ط. الزهراء للإعلام العربى -مدينة نصر بالقاهرة، ٢٠٠٣م.

(٣) نفسه ص (١٦).



ونجترىء بعض فقرات من الكتاب الذى يحتوى على ضحايا الإرهاب الأمريكى، منها ما حدث من عمليات إبادة الأهالى فى الفلبين حيث وصفها أحد البريطانيين، بأنها ليست حربًا (بل ببساطة هى عمليات إبادة منظمة ومجازر)[١].

وكان الكاتب الأمريكى الساخر «مارك توين» من أكثر من انتقد إرهاب دولته تجاه أهل الفلبين حتى أنه اقترح مرة (إبدال النجوم فى العلم الأمريكى بجمجمة وعظمتين متقاطعتين -رمز القرصنة)[٢].

من أدوات الإرهاب فى العصر الحديث مدرسة التعذيب:

ونعنى بذلك استخدام التعذيب كطريقة مقننة، لها مدرستها وأساتذتها وطرقها:

وفى ضوء هذا الأمر الغريب، نستبعد التفسيرات التى قيلت حول التعذيب البشع فى سجون العراق فى ظل الاحتلال كالسادية أو التصرفات الفردية أو التنفيذ بتعلمات من القيادة العسكرية أو قلة معلومات جنود الاحتلال عن الثقافة الإسلامية.. إلخ.

وسنحاول التعرف على نشأة هذه المدرسة وواقعها ودورها فى تنفيذ السياسة الأمريكية للهيمنة، لتكتمل لدينا الصورة الحقيقية لهذه الدولة التى كثيراً ما بهرتنا بشعاراتها عن الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان! بينما تمارس الإرهاب بأبشع صوره.

أُنشئت هذه المدرسة العسكرية -كما يصفها جارودى- فى عام ١٩٤٦م ببناما ثم نُقلت عام ١٩٤٨م إلى نورث بيينغ جيورجيا وهدفت إلى تدريب الضباط والشرطة على استخدام وسائل القمع فى بلدان أمريكا الجنوبية المتحالفة مع الولايات المتحدة.

وتوصى الكتب الدراسية المقررة فى هذه المدرسة حتى بين عامى ١٩٨٢، ١٩٩١م، باستخدام التعذيب والإعدامات بدون محاكمة، واستخدام كل أساليب العنف بغية الحصول على المعلومات من المعارضين.

(١) نفسه ص (٦٥). (٢) نفسه ص (٦٦).
ويذكر المؤلف أنه فى ولاية (بتانجس) وحدها قتل مائدة ألف فلبينى أثناء معارك التحرير ضد الاستعمار الأمريكى وكانت أوامر القائد الأمريكى (سميث) حيذاك (اقتل كل شىء فوق سن العشر سنوات) ص (٦٤ - ٦٥).





وقد قامت هذه المدرسة بتدريب ٦٠ ألف طالب من اثنى عشر بلدًا، وبلغت ذروتها فى أعوام الستينات حيث كانت أمريكا منغمسة فى دعم الأنظمة المعادية للشيوعية فى أمريكا اللاتينية، وقد أصبح عدد من الضباط المتخرجين من هذه المدرسة جلادين مشهورين، رؤساء دول، من بينهم نوربيغا الجنزال البانامى[١].

ويعرض جارودى لبعض عناوين الكتب التعليمية المجرمة التى يدرسها الطلاب هناك وهى مكتوبة باللغة الإسبانية، وتحمل العناوين التالية: (معالجة مصادر المعلومات، التجسس المضاد، الإرهاب وحرب العصابات فى المدن. . احتجاز الوالدين والأقرباء واعتقالهم وتعذيبهم. . والتهديد بالسجن والإعدام)[٢].

إبادة الشعوب الإسلامية:

وصفت عالمة الأديان أرمسترونج الحروب الصلبية بأنها كانت حروب إبادة ولا ينبغى أن نمر مرور الكرام على هذا الوصف الدامغ لتلك الحروب، فإن استرجاع بعض وقائعها يُعيد إلى الأذهان هول جرائمها، وتزيدنا اقتناعًا بأن مسلسل «الإبادة» لا زال مستمرًا فى الشعوب الإسلامية، إذ تسجل صفحات التاريخ إعلان البابا أوريان الثانى فى ٢٧/ ١١/ ١٠٩٥م بابا الكنيسة الاثوليكية فى روما أن المسلمين كفرة يستباح دماؤهم والاستيلاء على ممتلكاتهم. . ودخلت قوات الحملة الصليبية الأولى الأراضى المقدسة بعد ظهر يوم الجمعة ١٥/ ٧/ ١٠٩٩م فى مشهد تاريخى رهيب، يقول عنه المؤرخ جيبون:

(إن خدّام رب المسيحيين رأوْا باعتقادهم الأعمى أن يكرّموا الرب فقاموا بذبح سبعين ألفًا من المسلمين. . تعظيمًا وإجلالاً وزلفى وقربانًا له. . ولم يرحموا كبار السن والأطفال والنساء. . . وقد استمرت هذه المذبحة ثلاثة أيام وإن من احتفظوا بهم

(١) باختصار من كتاب «الولايات المتحدة طليعة الانحطاط» تأليف جارودى ص (١٠١)، ترجمة مروان حموى دار الكتاب -دمشق، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.
(٢) نفسه ص (١٠١).





من الأسرى دون أن يقتلوا، إنما يرجع بقاؤه على قيد الحياة إلى التعب والإجهاد الذى أصاب الصليبين من كثرة ما قاموا به من القتل والذبح)[١].

ويرى الدكتور الحسيني أن الإبادة -إلى جانب كونها خاصية بشرية- فإنها تضرب بجذورها إلى الفكر الدينى اليهودى والمسيحى معًا، ويضرب مثلاً على ذلك بالعقيدة «التطهرية» «البيوريتانية» هى من أولى الأيدولوجيات الامبريالية الإبادية التى كانت تغطيها ديباجة دينية كثيفة، وقد اعتنق هذه العقيدة المستوطنون البيض فى أمريكا الشمالية وكانوا يشيرون إلى هذا الوطن الجديد باعتباره «صهيون الجديدة» أو الأرض العذراء، فهى أرض بلا شعب. . وأثناء مطاردتهم للهنود الحمر للقضاء عليهم والاستيلاء على أرضهم كانوا يستشهدون بـ«سفر التثنية» وبـ«عمليات الإبادة المقدسة»[٢].

كذلك تحققت الإبادة بشكل نموذجى كامل فى «الإبادة النازية»، فقد أطلق الكاتب الأمريكى «ثيودور كوفمان» فى عام ١٩٤٢م فى سياق كتابه «لا بد من إبادة ألمانيا» الدعوة الصريحة للإبادة الجماعية بالمعنى الحرفى للكلمة[٣]، كما أيد هذه الدعوة الروائى الشهير «ارنت هيمنجواى» الذى طالب بتعقيم الألمان بالمعنى الطبى والجراحى لهذه الكلمة بشكل جماعى للقضاء على العنصر الألمانى، كما قال تشرشل «رئيس وزراء بريطانيا» فى عام ١٩٤٠م: أنه ينوى تجويع ألمانيا وتدمير المدن الألمانية وحرقها وحرق غاباتها[٤].

وعن رأى رجال الدين، فقد نشرت صحيفة ديلى هيرالد اللندنية مقالاً للأب «و. ويب» قال فيها: (يجب أن يكون شعارنا هو «محوهم» ومن أجل دلك يجب أن تنصب علومنا على اختراع متفجرات جديدة أشد هولاً. . وربما لا يجوز لرجل دين يتمسك

---

(١) دكتور مهندس محمد الحسيني إسماعيل «الدين والعلم وقصور الفكر البشرى» ص (٢٣٧ - ٢٣٨)، مكتبة وهبة بالقاهر، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

(٢) نفسه ص (٢٤٢).

(٣) نفسه ص (٢٤٩).

(٤) نفسه ص (٢٥٠).





بالإنجيل أن ينساق إلى مثل هذه المشاعر، ولكنى أقولها دون مواربة، إنه لو كان الأمر بيدى لمحوتُ ألمانيا من على الخريطة. فهم جنس شيطانى ابتليت به أوروبا على مدى قرون عديدة)[1].

وينبغى أن نتذكر الإبادة التى قام بها النظام الستالينى ضد أعدائه الذين قاموا بتحويل مزارعهم إلى مزارع جماعية، وبعض الشعوب الإسلامية وبعض أعضاء الحزب الشيوعى الذين قاوموا الديكتاتور ستالين الذى بلغ عدد ضحاياه ٢٠٥ مليونًا حسب التقديرات المحافظة «مات منهم ١٢ مليون فى معسكرات الجولاج وحدها» أما أعداء النظام الستالينى فيقولون إن عدد الضحايا بلغ ٥٠ مليونًا[2].

ويقول الدكتور الحسيني، وتنتهى الحرب العالمية الثانية، وتخرج الولايات المتحدة الأمريكية من الغبار الذرى لهيروشيما ونجازاكى كقوة عظمى، فتقوم -فى غضون خمسين عامًا- بإنفاق ٩٥٠ مليار دولار فى عملياتها السرية الخاصة بالإبادة البشرية لقلب نظام الحكم فى «١٢٧ دولة» واغتيال أو محاولة اغتيال «٥٤» زعيمًا وطنيًا، وفرض الحصار على «٧٠» دولة أو عقابها بصورة أ، بأخرى، وإشعال «٨٥» حربًا أهلية «الكثير منها فى أفريقيا». وقد كشف مانديلا للجموع المحتشدة من شعب جنوب أفريقيا عن المخازى التى ترتكبها حكومة الأقلية البيضاء لإبادة السود عن طريق عقاقير منع الحمل والقتل الجماعى بالأسلحة الميكروبية والبيولوجية والكيميائية، التى اشترك فى صنعها علماء متخصصون من ألمانيا وأمريكا وبريطانيا وكندا، والتى أباحت حكومات أوروبا وأمريكا تسليمها للحكام البيض وافتضح أمرها أخيراً[3].

وبعد استعراضنا لهذه الجرئم الدامغة يتبين لنا أن الحروب لمعلنة على اعراق وأفغانستان والصومال وغيرها من بلاد المسلمين هدفها الإبادة، وليست غريبة على

(١) نفسه ص (٢٥٠).
ومصدره كتاب «الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية» روجيه جارودى، دار الشروق ص (١٢٩ - ١٣٠).
(٢) نفسه ص (٢٦٦).
(٣) نفسه ص (٢٦٦).



النسيج الديني والحضاري الغربي، فهي بحق متغلغلة في أحشائه، ومستمدة من أصوله الدينية ومذاهبه الفلسفية (إن الأوروبين يفضّلون التصفية الجسديّة «أي الإبادة» للشعب المسلم في البوسنة عن أن يتسامحوا بوجود دولة مسلمة على الأرض الأوروبية.

وعند دخول اليهود دولة فلسطين قاموا بإبادة «١٤٨١٣» فلسطينيًا «ثمة قائمة كاملة بإسمائهم» كما تم تشريد ٨٠٠ ألف وفقدوا ممتلكاتهم بالكامل في ٤٢٠ قرية، ١٥ مدينة، فضلاً عن أن هناك ٣٨٥ قريةً «أو ٣٨٨ في إحصائيات أخرى» قد تمّ تدميرها ومحيت تمامًا من على الخريطة)[١].

• تفاصيل خطط الإبادة كما وردت بكتاب «مؤامرة الغرب الكبرى»:

يتضمن هذا الكتاب تسجيل خطط بشعة يمارسها الغرب على دول العالم، منها امتصاص دماء الفقراء حتى النهاية لكي يثرى الأثرياء أكثر في ظل «العولمة»، أما الفاجعة الكبرى والتي تتصل بخطة الإبادة فهي ضرورة تخفيض سكان العالم من الرقم الحالي -وهو ست مليارات- إلى أربعة ميارات فحسب حتى تنجح العولمة، وهو الرقم المثالي الذي تستطيع معه الرأسمالية وآليات السوق أن تحقق النجاح والازدهار الذي يؤمن به الغرب الأوروبي الأمريكي، ويقيم في ظله نظامًا اقتصاديًا نموذجيًا[٢].

وفي سبيل تحقيق هذا الهدف يلجأ الغرب إلى استخدام (أفظع الأساليب وأشدها همجية ووحشية، من استخدام التعقيم وإطلاق حرية الإجهاض، إلى إشعال الحروب والصراعات، وزيادة الأوبئة والكوارث والأمراض الفتاكة لكي تلتهم الزيادة السكانية الحالية والقادمة)[٣].

(١) نفسه ص (٢٦٦).

(٢) تقرير لوجانو «مؤامرة الغرب الكبرى» ص (د) من المقدمة، بقلم صلاح الدين حافظ.
تعليق سوسان جورج وترجمة محمد مستجير مصطفى، ط سطور ٢٠٠١م، والمؤلفة كاتبة، وخبيرة أمريكية في قضايا التنمية.

(٣) صفحة (د) من المقدمة، بقلم الأستاذ صلاح الدين حافظ.





وكذلك استحداث وسائل أكثر تأثيرًا تقوم على تكنولوجيا «الإفناء» بدلاً من انتظار الكوارث الطبيعية[1]، وهو يعبر عن ذروة التطور فى الإرهاب.

ويقول الأستاذ صلاح الدين حافظ بنظرة ثاقبة، ، بمقارنة منهجية صحيحة (**فإن كانت هذه الفلسفة الإغريقية القديمة، هى الحاكمة والسائدة حتى اليوم فى الحضارة الغربية الأوروأمريكية، الوارثة الشرعية للحضارة الإغريقية الرومانية، فإن فلسفات الحضارات الشرقية -وخصوصًا العربية الإسلامية- ترى رأيًا مختلفًا، قوامه أن الإنجاب والتكاثر التناسل نعمة إلهية وإقامة العمران فى الأرض لا ينبغى لفرد أن يتدخل فيه بالمنع أو حتى التحديد**)[2].

ومن هول ما تضمنه التقرير لكل ما هو مثير وخطير، سجلت المؤلفة هذه الأسطر فى نهاية الكتاب فقالت: (وآمل أن يشعر القراء بالقشعريرة من «تقدير لوجانو»، لكننى أريد أن أؤكد أنه ليست مبالغة إثارية، ولا هو «تهكّم» أو رؤيا ألفية متواضعة، فمضمونه يستند كلية إلى ملفات سميكة من الوقائع المادية، شأن كتبى الأخرى)[3].

وسجل الكاتب السعودى عبد الله محمد الناصر الأهوال التى يعانيها شعب العراق حاليًا -أى وقت الحرب- من جراء ما يلقى على البلاد يوميًا من أطنان القنابل والمتفجرات والذخائر الحية ذات الطاقات التفجيرية الرهيبة والمحتويات الإشعاعية المتنوعة التى يجربها الأمريكيون على الشعب العراقى. ويرى أن أمريكا تسعى إلى أن يكون مصير العرب مثل مصير الهنود الحمر الذين أبيدوا تحت راية الكتاب المقدس.

وكما تفنن الأمريكيون فى إبادة سكان أمريكا الأصليين بأمراض لم يسبق لهم معرفتها، فإنهم يمارسون النهج نفسه فى العراق الذى تحول إلى مزبلة مليئة بجثث العراقيين وعظامهم ومخلفات الحرب[4].

(١) صفحة (ى) من المقمة، بقلم الأستاذ صلاح الدين حافظ.

(٢) نفسة (ح) من المقدمة، بقلم الأستاذ صلاح الدين حافظ.

(٣) نفسه ص (٢٤٧) بقلم سوسان جورج.

(٤) مختصر لفحوى كتاب «أمريكا.. العقلية المسلحة» بجريدة (المصرى اليوم) القاهرية ٢٤ جمادى الآخرة ١٤٢٨هـ- ٩ يوليو ٢٠٠٧م، صفحة (٥).

ولا يختلف مدلول لفظ «**الإبادة**» عن لفظ «**الاستئصال**» الذى استخدمه الأستاذ الدكتور حامد ربيع -رحمه الله- فى تتبعه لتاريخ هذه الحضارة الملطخ بدماء الشعوب المقهورة، فيصف عصر النهضة بأنه استخدم لغة القوة التى تحولت إلى منطق العنصرية باسم حق الشعب المختار، والشعب المختار هو الشعب الأبيض (إن مأساة المجتمع الأوروبى هى قصة العنصرية التى لا تزال تتوالى فصولها أمام أعيننا، وهل تستطيع الحضارة الغربية أن ترفع عن ضميرها أربع مآسى لم يعرف لها مثيلاً التاريخ الإنسانى؟:

استئصال الهنود الحمر فى القارة الجديدة، ثم استئصال الأهالى الأصليين فى استراليا، واستئصال اليهود فى القارة الأوروبية، ثم استئصال الفلسطينين من أرض آبائهم)[1]؟!

ويتابع استمرار عملية الاستئصال إذ يرى أن الحرب العالمية الثالثة قد بدأت مقدماتها **(وأحد هذه المقدمات هو الاستئصال التدريجى المقنّع للشعوب الملونة، والشعب العربى هو أحد أخطر هذه الشعوب الملونة)**[2].

ولا يسع الدكتور حامد ربيع أمام هذه النزعة العنصرية البغيضة، ونزعة الاستئصال المتأصلة فى نفسية الرجل الغربى، ولا يسعه إلا أن يوازن مع تقاليد أمة الإسلام، فيقول بفخر: (فى مواجهة هذا المنطلق العنصرى المتخلّف تقف أمّتى شامخة متميزة)[3] ثم أخذ يعدد هذه القواعد الثابتة التى آمنت بها الأمة الإسلامية وجعلت منها دستور الممارسة السياسية مع الشعوب الأخرى، وأطلقتها كقواعد للممارسة الدولية، ولم تقبل لها استثناء، ولو على حساب نفسها، وهذه القواعد

---

(١) د/ حامد ربيع «قراءة فى فكر علماء الاستراتيجية» ص (٤٦)، دار الوفاء بالمنصورة، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.

(٢) نفسه ص (١١٠)، وقد صدق حدس هذه العالم السياسى المخضرم -رحمه الله- ونحن نعانى من جراء حرب الاستئصال لشعوبنا وحسبنا الله ونعم الوكيل.

(٣) نفسه ص (٤٦).



تتخلص فى (شرعية القتال دفاعًا عن مبادئها، مع احترام آدمية الإنسان فى السلم والحرب، وفى كل الظروف، وعدم السماح للنزعة العنصرية بأن تحكم علاقة العربى بغيره، وحتى فى ساحة القتال، فلا يجوز أن يكون الصدّام المسلح مسوِّغًا لإهدار آدمية الآخرين، نفس القواعد التى تطبق على الإنسان العربى يتمتع بها غيره، ويتحمل آثارها غيره، ولا يجوز -والحالة هذه- الاعتداء على المرأة أو الصبى أو العجوز)(١).

ولنقارنْ ذلك بما فعله الصرب بالمسلمين فى مدينة سربرينيتسا، حيث ذُبح أكثر من ١٣ ألف مسلم بوسنى على يد الصرب، وعلى مرأى من قوات الأمم المتحدّة الهولندية التى تمّ حشدها هناك بهدف حمايتهم، ومع ذلك فلا أحد يتذكّر تلك المجزرة.

كان الصرب مصممين على إبادة المسلمين فى البوسنا الذين يمثّلون الوجود الأخير للمسلمين الأوربيين الأصليين فى أوروبا وظنّ الصرب أنهم بذلك يقدّمون جميلاً لباقى أوروبا المسيحية، فأوروبا يجب أن تحرّر من المسلمين وحتى يتحقق ذلكُ يجب أن يقتل كل الذكور، وهكذا يستحيل إعادة إنتاج المزيد من المسلمين.

أما النساء فيمكن أن يتركن أحياءً على أن يتم اغتصابهن من قبل الصرب، وكذا فإن أطفالهن لن يكونوا مسلمين بعد أن تلوّثوا بالدم الصربى غير المسلم(٢).

---

(١) نفسه (٤٧).

وهذا واضح فى وصية الرسول ﷺ للصحابة -رضى الله عنهم- أثناء خروجهم للغزو «لا تقتلوا شيخًا فانيًا، ولا امرأة ولا طفلاً، ولا تقطعوا شجرة، ولا تقتلوا حيوانًا».

وهذه التعاليم عكس ما ورد فى التوراة فتقول: (عندما تقرب من مدينة لكىْ تحاربها... فاضرب جميع ذكورها بالسيف.. وأما مدينة هؤلاء الشعوب التى يعطيك الرب إلهك فلا تبق منه نسمة ما) سفر التثنية.

(٢) مقال بعنوان (قصة سربرينيتسا).

بقلم أحمد بهجت.

الأهرام فى ٢٣ ذو الحجة ١٤٢٨هـ- ١٠ يناير ٢٠٠٨م.



وبعد ذلك كله فإننا نعجب أشد العجب ممن تلطخت أيديهم بدماء الشعوب أن يزعموا أن الإسلام انتشر بحد السيف، ونكتفى -للموازنة- الاستشهاد بقول السير توماس أرنولد الذى علل انتشار الإسلام بين الصليبيين بقوله: (ويظهر أن أخلاق صلاح الدين وحياته انطوت على البطولة، قد أحدثت فى أذهان المسيحيين فى عصره تأثيراً سحرياً خاصاً، حتى أن نفراً من الفرسان المسيحيين قد بلغ من انجذابهم إليه أن هجروا ديانتهم. وهجروا قومهم وانضموا إلى المسلمين وكذلك الحال عندما طرح النصرانية أحد فرسان المعبد روبرت أوف سانت ألياس ١١٨٥م واعتنق الإسلام ثم تزوّج بإحدى حفيدات صلاح الدين!!!).

ويعلق على ذلك الدكتور الحسينى بتساؤله: فأين السيف هنا؟... لست أدرى!!![(١)].

ويأتينا الرد المفعم من الأمير شكيب أرسلان الذى كتب بحثًا مطولاً بعنوان (التعصب الأوروبى أم التعصب الإسلامى؟) استغرق نحو ١٣٠ صفحة من القطع الكبير بكتابه (حاضر العالم الإسلامى)[(٢)]، وسنعرض باختصار لهذا البحث القيّم.

التعصب الغربى أم الإسلامى؟ (دراسة مقارنة):

لا نجد فى ختام هذا الفصل كما قلنا أفضل ممّا كتبه الأمير شكيب أرسلان، الذى عالج قضية غلوّ الغرب فى تعصّبه وشدة عداوته للمسلمين وذلك تحت عنوان (**التعصّب الأوربى أم التعصب الإسلامى**)، مستندًا إلى أدلة من أقوالهم وأحداث التاريخ القديم والحديث وقال (قد ذكرنا هنا البراهين الساطعة على كون تعصب الأوروبيين على المسلمين يفوق مرات تعصب المسلمين على الأوروبيين)[(٣)].

كذلك أتى بشواهد من كلام رجال النصرانية أنفسهم متمثلاً بالآية الكريمة فى سورة

(١) د/ محمد الحسينى إسماعيل «الدين والعلم وقصور الفكر البشرى» ص (٢٥٩).
(٢) وباقى عنوان البحث: الأول هو الأشد بشهادات شهود من أهله، ومائة مشروع لتقسيم تركيا.
(٣) شكيب أرسلان (حاضر العالم الإسلامى ٣ ص١٠، ويقع هذا على الفصل فى نحو ٣٠ صفحة.

يوسف ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا ﴾ [يوسف : ٢٦] أو بالآية الكريمة من سورة الأنعام ﴿ وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ﴾ [الأنعام : ١٣٠] وذكر ما بيّنه هنرى دوكاسترى بكتابه (الإسلام) مجموعة الأوهام المتراكمة فى أوروبا بحق الإسلام. كما نقل عن ڤولتير من كتابه (القاموس الفلسفى) نقده للأغاليط والضلالات التى ارتكبها كتابّ القرون الوسطى بحق المسلمين.. وما قام به الأب -برولى- من إطراء أبى بكر وعمر -رضى الله عنهما- من الصدق والاستقامة وشدة الذكاء، وقال إنهما كانا أعلى كثيراً من القياصرة والملوك المسيحيين الذين كانوا يقاتلونهما.

ونقل عن -دوكاسترى- وغوستاف لوبون- **اتفقاهما على أنه من المحزن للأمم المسيحية أن يكون التسامح الدينى الذى هو أعظم ناموس للمحبة بين شعب وشعب هو مما يجب أن يتعلمه المسيحيون من المسلمين!.**

وقال بوركارد الذى كان يعد أعرف سائح بأحوال العرب أنه وصفهم بأنه أشد الأمم الأسيوية تسامحًا وقال الدكتور برون (أن من أحسن فضائل المسلم أنه متسامح مع من يخالفه فى الدين تسامحًا عملياّ)(١).

وأتى الأمير شكيب أرسلان بمقارنة فى التعامل بين أفراد المسلمين وحكامّ المسيحيين على لسان وزير عثمانى فى رده على أحد الوزراء فى أوروبا بأحد المجالس، فقال: (إننا نحن المسلمين من ترك وعرب وفرس وغيرهم، مهما بلغ بنا التعصّب فى الدين فلا يصل بنا إلى درجة استئصال شأفة أعدائنا ولو كنّا قادرين على استئصالهم. ولقد مرّت بنا قرون وأدوار كنّا قادرين فيها على أن لا نبقى بين أظهرنا إلا من أقرّ بالشهادتين وأن نجعل بلداننا كلها صافية للإسلام. فما هجس فى ضمائرنا خاطر كهذا الخاطر أصلاً، وكان إذا خطر ببال أحد من ملكونا -كما وقع للسلطان سليم الأول العثمانى- تقوم فى وجهه الملّة ويحاجّه مثل زنبيلى على أفندى شيخ الإسلام ويقول له بلا محاباة (ليس لك على النصارى واليهود إلاّ

(١) نفسه ص ٢١١/ ٢١٢ والعنوان بالكامل (التعصب الأوروبى أم التعصب الإسلامى؟ الأول هو الأشد بشهادات شهود من أهله، ومائة مشروع لتقسيم تركيا.

الجزية، وليست لك أن تزعجهم عن أوطانهم) فيرجع السلطان عن عزمه امتثالاً للشرع الشريف. فبقى بين أظهرنا حتى فى أبعد القرى وأصغرها نصارى ويهود وصائبة وسامرة ومجوس وكلهم كانوا وافرين لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين)[١].

ثم استطرد الوزير العثمانى فى حديثه ليقارن هذا التسامح الكريم الفضفاض مع ما فعله حكامّ أوروبا مع المسلمين، فقال (**أما أنتم معاشر الأوروبيين فلم تطيقوا أن يبقى بين أظهركم مسلم واحد واشترطتم عليه إذا أراد البقاء بينكم أن يتنصرّ. ولقد كان فى إسبانيا ملايين وملايين من المسلمين وكان فى جنوبىّ فرنسا وفى شمالى إيطاليا وفى جنوبها مئات ألوف منهم فى هاتيك الأوطان أعصراً مديدة وما زلتم تستأصلون منهم حتى لم يبق فى جميع هذه البلدان شخص واحد يدين بالإسلام. ولقد طغت فى بلاد إسبانيا كلها فلم أعثر فيها على قبر واحد يُعرف أنه قبر مسلم)!!**

وأخيراً: علّق الأمير شكيب أرسلان على تلك المقارنة المستندة إلى وقائع وحجج دامغة، علّق قائلاً لّما سمع أعضاء المجلس الحاضرين الجدال بين الوزيرين بهتوا ولم يحيروا جوابًا!)[٢].

وهناك بوادر فى بعض كتابات المستشرقين المعاصرين -وإن كانتْ قليلة- إلا أنها توحى بتحولهم من نظرة التعصب التقليدية ومن ثمّ إقرارهم بالمبادئ السامية التى أقرها الإسلام واتبعتها الحكومات الإسلامية، فإن تاريخها يخلو من (شنائع طرد ومحاكمة المتهمين بالهرطقة وإعدامهم حرقًا.. بل إن الحكومات الإسلامية قد نجحت فى اختيار أصعب وأشق ألا وهو التسامح مع العقائد المختلفة عن عقيدتها)[٣].

(١) المصدر نفسه ص٢١٠.
(٢) المصدر نفسه ص٢١٠.
(٣) برنارد لويس (أين الخطأ) ص١٧٤- ١٦٦ ترجمة د/ محمد عثمان متبة الأشد الشروق ٢٠٠٩م.



ويقر المستشرق اليهودى الأمريكى الشهير برنارد لويس بأن الإسلام ظل لما يربو على ألف سنة، المصدر الأوحد للقواعد وللمبادئ التى تمثل مجموعة يقبلها الجميع لتنظيم الحياة العامة والحياة الاجتماعية، ويسجّل ملاحظته بأنه قد لاحت بوادر كثيرة فى السنوات الأخيرة على احتمال عودة هذه الأفكار والمواقف(1)، وهو ما نفسّر بالصحوة الإسلامية.

ويمكن تفسير أسباب تشويه تعالم الإسلام فى العصور الوسطى بأوروبا، إلى ما يُسمّى فى علم النفس بالإسقاط، وفى هذا المعنى يقول مونتجمرى وات (إن الظلمة التى ينسبها المرء إلى أعدائه ما هى إلا إسقاط للظلمة الكامنة فينا. علينا أن ننظر إلى الصورة الشائهة للإسلام باعتبارها إسقاط لما اكتنف عقول الأوروبيين من جهالة.. وأنها ترمز للشرور القائمة فى أوروبا ذاتها)(2).

أما المؤّرخ الأمريكى ول ديورانت فقد استخلص نتائج باهرة من دراسته التاريخية الشاملة للحضارة الإسلامية بالمقارنة بالحضارات الأخرى، وكانت أحكامه على حضارة الإسلام صحيحة ودقيقة ودالّة على الجهد المبذول فى دراسته لكافة نظمها وعلومها وقيمها وشريعتها، إذ قال (إن قيام الحضارة الإسلامية واضمحلالها لمن الظواهر الكبرى فى التاريخ، لقد ظلّ الإسلام خمسة قرون من عام ٧٠٠ إلى عام ١٢٠٠ يتزعم العالم كله فى القوّة والنظام وبسطة الملك، وجميل الطباع والأخلاق، وفى ارتفاع مستوى الحياة، وفى التشريع الإنسانى الرحيم، والتسامح الدينى، والآداب، والبحث العلمى، والعلوم، والطب والفلسفة)(3).

---

(١) برنارد لويس (أين الخطأ) ص١٧٤– ١٦٦ ترجمة د/ محمد عثمان متبة الأشد الشروق ٢٠٠٩م.

(٢) مونتجمرى وات (فضل الإسلام على الحضارة الغربية ترجمة حسين أحمد أمين ص١٠٠ ١٩٨٣م.

(٣) ول ديورانت، قصة الحضارة، جـ٢ المجلد الرابع ص٣٨٢ ترجمة محمد بدران– جامعة الدول العربية– بدون تاريخ.





المرحلة الأخيرة لإرهاب الغرب كما أسفرت عنها الوثائق السرّية الاستعمارية:

ولئن تبين لنا من الدراسة بالفصول السابقة أن الإرهاب الغربى اصطبغ بصبغة إرهاب الدول- لا الأفراد- بجيوشها الجرارة وأسلحتها الفتّاكة وأساليبها اللاإنسانية فما القول الآن بتكاتف دول بأجمعها طوال قرون طويلة واشتراكها معًا جنبًا إلى جنب بعمل إرهابى خطير ومتفردٌ فى هدفه، وهو إصابة أمة كاملة بمقتل، ومحو تركيا والإسلام بأسره أى هدم نظام الخلافة الذى كان رباطًا سياسيًا للأمة الإسلامية برمّتها منذ خلافة أبى بكر الصدّيق -رضى الله عنه- حتى الخلافة العثمانية عام ١٩٢٤م يقول الدكتور محمود زقزوق (وقد قام الاستعمار بالتخطيط المدروس لإضعاف العالم الإسلامى وإبعاده عن مقوّماته الإسلامية، ومنع أية محاولة لجمع شمل المسلمين مرّة أخرى. . . وهذا ما تنطق به الوثائق السرية الاستعمارية نفسها، فقد جاء فى تقرير وزير المستعمرات البريطانى (أورسبى غو) لرئيس حكومته بتاريخ ٩ يناير (كانون الثانى) ١٩٣٨م ما يأتى:

(إن الحرب علّمتنا أن الوحدة الإسلامية هى الخطر الأعظم الذى ينبغى على الإمبراطورية أن تحذره وتحاربه، وليس الإمبراطورية وحدها، بل فرنسا أيضًا، ولفرحتنا ذهبت الخلافة، وأتمنّى أن تكون إلى غير رجعة: إن سياستنا الموالية للعرب فى الحرب العظمى (يعنى الأولى) لم تكن مجرد نتائج لمتطلبات (تكتيكية) ضد القوات التركية، بل كانت مخططة أيضًا لفصل السيطرة على المدينتين المقدّستين مكّة والمدينة من الخلافة العثمانية التى كانت قائمة آنذاك. ولسعادتنا فإن كمال أتاتورك (اليهودى الدونمى) لم يضع تركيا فى مسار قومى علمانى فقط، بل أدخل إصلاحات بعيدة الأثر، أدت بالفعل إلى نقض معالم تركيا الإسلامية)[1].

ولقد كان الأمير شكيب أرسلان سبّاقًا فى الكشف عن العداء الأوربى للإسلام والمسلمين، ومن مصادره فى التأريخ لهذا العداء كتاب (مائة مشروع لتقسيم تركيا

---

(١) د/ محمود حمدى زقزوق (الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى) ص١٢٨/ ١٢٩.
هدية مجلة الأزهر لشهر جمادى الآخر ١٤٣٧هـ.





لمؤلّفه دجو ڤارا وهو من وزراء رومانيا). وقد تتبّع شكيب أرسلان هذه المشروعات بأناة وصبر ملخصًا إياها إلى أن وصل للمشروع التاسع والأربعين من مشروعات تقسيم تركيا معلّقًا بقوله (ولم نجد فيها كلها مشروعًا واحدًا سوى مشروع الأب سانت بيير الذى كان معارضًا لاستئصال المسلمين وعاملاً على إدخالهم فى مجتمع الدول المسيحية.. بل جميعها كانت تدابير مقصودًا بها محو تركيا والإسلام بأسره..

وأضاف شكيب أرسلان شخصًا آخر هو الأب (سان بيير) ووصفه بأنه إمتاز عن سائر أصحاب المشروعات الصليبية بأنه لم يلتزم قضية محو السلطنة العثمانية من الوجود وإنما قال إنه متى علم الترك بوجود عصبة دفاعية عامة بإزائهم لم يجرؤا على مناجزة الامبراطورية[(١)].

ومما يثير انتباهنا أن أصحاب هذه المشروعات لم يكونوا فقط من الباباوات والحكام وانما اشترك معهم الفيلسوف الألمانى الشهير ليْبنَتز الذى أعدّ بدوره برنامجًا أيضًا لمحو تركيا واستمر يحرره أربع سنوات وقدّمه إلى لويس الرابع عشر ملك فرنسا.. ومن أقوال هذا الفيلسوف للملك: «وإن لم يكن لك من فضيلة سوى تدمير السلطنة التركية لقاء ذلك كافيًا»![(٢)].

ثم أتى فى النهاية بخلاصة قول دجو فارا (مدة ستة قرون متتابعة كانت الشعوب المسيحية تهاجم الدولة العثمانية. وكان الوزراء ورجال السياسة وأصحاب الأقلام يهيئون برامج تقسيم هذه السلطة كما تقدم وصف كل برنامج مما يناهز مائة!)[(٣)].

●●●

---

(١) نفسه ص٢٧١.

(٢) نفسه ص٢٦٣

وكم خدعونا أثناء محاضرات (الفلسفة) بهذا الفيلسوف الحاقد وأخفوا عنّا عامدين حقيقة قلبه الحانق على المسلمين!!.

(٣) شكيب أرسلان (حاضر العالم الإسلامى) جـ٣ ص٣٢٣.



• الفصل السابع

قال تعالى ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا ﴾ [يوسف : ٢٦].

شهادات الشهود على الإرهاب الغربي

بالرغم من طابع الطغيان والانحياز فى أجهزة الإعلام الغربى، واشتداد الحملات المغرضة على الإسلام والمسلمين، إلا أن هناك من العقلاء فى الغرب من لا يخضع لحملات التضليل والتلاعب بعقول الجماهير، ومن ثم يتريث فى الحكم ويزن الأمور بعقلانية وموضوعية، ويخضع الأحداث للدراسة العلمية بالرجوع إلى المصادر المعنية، فيقرأ ويبحث فتقوده المعرفة إلى اكتشاف الحقيقة التى يحاول طمسها رجال السياسة والإعلام(١). لذلك رأينا شهادات حق وصدق على ألسنة بعض الأمريكيين والألمان المثقفين امتازوا بالشجاعة لإبداء الرأى المخالف لسياسة حكوماتهم واندفاع الرأى العام المحموم المضلل لاتّهام المسلمين والدعوة إلى حصارهم أو التخلص منهم فى مجتمعاتهم.

ولكننا عندما نستشهد بآرائهم، فليس ذلك قصوراً منا فى فضح الإرهاب الغربى، ولكن لعلنا بتقديمه وإظهاره، نقنع بعض المندفعين من بنى جلدتنا فى التريث بإصدار الأحكام الخاطئة، بدلاً من الاندفاع بتجديد ما يسمى بالخطاب الدينى، وكأننا بهذا السلوك قد أيدنا الاتهامات الموجهة إلى الإسلام والمسلمين وكأنما أصابتنا هزيمة نفسية أمام الهجمات الإعلامية الحمقاء، المندفعة بحقد مدفون ومتوارث منذ الحروب الصليبية، فإن الغرب لم ينس انتصار المسلمين بقيادة صلاح الدين الأيوبى على الصليبيين انتصاراً

---

(١) ونجتزئ بعض الوقائع الدالة على المآسى الدنيئة التى عصفت بكل القيم الدينية والأخلاقية؛ إذ سمح الرئيس الأمريكى الأسبق بوش ووزير الحرب بتعذيب الأسرى والسجناء وانتهاك أعراضهم وإذلالهم واغتصاب الأبرياء من المدنيين رجالا ونساء مما دفع بضابط أمريكى للعودة إلى بلاده مستنكراً ما يحدث من حرب إبادة ضد العراقيين وظلت مشاهد الدماء والقتلى من المدنيين العراقيين تلاحقه كلما حاول الخلود إلى النوم! . وعندما خرج إلى النور تقرير الجنرال تاجوبا أثار ثورة من الغضب بسبب أساليب التعذيب المنحطة التى تعرض لها السجناء فى أبو غريب (نحو ١٢ أسلوبًا) . . ونشرت وسائل الإعلام الأمريكية والأوربية ما يزيد على ١٨٠٠ صورة. ومنع غيرها لأنها وصفت بأنها الأسوأ والأحط، مثيرة للاشمئزاز أكثر كثيراً مما نشر من قبل! محمد بسيونى [العار الأمريكى من غوانتانامو إلى أبو غريب: تعذيب -إذلال- إهانة- صور فاضحة) صفحات ١٠٨- ١٠٧- ١٨٤- ١٩٣ دار الكتاب العربى دمشق- القاهرة ٢٠٠٥م.



حاسمًا فى معركة حطين التى طردهم فيها من القدس وحررَ أرض فلسطين. إن هزيمة أوروبا أصبح كابوسًا (يخيم- ولا يزال إلى يومنا هذا على العقلية الصليبية فى مختلف أنحاء العالم بصفة عامة، وفى أوروبا الغربية بصفة خاصة وأصبح أى رمز إسلامى يعيد للأذهان فى الغرب ذكرى الانتصارات الإسلامية فى الأندلس، والنمسا، والدولة البيزنطية وفى فارس والروم، يدفعهم إلى محاربته فى مهده)[1].

إن وسائل الإعلام هناك تقلب الحقائق، وتضلل الرأى العام، وتزيف التاريخ، وتنزع من تاريخ الغرب دمويته وطابعه الإرهابى، بينما السرد التاريخى الصحيح للعصر الحديث يدمغ الغرب بكل ما هو لا إنسانى (ففى النصف الثانى من هذا القرن ماتت الآمال، بعد حربين قتلتا ٨٠ مليون إنسان. . . وتحول الحلم الأمريكى إلى كابوس بسبب رغبة القادة الأمريكيين فى الهيمنة على العالم، والإفراط البربرى فى إنتاج السلاح وامتلاكه. . . وكذلك بإسباغ صفة الشيطانية على ما أسموه (إمبراطوريات الشر) المتتابعة، كى يبرروا تحت زعم الصراع إرهابهم الخاص وجرائمهم ضد الإنسانية: بحق النهود، والأفارقة، وفيتنام، وكذلك الحصار المفروض على كوبا وليبيا وإيران والعراق، العراق الذى تحمّل وفاة ٢٥٠ ألف طفل، حسب أرقام الصليب الأحمر الدولى)[2].

ويصف جارودى وسائل الإعلام بأنها شعاع الموت، ووظيفتها تدمير الفكر النقدى وثقافة الإيمان على مستوى العالم لدى خمسة مليارات إنسان[3]!

---

(١) د. زغلول النجار (المؤامرة..) ص٤٥.
ولعل هذا الإحساس المترتب فى النفوس يفسر لنا الانزعاج بين استعادة الأمة الإسلامية لحضارتها.
ولذلك فإن الغرب حريص على قمع أى بادرة تبشر بإقامة دولة إسلامية، ويسعى سعيًا حثيثًا إلى وأد حركة اليقظة الإسلامية برصد كل همسة فى العالم الإسلامى والإسراع بتجنيد الخبراء والباحثين لدراستها.
ويقول باول شمتز (.. سيعيد التاريخ نفسه مبتدئًا من الشرق، عودًا على بدء، من المنطقة التى قامت فيها القوة العالمية الإسلامية فى الصدر الأول للإسلام، وستظهر هذه القوة، التى تكمن فى تماسك الإسلام ووحدته الفكرية، وستثبت هذه القوة وجودها إذا ما أدرك المسلمون كيفية استخراجها والاستفادة منها، وستقلب موازين القوى لأنها قائمة على أسس لا تتوافر فى غيرها من تيارات القوى العالمية).
المصدر: د. محمد شامة (الإسلام فى الفكر الأوربى) ص٢٠.
مكتبة وهبة بالقاهرة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
(٢) روجيه جارودى (الولايات المتحدة طليعة الانحطاط) ص٢٣٩/ ٢٤٠ ترجمة مروان حموى -دار الكاتب دمشق ٨/ ١٤هـ/ ١٩٩٨م.
(٣) نفسه ص٢٤٠ ويصور جارودى الواقع السياسى والعسكرى حينذاك، وذلك قبل حرب العراق عام ٢٠٠٣م التى كانت سببًا فى قتل نحو مليونى إنسان!



وسنجد أن أولئك المثقفين فى أمريكا وألمانيا الذين أشرنا إليهم آنفًا، استطاعوا مقاومة شعاع هذا الإعلام، وأعلنوا بشجاعة معارضتهم لإرهاب بلادهم بكافة صوره:

فقد قام نعوم تشومسكى برصد بعض أعمال إرهاب الدولة -الولايات المتحدة الأمريكية، ومنها الحرب المدمرة ضد نيكاراغو التى خلفت وراءها عشرات الآلاف من القتلى ودولة محطمة إلى درجة ربما لا يمكن إصلاحها(١). . والهجوم الجوى الذى نفذته إدارة الرئيس كلينتون على مصنع الشفاء الكيميائى فى السودان سنة ١٩٩٨ ونتج عنه عشرات الآلاف من حالات الموت بحسب تقديرات السفير الألمانى والمصادر الأخرى الموثوق بها. .

ولا يجد تشومسكى مبررًا لهذه الفظائع إلا افتراض الفيلسوف هيجل (بأن الأفريقيين ليسوا إلا «مجرد أشياء»، ليس لحياتها «قيمة»(٢)!

ومن منظور أحداث الحادى عشر من سبتمبر، فإن أمريكا اللاتينية عانت أسوأ منها بسبب إرهاب الدولة الذى اكتسح القارة منذ أوائل الستينيات، وتعود أكثر أسبابه إلى واشنطن، إذ لاحظ إدوارد جاليانو -وهو كاتب من أوروغواى- أن الولايات المتحدة تزعم أنها تعارض الإرهاب، مع أنها تؤيده فى الواقع فى العالم بأجمعه، ومن ذلك اندونيسيا وكمبوديا وإيران وجنوب أفريقيا. . . وقد مرت أيضًا بلدان أمريكا اللاتينية بحرب قذرة تحت خطة «كوندور» التى خطط لها الدكتاتوريون العسكريون فى أمريكا الجنوبية الذين نفذوا موجة من الإرهاب بتأييد من الولايات المتحدة(٣).

فإذا انتقلنا إلى المنطقة الثانية التى تركزت عليها «الحرب على الإرهاب» وهى غربى آسيا (يذكر تشومسكى أنها مثلت أكبر الفظائع بالغزو الإسرائيلى للبنان سنة ١٩٨٢ التى نتج عنها قتل عشرين ألفًا وتعرض أكثر البلد للتدمير بما فى ذلك العاصمة بيروت. ومثل الغزوتين الدمويتين المدمرتين اللّتينْ قام بهما رابين وبيرنيز فى عامى ١٩٩٣

(١) كتاب (العولمة والإرهاب: حرب أمريكا على العالم) ص١٢٥ تأليف نعوم تشومسكى وآخرين ترجمة د. حمزة المزينى- مكتبة مدبولى ٢٠٠٣م.

(٢) نفسه ص١٣٠.

(٣) نفسه ص١٣٢/ ١٣٣ باختصار.





و١٩٩٦ . . وكان غزو عام ١٩٨٢ القصد منه، كما وصفه رئيس الأركان حينذاك (رفائيل)، تدمير منظمة التحرير الفلسطينية . . **وهو مثال نموذجي للإرهاب كما يُعرف رسميًا...**

وقد نفذت تلك العمليات بمساعدة عسكرية وتأييد دبلوماسي أمريكي مهمّين خلال إدارتي ريجان وكلينتون .

وفي أفغانستان كان القائد المعارض عبد الحق يسعى إلى تغيير نظام طالبان بالاتصال بينه وبين قادة طالبان من الصف الثاني وكبار قبائل المجاهدين السابقين، حيث ناقش معهم الكيفية التي يمكن اتخاذها لتنفيذ هذه الجهود داعين الولايات المتحدة لتعينهم عن طريق المساعدات المالية وأنواع التأييد الأخرى بدلاً من معارضة هذه الجهود عن طريق الغارات الجوية، لكن الولايات المتحدة كما قال **«كانت تحاول استعراض عضلاتها وتحقيق نصر، وإخافة الناس جميعًا في العالم، فهم لم يكن يعنيهم ما يقاسيه الأفغان من آلام أو عدد الناس الذين يمكن أن نفقدهم»**(١) .

وقالت مجلة (البيان) في افتتاحية عددها الصادر آنذاك تحت عنوان :

بل هذا هو الإرهاب:

منذ أن بدأ القصف الأمريكي العشوائي الاستعراضي على أفغانستان، سالت دموع الإدارة الأمريكيه حزنًا(!!) على مئات الآلاف من المشرّدين والعجزة والشيوخ والنساء والأطفال الذين فروا من هول الحرب الحضارية الجديدة، وفاضت أيديهم الإنسانية الرحيمة بلقيمات، من المعونات الغذائية والطبية خوفًا على المسلمين الأفغان من شبح المجاعة القادمة . . .

إن ترويع شعب كامل من الآمنين، وسحقه بالقنابل والصواريخ، وتدمير قرى بأكملها وأحياء مأهولة بالسكان، وتشريد مئات الآلاف من العجزة والمستضعفين في أراض مقفرة ضربها الجفاف حتى أتى على جذورها . . . **إن ذلك كله هو الإرهاب**

(١) نفسه ص١٤٢ .



عينه، ولكنه الإرهاب الحضارى الذى تباركه هيئة الأمم المتحدة، وتطرب له الدول التقدمية، ويتواطأ المتحضرون للتستر عليه!..

إن منطق القوة الإرهابى يتباكى على ضحايا أمريكا الأبرياء[1] أما ضحايا أفغانستان فلا بواكى لهم، ويستحقون ما أصابهم!! وصدق المولى -جل وعلا ﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [التوبة: ٨].

إننا نذّكر أمريكا بأن الشعوب المستضعفة لن تبقى كذلك، بل إن التفنن فى إهانتها وإذلالها هو الذى سيحييها بإذن الله تعالى، وما أجمل قول الشاعر العربى:

وإذا الذئاب استنعجت لك مرة ... فحذار منها أن تعود ذئاب!

وهناك مثال آخر دال -كما يصفه تشومسكى على الإرهاب الدولى المتوحش الذى تدعمه الدولة، يتمثل فى ترحيب إدارة كلينتون فى سنة ١٩٩٥ بالرئيس الاندونيسى **الجنرال سوهارتو وهو واحد من أسوأ القتلة والمعذبين فى أواخر القرن العشرين الذى اقترف مجازر كاسحة رهيبة راح ضحيتها مئات الآلاف من الناس، وكان معظمهم من الفلاحين الذين لا يملكون أراضى خاصة بهم**[2].

ومن المعارضين للقراءات التى اتخذها بوش بشأن غزو أفغانستان، دينيس كوتشينتش النائب الديمقراطى عن ولاية (أوهايو)، وقد ألقى كلمة أمام جمعية (أمريكيو جنوب كاليفورنيا من أجل العمل الديمقراطى بتاريخ ١٧/ ٢/ ٢٠٠٢. معترضًا على القرارات التى اتخذها الرئيس الأمريكى حينذاك. ومما قاله (لقد فوض مجلس نوابنا إلى الرئيس الرد على كارثة الحادى عشر من سبتمبر... لكن يجب علينا

(١) مجلة البيان (تصدر من المنتدى الإسلامى بلندن) العدد ١٦٩ رمضان سنة ١٤٢٢هـ- سنة ٢٠٠١م نوفمبر - ديسمبر كذلك عللت المجلة فى دراستها عن آسيا الوسطى بأن أحد دوافع الحرب وغزو أفغانستان هو وقف المد الإسلامى فى وسط آسيا عقب تفكك الاتحاد السوفيتى حتى أضحى الإسلام العدو الأول لأمريكا والغرب. وفى هذا السياق ذكرت وصف بوش الحرب بالصليبية، وشاركه أيضًا رئيس وزراء إيطاليا.
(دراسة بعنوان: آسيا الوسطى وتلاقى المصالح على حرب الإسلام) بقلم: حسن الرشيدى.

(٢) تشومسكى ص ١٤٠.



نحن المواطنين وممثلينا المنتخبين أن نحتفظ بحقنا فى مراقبة نوع ذلك الرد، وفى مقدار ذلك الرد، وفى معارضة ذلك الرد، وفى تصحيح ذلك الرد[1]. ثم عدد الاعتراضات على القرارات التالية:

غزو العراق -غزو إيران -غزو كوريا الشمالية- ضرب المدنيين فى أفغانستان- احتجاز المعتقلين فى خليج غونتانامو بصورة دائمة -الانسحاب من معاهدة جنيف- إنشاء المحاكم العسكرية -التى تلغى الإجراءات القانونية المعهودة للمحاكمة والإجراءات المعهودة لجلب المدعى عليهم -إرسال فرق الاغتيالات -إعادة تأسيس مكتب مكافحة الجاسوسية- إبطال العمل بلائحة الحقوق- تعطيل الدستور- إصدار بطاقة الهوية الوطنية- الثأر على طريقة العين بالعين- بث عيون الأخ الأكبر لتتلصص علينا من خلال آلات تصوير مثبتة فى كل مكان من مدننا -الانتقام لدماء الأبرياء الذين قضوا فى يوم الحادى عشر من سبتمبر بسفك دماء القرويين الأبرياء فى أفغانستان- قرار شن الحرب فى أى وقت تشاء وأى مكان تشاء وبأى طريقة تشاء -شن حرب لا نهاية لها- تأسيس اقتصاد حربى دائم)[2].

وفى ختام خطابه أخذ يوضح الصورة البديلة اللائقة لأمريكا التى يجب أن تقف نفسها فى محور الأمل واليقين والسلام والحرية.. وليس بأسلحة الدمار الشامل، وليس بإطلاق الآخرين بوصف محور الشر، وليس بمخالفة المواثيق الدولية، وليس بتنصيب أمريكا ملكًا على عالم أحادى القطب[3].

وهناك بيان آخر للمثقفين الألمان، وهو رد على بيان المثقفين الأمريكيين المشهور، وترجم من الألمانية إلى الإنجليزية، ونشر فى موقع مؤسسة القيم الأمريكية».

بدأ البيان بالقول بأن أحداث الحادى عشر من سبتمبر لم تؤثر على الولايات المتحدة وحدها، بل أثرت كذلك على أوروبا والعالم الإسلامى وعلى مستقبل الأوروبيين جميعًا[4].

---

(١) نفسه ص٢٣٢.
(٢) نفسه ص٢٣٢/ ٢٣٣.
(٣) نفسه ص٢٣٦.
(٤) نفسه ص٢٥٤.





وعبّر البيان عن اعتراض المثقفين الألمان على بيان المثقفين الأمريكيين الذين لم يتعرضوا ولو بكلمة واحدة عن القتل الجماعى الذى تعرض له المدنيين الأفغان نتيجة للهجوم الجوى الذى نُفّذ باستخدام أحدث الأنظمة التسليحية تطورًا! وأكد البيان أن صيانة الكرامة الإنسانية لا ينطبق على الأمريكيين وحدهم، بل ينطبق كذلك على الأفغان بل حتى على طالبان وعلى المسجونين المنتمين إلى «القاعدة» فى غوانتانامو كذلك.

وسجّل البيان أيضًا أن الولايات المتحدة أسست نظامًا أحادى القطب اعتمادًا على سلطتها هى وحدها، وهى تسعى فى المقام الأول **لا لتحقيق الأهداف الإنسانية أو مكافحة الإرهاب**، لكنها تسعى إلى الوصول إلى آبار النفط فى هذه المنطقة، أى الشرق الأوسط وآسيا الوسطى ويشمل ذلك أفغانستان.

وأعلن الموقّعون على البيان اتفاقهم اتفاقًا تامًا على أن تركيز إمكانات القوة الهائلة فى يد دولة واحدة وفرض إرادتها على الآخرين أدى إلى الشعور بالعجز والذل عند تلك الشعوب التى تشعر أنها ضحية لاختلال ميزان القوى هذا[١].

ويرمز وجود القوات الأمريكية كما يبدو بشكل واضح لكثير من المسلمين كأنه شوكة فى خواصرهم واعتداء على ثقافتهم واعتزازهم بأنفسهم وهو ما يرونه عامل تهديد، ويؤدى شعور هؤلاء بالنقص، الذى يرونه غير عادل، إلى عدم الاكتراث بأشكال الموانع كلّها، وهو الذى يؤدى إلى ردود فعل هائلة لتصل إلى حد التضحية طواعية بالنفس، وهو ما يتمثل فى الهجمات الانتحارية، كما هى الحال فى الصراع الإسرائيلى الفلسطين.

وجاء فى البيان أيضًا قول المثقفين الألمان (ومما يشغلنا أن نرى أشخاصًا بارزين فى بطانة رئيسكم يطالبون الأوروبين بصورة استفزازية متزايدة بالطاعة العمياء لأمريكا، . . كما فى العبارة التالية: إن أوروبا تحتاج إلى أمريكا، لكن أمريكا لا تحتاج إلى أوروبا[٢].

(١) نفسه ص٢٥٧.
(٢) نفسه ص٢٥٨.



كذلك أعربوا عن شعورهم بالقلق بسبب تنامى تأثير القوى الأصولية الأمريكية وتصنيف العالم إلى «خير وشر» وتشويه صورة بلدان بأكملها وشعوبها مما سيؤدى إلى إثارة التطرف العنصرى والوطنى والدينى [1].

وبعد صدور بيان المثقفين الأمريكيين الستين، صدر بيان آخر وقعّه مائة وثمانية وعشرون من الشخصيات الأمريكية المعروفة، ومنهم روائيون ومفكرون ومؤرخون وأساتذة جامعيون وناشطون سياسيون مشهورون ووجهوه إلى نظرائهم الأوروبيين..

ومما ذكروه فى بيانهم أن القوة الأمريكية استعملت فى أغلب الأحوال، فى أمريكا اللاتينية وأفريقيا وآسيا، **لإنقاذ بقايا الأنظمة الاستعمارية والحكومات الديكتاتورية التى لا تتمتع بدعم شعوبها**، ولفرض بعض الظروف التجارية والمهلكة، ولدعم القوات المسلحة القمعية ولإزاحة بعض الحكومات التى تتمتع بأشكال من الاستقلال أو شلها عن طريق المقاطعة، وأخيراً، لإرسال الطائرات القاذفة والصواريخ بعيدة المدى لكى تمطرها بالموت والدمار.

وبناءً على الإطلاع على وثائق وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاجون)، تبين للموقّعين على البيان، أن الحرب على أفغانستان لم تكن كرد فعل لأحداث ١١ سبتمبر، بل أن الولايات المتحدة **قد أعدّت لها مسبقًا**. وجاء فى البيان:

(إن الولايات المتحدة تخطط بصورة علنية لحرب شاملة -ولا تستثنى من ذلك استعمال الأسلحة النووية- ضد العراق، وهو البلد الذى تعرّض طوال عقد كامل للهجمات الجوية، بقصد معلن لإزاحة قيادته وتنصيب حكومة بديلة يقودها زعماء تختارهم واشنطون) [2].

●●●

(١) نفسه ص٢٥٩.

(٢) نفسه ص٢٦٧.

الباب الثاني:

الحضارة الإسلامية حضارة سلام لا إرهاب

- الفصل الأول: عرض لآراء بعض المنصفين الغربيين.
- الفصل الثاني: فرية انتشار الإسلام بالسيف.
- الفصل الثالث: الإسلام دين سلام.
- الفصل الرابع: أزمة الإنسان الغربي الروحية وعلاجها (ونماذج من المهتدين للإسلام).





• الفصل الأول:

عرض لآراء بعض المنصفين فى الغرب[1]

- الكاتبة الإيطالية : د. لورا فاجليرى.
- الكاتب البريطانى : توماس كارلايل.
- الباحثة فى الأديان : كارين أرمسترونج.
- الفيلسوف والأديب الفرنسى الشهير : فولتير.

أولاً : د/ لورا فاجليرى :

وقد وقع اختيارنا على الدكتورة لورا فاجليرى وهى كاتبة نصرانية وأستاذة بمعهد الرسالات الشرقية بميلانو لعرض موقفها كنموذج طيب من العقليات الغربية الكبيرة النزيهة واتسمت كتاباتها بالنزاهة والإنصاف[2].

تصف الرسول ﷺ بقولها : (كان محمد ﷺ غاية فى التسامح متبعًا فى ذلك المبادئ السماوية خاصة نحو أتباع الأديان التى تنادى بالتوحيد وعرف كيف يستعين بالصبر حيال الوثنيين وينتظر معتقدًا أن الوقت كفيل بإحداث التغيير المنشود).

أما عن وصفه ﷺ بالقسوة، فتقول : (والجواب على اتهام محمد ﷺ بالقسوة سهل ميسور، فمحمد ﷺ كرئيس دولة مسئول عن حياة وحرية شعبه، عاقب فى تطبيقه للعدالة عقابًا شديدًا أشخاصًا ارتكبوا جرائم، ويجب أن يُنظر إلى عمله هذا على ضوء

---

(١) هناك أيضًا من يجهر بأن محمد ﷺ نبى مرسل، فقال نولدكه وهير جرنجيه إنه صادق، وقال جولد زيهر وولز: «إنه أنجح الأنبياء» ومنهم إدوار مونتيه مدرس اللغات الشرقية فى جامعة جنيف، فقد قال فى مقدمته لترجمة القرآن: «كان محمد ﷺ نبيًا صادقًا كما كان أنبياء بنى إسرائيل فى القديم»، محمد لطفى جمعة «ثورة الإسلام وبطل الأنبياء ﷺ» (ص٣٤)، (ص٥٥٤).

(٢) محمد عبد الله السمان مقدمة كتاب «تفسير الإسلام» للدكتورة لورا فاجليرى (سلسلة الثقافة الإسلامية) العدد ١٢ ربيع الآخر ١٣٧٩هـ أكتوبر ١٩٥٩م.

الوقت الذى كان يعيش فيه، وعلى ضوء المجتمع الوحشى الشرير الذى كان يحيا وسطه، وكان محمد ﷺ فى تبشيره بدين الله لطيفًا رحيمًا حيال أعدائه الشخصيين، وكانت الرحمة والعدل مغروسين فيه، وهما اثنتان من أنبل القيم التى يمكن للعقل الإنسانى تصورها. وليس من الصعب أن نؤيد ذلك بأمثلة كثيرة من سيرته ﷺ يقول أحد مؤرخى سيرته: «أصبحت الحرب تلك الضرورة البشعة للحياة الإنسانية عملاً أقل قسوة فى التطبيق العملى على يديه»(١).

ورغم أن النبى ﷺ دعا خصوم الإسلام إلى أن يأتى بكتاب مشابه له أو حتى بسورة منه، قال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣]. ومع أن هؤلاء الذين كانت لديهم القدرة على التعبير ببلاغة كبيرة كانوا كثيرين بين العرب فلم يستطع أى منهم إنتاج شىء يمكن مقارنته بالقرآن، لقد حاربوا النبى ﷺ بسواعدهم، ولكنهم فشلوا تمامًا فى مباراة روعة القرآن)(٢).

وما زال لدينا دليل آخر على الأصل الإلهى للقرآن هو أن نصه قد ظل ثابتًا نقيًا طوال القرون الطويلة منذ نزوله إلى اليوم(٣). وقد توسعت فى شرح رسالة النبى ﷺ الداعية إلى التوحيد، واتخذت من إخلاص صحابته، ونجاحهم فى الفتوحات المذهلة ومن إعجاز القرآن وهى معجزة الإسلام العظمى وأخلاق الرسول ﷺ، اتخذت من كل ذلك أدلة على أنه ﷺ نبى صادق وأنه كان مجددًا لدين إبراهيم عليه السلام الذى حُرف من بعده، ووصفت القرآن الكريم بأنه أعظم معجزة، وأنه ممتنع عن التقليد والمحاكاة، وتتساءل (كيف يمكن أن يكون هذا الكتاب المعجز من عمل محمد ﷺ وهو العربى الأمى؟!)(٤).

---

(١) د. لورا فاجليرى -أستاذة بمعهد الدراسات الشرقية بميلانو «تفسير الإسلام» (ص٢٣، ٢٤) ترجمة أحمد أمين سلسلة الثقافة الإسلامية العدد ١٢ ربيع الآخر ١٣٧٩هـ، أكتوبر ١٩٥٩م.

(٢) نفسه (ص٣٤).

(٣) نفسه (ص٣٥).

(٤) لورا فينشيا فاغليرى «دفاع عن الإسلام» ترجمة منير البعلبكى الطبعة الثالثة ١٩٧٦م.



وفى ضوء فلسفة التاريخ التى تفسر قيام الحضارات وسقوطها، تأملت النقلة الهائلة التى انتقل بها العرب من الجاهلية إلى الحضارة، إذ تقول: (ولا يزال العقل البشرى يقف ذاهلاً، دون اكتشاف القوى السحرية التى مكنت جماعة من المحاربين الحفاة من الانتصار على شعوب متفوقة عليها تفوقًا كبيراً فى الحضارة والثروة والخبرة والقدرة على شن الحرب)(١).

لقد أخرج الله العرب بالإسلام من الظلمات إلى النور، وعلة ذلك هذا الدين الذى يخاطب العقل والقلب جميعًا، وأقام حكومة لم يعرفها العالم من قبل (لقد تجلى أمام عيون العالم المندهش دين جديد بسيط سهل، يخاطب القلب والعقل جميعًا، وأقام شكلاً جديداً من أشكال الحكومة كان أسمى فى خصائصه ومبادئه الأخلاقية من تلك المعروفة فى ذلك العصر)(٢).

وسنرى كيف قطعت ألسنة أعدائه الذين اختلفوا عنه الأباطيل، فاتهموه ﷺ بالكذب والقسوة، وتصدت تدافع عنه ﷺ متسلحة بمنطق العقل ومستندة إلى سيرته العطرة ﷺ وتاريخ حضارة الإسلام وسير صحابته وإبراز الوجه الناصع لتاريخ المسلمين المتميز.

وتعلل انتشار الإسلام -لا بالقوة- بل لأنه يستند إلى الكتاب الذى قدمه المسلمون إلى الشعوب المغلوبة -كتاب الله- كلمة الحق، عظم معجزة، كان فى ميسور محمد ﷺ أن يقدمها إلى المترددين فى هذه الأرض، «ومن مميزات القرآن أنه ممتنع على التقليد والمحاكاة، وأن نصه ظل صافيًا طوال قرون مما يبرهن على مصدره الإلهى، وأنه يوقع فى نفس من يتلوه أو يصغى إليه حسًا عميقًا من المهابة والخشية»(٣).

كان المثل الأعلى الذى أراد محمد ﷺ أن يحققه بأى ثمن، فقاتل قتال الرجل الوديع ضد الغطرسة والطغيان، أو قل: قتال الرجل الذى لا يرغب فى الحرب ولكنه

(١) نفسه ص٢٢.
(٢) نفسه ص٢٧.
(٣) نفسه ص٥٨، ٥٩.



مُكره على منازلة أولئك الذين أصروا على تدميره بالقوة، وإنما نهض بهذه المهمة وأنصاره قلة قليلة، ولكنه نهض بها واثقًا من أنه كان يمهد السبيل لإيصال الحقيقة إلى كثير من النفوس، ومن أنه كان مكلفًا بأن يهدى الناس سواء السبيل فى غمرة الظلام، وعند وصوله إلى المدينة مدَّ يد الصداقة أول ما مدَّها إلى اليهود الذين مثلوا فى هذه المدينة جماعة غنية مزدهرة.

لقد دعاهم إلى التعاون الصادق فى وحدة سياسية واجتماعية. ولكنه حين أدرك أنهم معادون له عداءً مطلقًا وأنهم مصرون على إتباع سبيل خاطئة غادرة تعين عليه أن يقاتلهم ويعاقبهم. كانت الحرب ضد الأعداء الخارجين ضرورة من ضرورات العصر[(١)].

لقد كانت الحرب دائمًا وسيلة لحماية الدين الجديد وتعظيمه، لا غاية فى ذات نفسها. كانت دفاعًا ضروريًا، لا عدوانًا جائرًا، ولقد عبر القرآن عن هذه الفكرة بأجلى بيان: ﴿**وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾ [البقرة: ١٩٠].

وتنفى تهمة الروح العدوانية للإسلام فتذكر أن الرسول ﷺ الصابر على سخرية قريش واضطهادها (اضطر أن يمتشق الحسام بعد أن فوض الله تعالى إليه أمر الدفاع عن نفسه ورد كيد أعدائه، ومن ذلك الحين لم يعطه أولئك الأعداء أيما مهلة تمكنه من إعادة الحسام إلى غمده)[(٢)].

وقالت الدكتورة لورا فاجليرى فى دفاعها عن النبى ﷺ: «قام أعداء الإسلام الألداء الذين أعماهم الحقد والتعصب، واتهموا رسول الله ﷺ ذلك الرجل النبيل الذى كان يُنظر إليه قبل الرسالة نظرة إكبار وإجلال من جميع مواطنيه لما تحلى به من الأمانة والسجايا الكريمة، وكانت هذه التهمة التى رموه بها مما لا يقبله عقل ولا يمكن أن يسلم به عاقل، فضلاً عن أنها لا تقوم على أى أساس... (وليت شعرى كيف أن

---

(١) نفسه ص٣٠، ٣١.

(٢) نفسه ص٢٣.



هؤلاء الناس لم يسألوا أنفسهم إذا كان النبى ﷺ فى الحقيقة كاذبًا «حاشاه»، فكيف اجترأ على أن يوجه فى القرآن إلى الكذابين والمخادعين أشد عبارات الذم وأقساها؟! وكيف توعدهم بالنار وسوء العذاب؟ وكيف تسنى له أن يقوم بدعوته إذا لم يكن هناك وحى إلهى يدفعه إليه؟ . . . وكيف صمد للمقاومة أكثر من عشر سنين وهو فى مكة، احتمل أثناءها الشىء الكثير من صنوف الاضطهاد والآلام، وهو ذلك الرجل الوديع الهادئ الطباع؟ وكيف تهيأ له أن ينحاز إليه طواعية واختياراً بل بمنتهى التحمس جماعات كبيرة من رجالات قريش ونبلائهم وأن ينحنوا تحت لوائه مع غيرهم من السوقة والعبيد؟ أو ليس ذلك لأنهم تبينوا صدقه ﷺ وتحققوا من صحة ما جاء به؟ حسبنا ما قدمناه من الأدلة والبراهين؛ لأن رجال الغرب أيضًا قد بدأوا يقتنعون بأن إخلاص محمد ﷺ فى دعوته كان أمرًا لا ريب فيه)[1].

ثانيًا: الكاتب البريطانى توماس كارلايل:

وتوماس كارلايل هو أحد القلائل الذين عارضوا الأباطيل التى أذاعها نفر من بنى جلدته النصارى حول النبى ﷺ، وكان يعتمد -كما سنرى- على حجج عقلية دامغة، وتفنيد الأباطيل بدراسته الشاملة لتاريخ العرب وعقائدهم وطباعهم وعاداتهم قبل الإسلام وبعده، وأخذ يتعقب سيرة الرسول ﷺ منذ مولده وكيف كانت رسالته صامدة لأهل الجزيرة العربية، واصفًا الرسول ﷺ بالصدق والأمانة والإخلاص فى إبلاغ دعوته.

ولا يصرفنا تقديرنا لموقف كارلايل الشجاع بمواجهته للمفترين من النصارى ببلده، لا يصرفنا ذلك عن نقد منهجه بكتابه«الأبطال» -مصدر دراستنا- إذ وقع فى خطأ فادح لخلطه بين «لأبطال» بعقائدهم وعظائم أعمالهم التى تميزهم عن سائر الناس، وبين الأنبياء والرسل عليهم السلام الذين اصطفاهم الله ﷺ لإبلاغ دينه، وقد خلط بين هؤلاء وأولئك بقوله: (وكل ما تراه قائمًا فى هذا الوجود كاملاً متعمقًا فاعلم أنه نتيجة أفكار أولئك العظماء الذين اصطفاهم الله وأرسلهم إلى الناس)[2].

(١) د. لورا فينشيا فاغليرى «محاسن الإسلام» (ص٢١، ٢٢) ترجمة طه فوزى، قدم له شكيب أرسلان فى ١٧ جمادى الآخر ١٣٥٢هـ.

(٢) توماس كارلايل «الأبطال» (ص١٣) ترجمة محمد السباعى.



وبدأ فى المحاضرة التى خصصها للحديث عن الرسول ﷺ بقوله: (ننتقل الآن من تلك العصور الخشنة. الوثنية الشمالية إلى دين آخر فى أمة أخرى... دين الإسلام فى أمة العرب، وما هى إلا نقلة بعيدة وبعد شاسع بل أى رفقه وأى ارتقاء نراه هنا فى أحوال العالم وأفكاره؟ فى هذا الطور الجديد لم ير الناس فى بطلهم إلهًا بل رسولاً بوحى من الإله، وهذه هى الصورة الثانية للبطل، لقد كان اعتبار الرجل العظيم إلهًا غلطة وحشية فاحشة)[1].

«وقد نفى بشكل حاسم الاتهامات الموجهة للرسول ﷺ فإن الرسالة التى أدّاها ذلك الرسول ما زالت السراج المنير مدة اثنى عشر قرنًا لنحو مائتى مليون من الناس أمثالنا، خلقهم الله الذى خلقنا، أفكان أحدكم يظن أن هذه الرسالة التى عاش بها ومات عليها هؤلاء الملايين الفائقة الحصر والإحصاء كذبة وخدعة؟!»[2].

وكان شديد اللهجة فى وصف القائلين بذلك من بنى جنسه، فيقول تارة: (لقد أصبح من أكبر العار على أى فرد متمدن من أبناء هذا العصر أن يصغى إلى ما يظن من أن دين الإسلام كذب)[3].

ويعبر فى موضع آخر عن حبه للرسول ﷺ وواصفًا أخلاقه، ومثبتًا صفة رسالته العالمية بخطابه إلى قياصرة الروم وأكاسرة العجم: (وإنى لأحب محمداً ﷺ لبراءة طبعه من الرياء والتصنع، ولقد كان رجلاً مستقل الرأى لا يعول إلا على نفسه ولا يدعى ما ليس فيه، ولم يك متكبرًا، ولكنه لم يكن ذليلاً فهو قائم فى ثوبه المرقع كما أوجده الله، وكما أراد، يخاطب بقوله الحر المبين قياصرة الروم وأكاسرة العجم، يرشدهم على ما يجب عليهم لهذه الحياة وللحياة الآخرة)[4].

---

(١) كارلايل «الأبطال» (ص٥٢) ويقصد بذلك أن قدماء السويد والنرويج كانوا يعبدون شخصًا اسمه «اودين» ويصفه بأنه كان قطب دائرة الوثنية فى تلك الأقطار الوثنية فى تلك الأقطار (ص١٥).

(٢) نفسه ص٥٣.

(٣) نفسه ص٥٣، ٥٤.

(٤) نفسه ص٧٩.

وبعد ذلك يفصح عن رأيه الذى خلص إليه من دراسة سيرة النبى ﷺ فيقول: (فلسنا نعد محمداً ﷺ هذا قط رجلاً كاذبًا متصنعًا يتذرع بالحيل والوسائل إلى بغيه أو يطمح إلى درجة ملك أو سلطان أو غير ذلك من الحقائر والصغائر، وما الرسائل التى أداها إلا حق صراح)(١).

ثم يقرر فى عبارة واضحة جلية بما سماها بالحقيقة الكبرى (وهى أنه رجل صادق ونبى مرسل ﷺ)(٢).

وينفى كار لايل تلقى الرسول ﷺ العلم من بحيراً الراهب بقوله: (وإنى لست أدرى ماذا أقول عن هذا الراهب الذى يزعم أن محمداً ﷺ سكن معه فى دار، ولا ماذا عساه يتعلمه غلام فى السن الصغيرة من أى راهب ما فإن محمداً ﷺ لم يكن يتجاوز آنذاك الرابعة عشرة، ولم يكن يعرف إلا لغته)(٣).

ونضيف ها هنا أن قصة التقاء الرسول ﷺ للراهب بحيراً تعرضت لنقد علمى وفق منهج علماء الحديث الجرح والتعديل، إذ ضعف الشيخ رشيد رضا هذه القصة وقال بأن الروايات الخاصة بها ضعيفة الإسناد إلا رواية الترمذى وليس فيها بحيراً وفيها غلط فى المتن وليس فى شىء منها أن محمداً ﷺ سمع من بحيرا شيئًا عن عقيدته أو دينه «ولم يكن بحيراً -إن وجد حقيقة أبله على درجة أن يفاتح صبيًا صغيراً بمثل هذه الأسرار العليا»(٤).

---

(٢) نفسه ص٥٥.

(٢) نفسه ص٥٥.

(٤) نفسه ص٦١.

ويقول محمد لطفى جمعة بكتاب «ثورة الإسلام وبطل الأنبياء ﷺ» (ص٥٥٠). تتلخص الرواية التى أوردها البيهقى فى كتابه «دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة» فيما يلى:

(أن الراهب -ويسمى «بحيراء»- سأل الرسول ﷺ عن أشياء من ذلك ما عند بحيراء من صفته، ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه، من صفته التى عنده. قال: فلما فرغ منه أقبل على عمه أبى طالب، فقال له: أهذا الغلام منك؟ فقال: ابنى. فقال له بحيراء: ما هو بابنك، وما ينبغى لهذا الغلام أن يكون أبوه حيًا. قال: فإنه ابن أخى. قال: فما فعل أبوه؟ قال: مات، وأمه حبلى به. قال: صدقت. قال: ارجع بابن أخيك إلى بلده، واحذر عليه اليهود، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغنه شراً، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن). =

ويقول كار لايل فى موضوع آخر -متحدثًا عن الوحى- مع التحفظ (فمن فضائل الإسلام التضحية بالنفس فى سبيل الله، وهذا أشرف ما نزل من السماء على نبى الأرض. نعم هو نور الله قد سطع فى روح ذلك الرجل فأنار ظلماتها، هو ضياء باهر كشف تلك الظلمات التى كانت تؤذن بالخسران والهلاك، وقد سماه محمد ﷺ وحيًا «جبريل» وأينا يستطيع أن يحدث له أسماء؟ ألم يجىء فى الإنجيل أن وحى الله يهبنا الفهم والإدراك؟ فشعور محمد ﷺ إذًا اشتعلت روحه بلهيب هذه الحقيقة الساطعة بأن الحقيقة المذكورة هى أهم ما يجب على الناس علمه لم يكن إلا أمرًا بديهيًا، وكون الله قد أنعم عليه بكشفها، ونجاه من الهلاك والظلمة، وكونه قد أصبح مضطرًا إلى إظهارها للعالم أجمع هذا كله هو معنى كلمة «محمد رسول الله» ﷺ وهذا هو الصدق الجلى والحق المبين)(١).

وبعد استبعاد عبادة الأصنام وهى ليست سوى أخشاب حقيرة فإنه يعلن فى عبارة جامعة (وأن لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، فهو الحق وكل ما خلاه باطل، خلقنا ويرزقنا، الله أكبر ولله الحمد، ثم الإسلام وهو أن نسلم الأمر لله ونذعن له ونسكن إليه ونتوكل عليه، وأن القوة كل القوة هى فى الاستقامة لحكمته والرضا بقسمته أيًا كانت فى هذه الدنيا وفى الآخرة، ومهما يصبنا به الله ولو كان الموت الزؤام فلنتلقه بوجه مبسوط ونفس مغتبطة راضية ونعلم أنه الخير وأن لا خير إلا هو. ولقد قال شاعر الألمان وأعظم عظمائهم «جوته» إذا كان ذلك هو الإسلام فكلنا إذن مسلمون. نعم كل من كان فاضلاً شريف الخلق فهو مسلم)(٢).

= البيهقى: «دلائل النبوة» (٢/ ٢٨، ٢٩) تحقيق د. عبد المعطى وقد أورد الرواية صفى الرحمن المباركفورى فى كتابه «الرحيق المختوم» ١٤٠٨هـ/ ١٩٩٨م تحت عنوان «بحيرى الراهب» حيث أخذ بيد رسول الله ﷺ، وقال: «هذا سيد العالمين، هذا رسول رب العالمين، هذا يبعثه الله رحمة للعالمين» (ص٧٦).
وقال فى الحاشية: «انظر: جامع الترمذى»، و«تاريخ الطبرى». و«المصنف» لابن أبى شيبة، و«دلائل النبوة للبيهقى، ولأبى نعيم وإسناده ثابت وقوى».
ولم يرد قط فى رواية التقاء الراهب بحيرى بالرسول ﷺ أنه سكن معه أو تعلم منه، بل كان لقاءً عابرًا، واخذ الراهب يسأل الرسول ﷺ فيجيبه.

(١) كار لايل «الأبطال» ص٦٧.

(٢) نفسه ص٦٦، ومراده فقد طبق تعاليم الإسلام، وإلا فإن من المعلوم أن حسن الخلق وحده لا يكفى فى جعل الشخص مسلمًا.

ثالثًا: كارين أرمسترونج الباحثة فى الأديان:

أقدمت الكاتبة البريطانية كارين أرمسترونج الباحثة فى الأديان بشجاعة لتكتب عن الإسلام وعن الرسول ﷺ بمنهج علمى موضوعى[1] مستندةً على مصادر تاريخية وتناقش مخالفيها بحجج عقلية دامغة، غير مبالية باتهامها بالنفاق، فقالت: «ولو أن كلامى هذا سيجلب لى تهمة النفاق من وجهة نظر أوبريان، الذى يحيى التقاليد التى تعتبر أى احترام للإسلام بمثابة خيانة ثقافية»[2]. وقد مضت فى دراساتها لتثبت الوحى للرسول ﷺ وتنفى نقله عن اليهود والنصارى مؤيدة لمعنى أميته ﷺ بأنه الجهل بالكتابة والقراءة، وتعرف الإسلام بأنه استسلام المرء لله ﷺ مفسرة لفظ «الفار قليط» بالترجمة الصحيحة وتعنى «أحمد» الذى هو تنويع على اسم «محمد» ﷺ.

وتورد الآية الكريمة: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦][3].

وربما كانت عبارتها التالية معبرة باختصار عن منهجها فى البحث المؤدى تلقائيًا إلى النتائج الصحيحة، قالت (وتثبت الدراسة الجادة للإسلام أن المثل القرآنية العليا قد ساهمت مساهمة كبيرة، على امتداد ١٤٠٠ سنة، فى انتعاش الحياة الروحية للمسلمين

(١) فى الجملة وإلا فلم تسلم كتاباتها من الخطأ والانحراف.

(٢) كارين أرمسترونج «محمد ﷺ» ص٦٨.

(٣) نفسه ص١٣٤.

وهكذا عرفوا حقيقة اسم «الفار قليط» الوارد فى الإنجيل، ولابن تيمية شرح مفصل لمعنى هذا الاسم، قال: (فإن معنى الفار قليط، إن كان الحامد أو الحماد أو الحمد أو المعز، فهذا الوصف ظاهر فى محمد ﷺ فإنه وأمته، الحمادون، الذين يحمدون الله على حال، وهو صاحب لواء الحمد، والحمد مفتاح خطبته، ومفتاح صلاته).

ويمضى قائلاً: (وإذا كان كذلك، فهو ما جاء فى القرآن: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦]، قالوا: ولا شك عندهم أنه اسم مشتق من الحمد) ص١٠١ من كتاب "دلائل النبوة وأعلام رسالة النبى محمد ﷺ، وهو مختصر كتاب ابن تيمية «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» اختصره الدكتور مصطفى حلمى.

وتوافق على النتيجة التى وصل إليها أحد الباحثين حيث ثبت لديه أن الشريحة المسلمة من المجتمع الإسلامى لا تزدهر إلا إذا كان الإسلام قويًا وحيويًا ونقيًا وخلاقًا وسليمًا)[1].

كذلك فإنها تثبت الوحى الإلهى بقولها: (حينما تلقى النبى محمد ﷺ الذى ولد بمكة بالحجاز وحيه الأول عام ٦١٠ ميلادية لم يكن يعتقد أنه على وشك تأسيس ديانة عالمية جديدة، وكان محمد ﷺ الذى اشتهر بنزاهته أثناء اشتغاله بالتجارة فى مكة، قد اهتم لفترة طويلة بالحالة الروحانية المتدهورة التى كانت مدينته تعانى منها -أى بعدم الرضا عن الوثنية القديمة)[2].

إلا أن ذلك كله تغير دون رجعة فى شهر رمضان من عام ٦١٠م حينما اهتز كيان محمد ﷺ فى حضور إلهى رهيب، ووجه كلمات كتاب مقدس موحى به تتدفق من فمه، واستمر محمد ﷺ على مدى السنوات الاثنتين والعشرين التالية، فى تلقى الوحى من الله، وقد قام صحابة محمد ﷺ بعد ذلك بجمعه فى مصحف عربى يُعرف بالقرآن.

وتقول: (ويؤكد القرآن الكريم مرارًا أن الوحى الذى أنزل على محمد ﷺ لا يلغى رسالات من سبق من الرسل مثل آدم، ونوح، وإبراهيم، وإسحاق، وإسماعيل ويعقوب، وموسى، وداود، وسليمان، وعيسى. أى: أن ما جاء بالقرآن هو إعادة تذكرة بالرسالة الواحدة التى أرسلها الله للأمم جميعها. وعلى هذا تكون الوثنية تفضيل عقيدة أو مذهب إنسان على الله ذاته الذى يسمو فوق كل الأنظمة الإنسانية، ولذا فإن المسلمين بعودتهم إلى العقيدة الأولى لإبراهيم يجعلون من الإيمان بالله وليس أى مؤسسة دينية أخرى هدفًا لحياتهم)[3].

---

(١) نفسه ص٦٩.

(٢) كارين أرمسترونج "القدس، مدينة واحدة، عقائد ثلاث" ص٤٦٩ ترجمة د. فاطمة نصر، ود. محمد عنانى.

(٣) نفسه ص٣٧٤.



وتنفى أرمسترونج نفيًا قاطعًا نقل الرسول ﷺ من اليهود والنصارى لأنه أمر بناءً على ما ورد بالقرآن الكريم بالعودة إلى دين إبراهيم عليه السلام.

فتقول: (دُهش النبى ﷺ حينما اكتشف تنازعهم (أى: اليهود والنصارى) على أمور عقائدية ليس بإمكان أحد أن يبرهن على صحتها أو عدم صحتها)[(١)].

وجاء الرسول ﷺ بالتوحيد مثل إبراهيم عليه السلام: «فلقد أمر القرآن المسلمين بالعودة إلى دين إبراهيم عليه السلام الأصل الخالص، ولقد عاش إبراهيم عليه السلام قبل التوراة والإنجيل، لذا لم يكن يهوديًا أو نصرانيًا وإنما كان ببساطة -مسلمًا- أى: إنسانًا سلم نفسه كلية لله - عز وجل -»[(٢)].

وتصف تغير القبلة بأنه أكثر إيماءات الإسلام إبداعًا، فقد كان ذلك التغيير علامة على عودة المسلمين إلى عقيدة إبراهيم عليه السلام الأصلية قبل انقسامها نتيجة لتشرذم اليهود والمسيحيين فى طائفية متناحرة[(٣)].

وقد ناقشت باستفاضة أمية الرسول ﷺ لترد على بعض الدارسين الغربيين المحدثين الذين نفوا بأن لقب «أمى» تعنى الجهل بالقراءة والكتابة إذ كان النبى ﷺ قد ألم بمبادئ الكتابة، ويذهبون إلى معنى أنه ﷺ كان نبينا «لأميين» الذين لم يتلقوا كتابًا سماويًا من الله، وبمعنى آخر يفسر لفظ الأمى على أنه يعنى غير اليهودى «النبى مرسل لغير اليهود» وواصل البعض من هذا المنطلق تأكيدهم أن لفظ أمى متصل بلفظ أمة، ويعنى فى هذا السياق نبى القوم.

وكانت موفقة فى الرد عليهم بقولها: (إنه من الحماقة أن نتحدى التفسير الموروث للمسلمين للفظ «أمى» كما أنه لا يوجد فى المصادر الأولى أى ذكر عن قدر محمد ﷺ على الكتابة والقراءة، وحينما كان يحتاج لإرسال خطاب يمليه على أشخاص مثل على رضي الله عنه الذى كان ملمًا بالقراءة والكتابة، ولو كان صحيحًا أن محمدًا ﷺ قد أخفى

---

(١) نفسه ص٣٧٣.

(٢) نفسه ص٣٧٣.

(١) نفسه ص٣٧٧.



مقدرته على الكتابة والقراءة طيلة حياته لكانت تلك خدعة كبرى، وخلافًا لكون ذلك منافيًا لطبيعته ﷺ)(١).

رابعًا: الفيلسوف الفرنسى والأديب الشهير فولتير:

وهناك أيضًا حالة خاصة يعبر عنها الفيلسوف الفرنسى والأديب الشهير فولتير

(١) كارين أرمسترونج «محمد ﷺ» (ص١٣٦) ترجمة فاطمة نصر، ود. محمد عنانى ط٢ سطور ١٩٩٨م.
وقد أفحمت كارين أرمسترونج مخالفيها من المغالطين فى تفسر أمية الرسول ﷺ، ومع كثرة استشهادها بالآيات القرآنية، نرجح أنها فهمت معانى الآيات التى نعتته ﷺ بالأمية كقوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [الأعراف: ١٥٧].
وربما اطلعت على تفسير الإمام الطبرى أو غيره من المفسرين.
قال الإمام الطبرى فى تفسير قوله تعالى: ﴿**وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ**﴾ [البقرة: ٧٨] «الأمى» عند العرب: هو الذى لا يكتب.
قال أبو جعفر: «وأرى أنه قيل للأمى: «أمى» نسبة له بأنه لا يكتب إلى «أمه»؛ لأن الكتاب كان فى الرجال دون النساء، فنُسب من لا يكتب ولا يخط من الرجال -إلى أمه- فى جهله بالكتابة دون أبيه» تفسير الطبرى» جامع البيان فى تأويل القرآن» (١/ ٤١٧).
وفى تفسير قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ**﴾ [الأعراف: ١٥٧] هو نبيكم ﷺ كان أميًا لا يكتب. «نفسه (٦/ ٨٤)». وقال الشيخ رشيد رضا: «النبى الآمى» نسبة إلى الأم، والمراد به الذى لا يقرأ ولا يكتب «السيد محمد رشيد رضا» بـ«تفسير القرآن الحكيم» -الشهير بـ«تفسير المنار» (٩/ ٢١٦).
وقد اتخذ الطبيب الفرنسى المهتدى للإسلام -موريس بوكاى- من أمية الرسول ﷺ دليلاً قطعيًا على أن القرآن الكريم هو كلام الله ﷺ وذلك دليلاً قطعيًا على أن القرآن الكريم هو كلام الله عز وجل وذلك أثناء مقارنته بين مسألتى الخلق والطوفان -كما وردتا بالتوراة والقرآن الكريم وخلص من دراسته إلى القول بعدم اتفاق العلم مع أقوال التوراة، بينما رأى اتفاقًا كاملاً بين أقوال القرآن الخاصة بنفس المسائل وبين العلم الحديث، ثم قال: (ومن ذلك يمكن ملاحظة الفرق التى تجعل بالدقة أحد النصين مقبولاً علميًا فى العصر الحديث على حين تجعل الآخر غير مقبول) -موريس بوكاى «القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم- دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة» (ص١٤٩).
وفى نهاية بحثه يدحض فرض الذين يرون فى محمد ﷺ مؤلفًا للقرآن، ويتساءل متعجبًا ومستبعدًا هذا الفرض تمامًا، (كيف يمكن لإنسان -كان فى بداية أمره أميًا... أن يصرح بحقائق ذات طابع علمى لم يكن فى مقدور أى إنسان فى ذلك العصر أن يكونها؟!!) نفسه ص١٥٠.



تستحق العناية والاهتمام من جانب الباحثين، إذ مما يلفت النظر، أنه بعد تنحيه عن أقواله الأولى المتسرعة عن الإسلام والرسول ﷺ ظلت المؤلفات فى الغرب تردد كلماته السابقة، أى: قبل تحوله إلى مرحلة تصحيح المفاهيم، وها هى آراؤه الأخيرة، وفحواها أن القرآن لا يزال فى واقع الأمر يشتهر إلى اليوم بأنه الكتاب الأكثر تميزًا وسموًا، لقد ألصقنا بالقرآن ما لا نهاية له من السخافات التى لم تكن به على الإطلاق.

ثم فند الشدة المزعومة فى معاملة النساء بقوله: (كان يكفى قراءة السورتين الثانية والرابعة من القرآن حتى يهتدى الناس إلى الحق).

ودفاعًا عما يُنسب للرسول ﷺ قال: (كما أننا لا نستطيع أن ندينه على عقيدته فى الإله الواحد، فهذه هى كلمات السورة رقم ١١٢ تقول ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ**﴾ [الإخلاص: ١-٤]، إننى أقول: إن هذه الكلمات أخضعت له الشرق أكثر مما فعل سيفه، وفى كلمة موجزة فإن شريعته صالحة، وعقيدته تدعو إلى الإعجاب به)(١).

ومن أقواله: (إن مؤلفينا لم يجدوا صعوبة تذكر فى جعل نساءنا تقف فى صفهم لقد أقنعوهن بأن محمدًا ﷺ لم يعتبرهن ضمن الحيوانات الذكية، وأنهن جميعًا إماء وفق شريعة القرآن... ومن الواضح أن كل هذا كذب وبطلان اعتقدوا فيه بكل قوة -أيها الجهلة الأغبياء- الذين خدعهم جهلة آخرون، إذ أقنعوكم بأن الديانة المحمدية ديانة شهوانية ولذات جسدية، بينما هى ليست شيئًا من ذلك)(٢).

---

(١) «القاموس الفلسفى» لفولتير -المجلد السابع، نقلاً عن اللواء أحمد عبد الوهاب فى كتابه «الإسلام فى الفكر الغربى -دين ودولة وحضارة» (ص٥٠، ٥٣، ٥٤)، وقد أساء «فولتير» إساءة بالغة للرسول ﷺ فى مسرحية شهيرة بعنوان «التعصب أو محمد ﷺ» عُرضت لأول مرة فى مدينة ليل بفرنسا سنة ١٧٤١م ثم تراجع رويدًا رويدًا عن أباطيله فى الإسلام ونبيه ﷺ، ونعته بكل أوصاف التمجيد والإكبار.

(٢) لواء أحمد عبد الوهاب «الإسلام فى الفكر الغربى» ص١٣٢ ويذكر أن مسرحيته كانت تعبر عما كانت سائدًا فى أوروبا حين عرضها آنذاك، ولا يزال فى أغلبه إلى الآن ص٨٩.



مقتطفات من مواقف بعض علماء الغرب الملتزمين بالمنهجية العلمية فى دراستهم الإسلامية:

ونورد فيما يلى آراء بعض العلماء الذين تحرروا من التعصب الذميم وسمح لهم الإطلاع الواسع على مصادر الإسلام إصدار الحكم الصائب بخلاف آراء أغلب المستشرقين التى تشهد على نقص الإطلاع على المستويات التاريخى العلمى ولا حجة لهم، إذ تقول أرمسترونج الباحثة فى الأديان: (إننا نعرف عن محمد ﷺ أكثر مما نعرف عن مؤسس أى دين من الأديان الرئيسية الأخرى وأن دراسة حياته يمكن أن تهبنا إدراكًا عميقًا ومهما لطبيعة التجربة الدينية)[1].

وإزاء طغيان الصورة المزيفة التى كونها النصارى للرسول ﷺ وتعرضه للتجريح قرر الدكتور ميجيل إيرناندت الأستاذ بجامعة مدريد فى بحث له بعنوان «الجذور الاجتماعية والسياسية للصورة المزيفة التى كونتها المسيحية عن النبى ﷺ» كان قد قدمه للمؤتمر الثانى للحوار الإسلامى المسيحى الذى عقد فى قرطبة بأسبانيا عام ١٩٧٧م قرر فيه بقوله: «لا يوجد صاحب دعوة تعرض للتجريح والإهانة ظلمًا على مدى التاريخ مثل محمد ﷺ إن الأفكار حول الإسلام والمسلمين ونبيهم محمد ﷺ استمرت تسودها الخرافة حتى نهاية القرن الثانى عشر الميلادى. ولم يمنع الاحتكاك المباشر بين الطائفتين من انتشار هذه الخرافات»[2].

وكتب برنارد لويس عن الإسلام يقول: «أرسل الله الملك جبريل ليملى القرآن على محمد ﷺ بهذا يكمل القرآن سلسلة الوحى التى سبقت إلى أنبياء اليهود وإلى عيسى ومن ثم يكون محمد ﷺ أعظم الأنبياء وخاتمهم ويكون القرآن هو «الكتاب» الأخير وبمقارنته رسالة النبى ﷺ برسالات الأنبياء قبله، خلص إلى القول: (ولقد كان الأنبياء الكثيرون الموحدون وتلاميذهم الذين شاركوا فى هذا الصراع قبل محمد ﷺ كانوا

---

(١) كارين أرمسترونج «محمد ﷺ» ص٢٤.
(٢) لواء/ أحمد عبد الوهاب «الإسلام فى الفكر العربى» (ص١٢).





جميعًا مسلمين . وتدل كلمة الإسلام على الدين الحق الذى دعا إليه كل المرسلين الذين اختارهم الله)[١] .

ونفس المنهج اتبعه مارسيل بوازار فقرر أن محمدًا ﷺ جاء بالرسالة الخاتمة مصححًا انحرافات البشرية .

قال مارسيل بوازار -وهو أستاذ جامعة سويسرى- (إن شرائع متنوعة عرف الله بها الناس عن طريق أنبياء مختارين ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ [الرعد : ٧] إلا أن تلك الأمم لم تلتزم دائمًا بالشريعة التى جعلها الله لكل منهم ، على الرغم من النذر التى جاءتهم فجاء محمد ﷺ يحمل الرسالة النهائية التى أعدت لتصحيح الأخطاء أو التحريفات التى لحقت بما سبق من وحى ، وليكمل نهائيًا نقل الشريعة الإلهية إلى الناس)[٢] .

ومن مؤلفى الإفرنج الذين أقروا بنبوة محمد ﷺ إدوارد مونتيه -مدرس اللغات الشرقية فى جامعة جنيف- فقد قال فى مقدمة ترجمته للقرآن : (كان محمد ﷺ نبيًا صادقًا ، كما كان أنبياء بنى إسرائيل فى القديم ، كان مثلهم يؤتى رؤيا ويوحى إليه وكانت العقيدة الدينية وفكرة وجود الإلوهية متمكنتين فى أولئك الأنبياء أسلافه) .

العالم الأمريكى: مايكل هارت:

كذلك أقر العالم الأمريكى مايكل هارت -وهو عالم فلكى رياضى ، يعمل فى هيئة الفضاء الأمريكى - أقر بنبوة محمد ﷺ حينما وازن بين رسالته ودوره وبين دور عيسى عليه السلام فقال : (إن الرسول محمدًا ﷺ قد كان دوره أخطر وأعظم فى نشر الإسلام وتدعيمه وإرساء قواعد شريعته أكثر مما كان لعيسى عليه السلام فى الديانة النصرانية ، وعلى الرغم من أن عيسى عليه السلام هو المسئول عن مبادئ الأخلاق فى النصرانية ، غير أن القديس (بولس) هو الذى أرسى أصول الشريعة النصرانية ، وهو أيضًا المسئول عن كتابة الكثير مما جاء فى كتب (العهد الجديد) .

(١) نفسه ص٤٥ ، ٤٦ .
(٢) نفسه ص٨٤ ، ٨٥ .



أما الرسول ﷺ فهو المسئول الأول والأوحد عن إرساء قواعد الإسلام وأصول الشريعة والسلوك الاجتماعي والأخلاقي وأصول المعاملات بين الناس في حياتهم الدينية والدنيوية . كما أن القرآن الكريم قد نزل عليه وحده . وفي القرآن الكريم وجد المسلمون كل ما يحتاجون إليه في دنياهم وآخرتهم .

والقرآن الكريم نزل على الرسول ﷺ كاملاً . وسجلت آياته وهو ما يزال حيًا . وكان تسجيلاً في منتهى الدقة ، فلم يتغير منه حرف واحد . وليس في النصرانية شيء مثل ذلك .

فلا يوجد كتاب واحد محكم دقيق لتعاليم النصرانية يشبه القرآن الكريم ، وكان أثر القرآن الكريم على الناس بالغ العمق ولذلك كان أثر محمد ﷺ على الإسلام أكثر وأعمق من الأثر الذي تركه عيسى عليه السلام على الديانة النصرانية)[1] .

ونأتي أخيرًا بنص اعتراف أحد أعدائه ﷺ الذي اضطر إلى الإقرار بالحقيقة فقد نقل «سيل» في مقدمة ترجمة القرآن عن «هميس» النصراني عدو محمد ﷺ ومنكر رسالته في الصفحة السادسة طبعة ١٨٥٠ ما يأتي في صفة النبي ﷺ : (إنه كان حسن الوجه وذكيًا وكانت طريقته مرضية ، وكان الإحسان إلى المساكين من شيمته ، وكان يعامل الكل بخلق حسن ، وكان شجاعًا على الأعداء . وكان يعظم الله تعظيمًا كبيرًا ، وكان يشدد على المفترين الذين يرمون الأبرياء ، وكذا الزناة والقتلة ، وأهل الفضول والطامعين وشهود الزور ، وكانت كثرة وعظه في الصبر والجود وصلة الرحم والإحسان وتعظيم الأبوين وتوقيرهم وتكريمهم وكان عابدًا مرتاضًا حتى الغاية)[2] .

●●●

(١) مايكل هارت «محمد ﷺ أعظم الخالدين» ص١٠ ترجمة أنيس منصور .

(٢) عبد الرحمن العيسوي «لماذا أنا مسلم؟» (ص٨٣، ٨٤) .

ومما يُذكر في هذا المجال أيضًا التحوّل في فكر المثقف الأمريكي -الياباني الأصل- هنتجتون- إذ قال في إحدى الندوات (لا يسعنا إلا أن نعترف أن القرآن أصبح أكثر الكتب مبيعًا في أمريكا . . وربما جاءت النتائج عكسية) وأن للدين دورًا بارزًا ومهمًا في الحفاظ على الهوية الثقافية والحضارية وأن هذا يتضح في العالم الإسلامي . . وأن العدالة إذا لم تتحقق في العالم فستكون من أسباب القلاقل . . واتفق زميله فريدمان في القول : (إننا نحن الأمريكيين نفرش البساط للأنظمة الديكتاتورية الطاغية في العالم) ص٢٥٥ من كتاب (المعجزة المتجددة في عصرنا : الإسلام ، بعض مظاهر انتشار الإسلام بعد أحداث ١١ سبتمبر) .





• الفصل الثانى

فرية انتشار الإسلام بالسيف

بث بعض المستشرقين وأذنابهم فرية انتشار الإسلام بالسيف -أى بالإرهاب- وعملت الجهات المعادية للإسلام بنشر هذه الأكذوبة الكبرى للصدّ عن سبيل الله وصرف الأتباع عن هداية الإسلام.

ولكن طبيعة الباطل أنه أجوف، ولا يصمد أمام ضربات الحق، ونعنى بها الأدلة الدامغة على نفى هذه الفرية واستبعادها تمامًا، وبيان أنها مختلقة من أناسٍ قلوبهم ملآى بالحقد والعداء للإسلام والمسلمين.

ونستدل على ذلك بالبراهين التى استند إليها بعض الدارسين والمؤرخين -من غير المسلمين الذين صدعوا للحق وأنصفوا فى الحكم- فى ضوء الآية الكريمة ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ [يوسف: ٢٦].

من هؤلاء المؤرخين السير توماس أرنولد الذى قال بالحرف الواحد (إذا نظرنا إلى التسامح الذى امتد على هذا النحو إلى رعايا المسلمين من المسيحيين فى صدر الحكم الإسلامى، ظهر أن الفكرة التى شاعت بأن السيف كان العامل فى تحويل الناس إلى الإسلام بعيدة عن التصديق.

ومن ثم لم يكن بد من أن نتلمس بواعث أخرى غير ذلك الباعث الذى أوحى بالاضطهاد)(١) وقد رجح رأى (كيتانى) الذى علل انتشار الإسلام بين نصارى الكنائس الشرقية بأنه نتيجة الشعور بالاستياء من السفطة المذهبية التى جلبتها الروح الهيلينية إلى اللاهوت المسيحى، فإن الشرق الذى عرف بحبه للأفكار الواضحة البسيطة فقد كانت الثقافة الهلينية وبالاً عليه من الوجهة الدينية لأنها أحالت تعاليم المسيح البسيطة السامية إلى عقيدة محفوفة بمذاهب عويصة، مليئة بالشكوك والشبهات، فأدىّ ذلك إلى خلق شعور باليأس، بل زعزع أصول العقيدة الدينية ذاتها)(٢).

(١) سير توماس. و. أرنولد (الدعوة إلى الإسلام: بحث فى تاريخ نشر العقيدة الإسلامية ص٨٨.
(٢) نفسه ص٨٩/ ٩٠.



ويقول (كيتانى): فلما أهلّت آخر الأمر أنباء الوحى الجديد فجأة من الصحراء، لم تعد تلك المسيحية الشرقية التى اختلطت بالغش والزيف، وتمزقت بفعل الانقسامات الداخلية، وتزعزت قواعدها الأساسية، واستولى على رجالها اليأس والقنوط من مثل هذا الريب، لم تعد المسيحية بعد ذلك قادرة على مقاومة إغراء هذا الدين الجديد الذى بدّد بضربة من ضرباته كل الشكوك التافهة، وقدّم مزايا مادية جليلة إلى جانب مبادئه الواضحة البسيطة التى لا تقبل الجدل. وحينئذ ترك الشرق المسيح وارتمى فى أحضان نبى بلاد العرب ﷺ[1].

وفى موضع آخر من كتابه، يفسر السير أرنولد انتشار الإسلام فى أفريقيا -على سبيل المثال- إلى سلوك الدعاة المسلمين وأخلاقياتهم وتعاملهم مع أهل البلاد، فيقول (وحينما شق الإسلام طريقه، نجد هناك الراعى المسلم حاملاً الدليل لعقائد هذا الدين، فالتاجر -سواء من العرب- أو غيرهم- يجمع بين الدعوة وبيع سلعته، وأن مهنته وحدها لتصله صلة وثيقة مباشرة بأولئك الذين يريد أن يحولهم إلى الإسلام، وتنفى عنه كل ما يحتمل أن يتهم به من دوافع شريرة. وإذا ما دخل مثل هذا الرجل قرية وثنية فسرعان ما يلفت الأنظار بكثرة وضوئه، وانتظام أوقات الصلاة والعبادة، كما لو كان يخاطب كائنًا خفيًا. وأن ما يتحلى به من سمو عقلى وخلقى ليفرض احترامه والثقة به على الأهالى الوثنيين)[2].

كذلك قامت عالمة الأديان كارين أرمسترونج[3] بإزالة وهم الكثيرين من قومها الذين ظنوا أن فتوحات المسلمين كانت لنشر الإسلام بالسيف، وعللت انتصار الجيوش الإسلامية بعاملين:

أحدهما: الإيمان العميق بنصر الله عز وجل لهم، إذ ألحقوا الهزائم بإمبراطوريتين عظيمين عالميتين، وأمدهم هذا النصر المذهل بالشعور بالمعية الإلهية (وكان نجاحهم شاهداً

---

(١) نفسه ص٩٠.

(٢) نفسه ص٣٩١.

(٣) كارين أرمسترونج (مسيرة الإسلام) ص٦١.
ترجمة د. هشام الحفناوى الناشر عمرو الحفناوى بالقاهرة ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

أيضًا على صدق القرآن الذى وعد بأن المجتمع المستقيم يزدهر لأنه يلتزم بما يريده الله تعالى للبشر، وليتأملوا إذن ما حدث لهم حين أسلموا أنفسهم لطاعة الله عز وجل).

الثانى: كان السكان فى سوريا ودول شمال أفريقيا تحت الحكم البيزنطى، وقد ضاقوا بالاضطهاد الدينى الذى كانت تمارسه عليهم الكنيسة الأرثوذكسية فلم يناصروا البيزنطيين فى حربهم ضد العرب(١).

وقد تبين لأرمسترونج أيضًا من إطلاعها على ترجمة القرآن الكريم أنه لا يشجع على الحرب بل يعتبر أن المبرّرين الوحيدين للحرب العادلة هما: الدفاع عن النفس وتحقيق العدالة والمساواة، ولكنه يدين الاعتداء والقتل(٢).

وكان الدكتور هوستن سميث أيضًا ممن أدرك حقيقة القتال كما نصت عليه الآيات القرآنية، فى مثل قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾ [الحج: ٤٠].

وساوى بين مبدأ (الجهاد) فى الإسلام وتعريف (الحرب العادلة) فى المسيحية، والتى تُسمىّ أحيانًا بالحرب المقدسة(٣) واستنتج من التفسير السائد للقرآن، أن الحرب العادلة يجب أن تكون إما أن تكون دفاعية أو لأجل إزالة الظلم فى مثل قوله تعالى: ﴿**وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾ [البقرة: ١٩٠] وقال الدكتور هوستن معقبًا على ذلك (إن العداوة الشرسة والشديدة التى شنها الوثنيون ضد محمد ﷺ وأتباعه، أجبرت محمدًا ﷺ أن يمتشق سيفه دفاعًا عن النفس. ولو لم يفعل ذلك لأُزيل هو وكل الجماعة التى ائتمنه الله عليها من على وجه الأرض)(٤) وبذلك ينفى الفرية المختلقة كذبًا وافتراءً عن انتشار الإسلام بحد السيف،

(١) نفسه ص٦٢.
(٢) نفسه ص٦٢.
(٣) د. هوستن سميث (أديان العالم) ص ٥١٢ وص ٥١٦.
تعريب وتقديم سعد رستم دار الجسور الثقافية - حلب ١٤٢٨ هـ/ ٢٠٠٧م.
(٤) نفسه ص٥١٣.



إذ فى الغالب انتشر بالإقناع وتقديم المثال الأخلاقى، معتمداً على الآيات القرآنية الحاسمة التى تتحدث عن موضوع الاهتداء للإسلام، مثل قوله تعالى: ﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ [البقرة: ٢٥٦] وقوله عز وجل: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [المائدة: ٤٨].

وقد أدخل الرسول ﷺ فى (دستور المدينة) مبدأ التسامح، وهى أول ميثاق ودستور لحريّة المعتقد والرأى فى تاريخ البشرية والنموذج الأصيل والموثق لكل الدول المسلمة اللاحقة)[(١)].

ويفصل الدكتور هوستن سميث المبادئ والقيم التى وضعها الرسول ﷺ أثنا الحرب، فيقول (خلف محمد ﷺ -كقائد عسكرى بارز- العديد من التقاليد الخاصة بالتصرف المحترم أثناء الحرب: احترام المعاهدات والاتفاقيات، حُرمة الخيانة والغدر، عدم جواز بتر أعضاء الجرحى أو تشويه الموتى والتمثيل بجثثهم، وجوب استثناء الأطفال والنساء وكبار السن من القتل، وكذلك وجوب حماية البساتين والمحاصيل الزراعية والأبنية والأشياء المقدسة)[(٢)].

ويسجل التاريخ أن المسيحيين واليهود والهندوس عاشوا قروناً طويلة، فى الشرق وفى إسبانيا وفى الهند، حياةً هانئةً ومارسوا دينهم تحت الحكم الإسلامى، وحتى تحت حكم أسوأ الحكام. كان المسيحيون واليهود يستلمون مناصب هامة، ويتمتعون بشكل عام بحريتهم الدينية، ويجب أن نتذكر بأن المسيحيين -وليس المسلمون- هم الذين طردوا اليهود من إسبانيا فى القرن الخامس عشر، أولئك اليهود الذين كانوا يعيشون أحد عصورهم الذهبية تحت الحكم الإسلامى فى الأندلس. ثم يعقد الدكتور هوستن سميث فى نفس المرحلة الزمنية بين إسبانيا والأناضول.

---

(١) نفسه ص٥١٣.

(٢) نفسه ص٥١٢ ويصف الرسول ﷺ أيضًا بقوله (مارس الحياة بأوسع مجالاتها بنحو استثنائى -أى مثالى- فلم يكن راعيًا وتاجرًا وناسكًا وزاهدًا وجنديًا مقاتلاً ومشرعًا ونبيًا.. فحسب بل كان كذلك يتيمًا وزوجًا.. فى كل تلك الأدوار التى عاشها كان محمد ﷺ نموذجًا مثاليًا) ص٤٧٨.



فالمسيحيون الإسبان طردوا المسلمين (الموريس) من إسبانيا، فى حين فتح المسلمون ما أصبح يُعرف فيما بعد بدولة تركيا -وبالمقارنة بما حدث فى كلا الحالتين نجد أن كل مسلم فى الأندلس، إما تم طرده من إسبانيا أو قُطع رأسه بالسيف، أو أُجبر على الارتداد عن دينه والدخول فى المسيحية، **فى حين أن كرسى الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية بقى فى إسطنبول إلى يومنا هذا**. ثم يقول (فى الواقع لو كنا نبحث عن المقارنات، فإن المسلمين يعتبرون سجل المسيحية هو السجل الأكثر سوادًا فى هذا الصدد)[1].

وبالمقارنة بين الاثنين، فإن سجل أوروبا حافل بدعوة الناس للمشاركة فى الحروب الصليبية باسم أمير السلام! والكنيسة هى التى أسست محاكم التفتيش التى استخدمت أدوات التعذيب -كالوتد والخازوق والمخلع (أداة تعذيب قديمة يُمطّ عليها الجسم وتُخلع أطرافه)... وإذا سلمنا جدلاً باستثناءات فى تاريخ المسلمين من استخدام القوة، فإنهم ينكرون توجيه التهمة لدينهم نفسه **(ذلك الدين الذى مثله الأعلى يظهر فى نفس التحية الأساسية «السلام عليكم» أى ليحل السِّلم والأمان عليكم)**[2].

ويقول د/ توفيق الطويل عند مقارنته بين تاريخ المسيحية والإسلام: (أنشئت محاكم التفتيش لتتولى مطاردة المارقين وتعذيبهم إلى حد إحراقهم وهم أحياء!! وارتكبت كل هذه الفظائع باسم دين أخص ما يميزه دعوته إلى المحبة، (أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضكم)..

أما فى الإسلام فإن علماء الدين قد جُردوا من كل سلطة دنيوية وهم رجال الدين بالمصطلح الكنسى، يقول الله تعالى مخاطبًا بديه المصطفى ﷺ ﴿**فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ**﴾ [الغاشية: ٢١] فلم يكن من الميسور أن يقع على أيديهم اضطهاد لمخالفيهم فى الرأى، ولهذا ارتدت الاضطهادات فى تاريخ الإسلام إلى أسباب شخصية، أو دوافع سياسية، أو حين درس الحكام الدنيويون أنوفهم فى مسائل علميّة أو دينية، وفرضوا رأيهم على مخالفيهم بحد السيف..!

(١) نفسه ص٥١٦.

(٢) د. توفيق الطويل (قصة الاضطهاد الدينى فى المسيحية والإسلام ص١٥ الزهراء للإعلام العربى بالقاهرة، ١٤١٢هـ- ١٩٩٩م.

وما نسوق إلا شاهدًا واحدًا على ذلك، هو المحنة فى الإسلام، محنة أهل الحديث والسنة وفى مقدمتهم الإمام أحمد بن حنبل على يد المأمون والمعتصم والواثق فى (مشكلة خلق القرآن)(١) تعرض أهل السنة للعذاب، بسبب إصرارهم على القول بأن القرآن قديم قدم الله (وأنه كلام الله عز وجل تكلم به) ومرد المحنة التى عاشوها أربعة عشر شهرًا إلى أن المأمون قد اقتنع برأى المعتزلة فى أن القرآن مخلوق وليس قديمًا، وأن القول بقدمه شبه شرك، والقائل بالشرك يجب رده، فإن عاند وجب قتله..!

واعتقد المأمون أنه مسئول أمام الله تعالى عن عقيدة رعاياه، فتدخلت الدولة بسلطانها وهيلمانها وولاتها وجنودها، فى حمل الفقهاء على الاعتقاد بأن القرآن مخلوق!! ولولا تدخل الدولة لظل الجدال بين المعتزلة وأهل السنة مجرد مقارعة حجة بحجة، وبرهان ببرهان، وما كان يمكن أن يتحول الجدل إلى تعذيب وتنكيل بأحد، طالما كان الفريقان المختصمان مجردين من كل سلطة دنيوية، تمكن أحدهما من اضطهاد وجندل أتباعه)(٢).

اضطهاد الأقليات الإسلامية:

ولا يفوتنا، فى هذه العجالة، توجيه الأنظار إلى الأقليات الإسلامية فى بلدان العالم ففى عالمنا المعاصر (يعيش أكثر من ثلاثمائة مليون مسلم «إحصائية عام ١٩٩٠م» منتشرون أقليات بين جزر اليابان شرقًا وخليج البحر الكاريبى غربًا.. وعلى الرغم من أنهم يمثلون (ثلث) تعداد العالم الإسلامى -تقريبًا- فإنهم يعيشون فى بحر متلاطم الأمواج.. فمعظمهم «أقليات مضطهدة" تعتصرها تيارات مختلفة.. تُشن عليها حروب مستترة ومعلنة.. تهدف إلى عزلها.. أو تصفيتها وسط شعوب -ليس من مبادئها- احترام الأقليات المستضعفة.. كما تحض مبادئ الإسلام أن الإسلام -وليس

(١) د. توفيق الطويل (قصة الاضطهاد والدين فى المسيحية والأسلام ص١٥ الزهراء للإعلام العربى بالتاحرة ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

(٢) قصة الاضطهاد الديني: ص١٦.

وأبدى الدكتور الطويل عجبه من وصف المأمون للإمام أحمد بن حنبل بأنه من حشو الرعية وأهل جهالة بالله تعالى وعمى عنه، بينما الإمام أحمد أعلم أهل الأرض بالإسلام فى عصره!





المسلمون- هو الذى أعطى هذه الحياة الآمنة . . لكل الأقليات المسيحية وغير المسيحية التى تعيش داخله . .)[١] .

وكان إعلان الحرب على (الإرهاب) أكثر شؤمًا على الأقليات الإسلامية فى بلاد العالم، فباسم هذه الحرب أخذت الولايات المتحدة تعمل جنبًا إلى حيث (مع أكثر الحكومات الإسرائيلية قسوة ويمينية . وإضافة إلى ذلك استفاد قادة روسيا والهند **والصين والفلبين من الحرب على الإرهاب للانقضاض على الأقليات المسلمة فى بلادهم)**[٢] .

ومجال المقارنة بين هذا الإرهاب اللا إنسانى فى بطشه وجبروته، وبين المعاملة الإنسانية الكريمة التى لاقاها المسيحيون فى ظل الخلافة العثمانية، يحتاج إلى مؤلف خاص، ولكن نكتفى بملاحظة واحدة نختارها من عشرات الملاحظات الدالة على تسامح الإسلام ودوله، فقد جاء بنص البند الثانى عشر من معاهدة (زشتوى) ما نصه :

(أما بخصوص إجراء أصول الدين الكاثوليكى المسيحى فى الدولة العثمانية وحرية قسوسه والمتمسكين به، وحفظ وإصلاح كنائسه وحرية التعبد والمتعبدين، والتردد إلى الأماكن المقدسة بأورشليم وغيرها، وحماية هذه الأماكن والحج إليها فإن الباب العالى السلطانى يجدد ويؤيد تبعًا لقاعدة إرجاع كل أمر إلى **ما كان عليه جميع الامتيازات** الممنوحة للدين الكاثوليكى . . إلخ)[٣] .

ومن تعليقات الأستاذ محمد فريد قوله **(قد علم المطالع من سياق هذا الكتاب إن الدولة العلية كانت كلما فتحت إقليمًا اكتفت من أهله بالخراج غير متعرضة لهم فى دينهم أو لغتهم أو عوائدهم)**[٤] .

---

(١) حامد سليمان (مسلمون لا تغرب عنهم الشمس) ص المقدمة ط المكتب العربى للمعارف -مصر الجديدة سنة ١٩٩٠م .

(٢) رجب البنا (صناعة العداء للإسلام) ص٤٢٢ ط دار المعارف بمصر سنة ٢٠٠٤م .

(٣) محمد فريد (تاريخ الدولة العليا العثمانية) ص١٧٨ مكتبة الآداب بالقاهرة سنة ١٩٩٧م .

(٤) نفسه ص٢٠٦ ومحمد فريد هو الرجل الثانى للحزب الوطنى برئاسة الزعيم مصطفى كامل .





• الفصل الثالث

الإسلام دين سلام(*)

يقول الأستاذ فتحى رضوان:

والخصائص التى تجعل من الإسلام، دين سلام، كثيرة، ولكن من أهمها :

أولاً: الإيمان بالله الواحد، متجرد من جميع الحدود التى تجعله (إله) قبيلة، أو أمة، أو جنس، أو دين فهو فوق الزمان والمكان، وهو أزلى وأبدى وهو خالق كل شىء، وكل شخص.

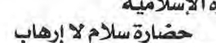
ثانيًا: الإيمان بالبشرية ككل لا يتجزأ، والإعلاء من شأن الإنسانية، وتكريمها، والإعلاء من قدر جهادها فى سبيل التسامى، والعلم، والتحرر من ضعفها، وذلها، وخوفها.

ثالثًا: احترام الأديان الأخرى، وتمجيد الرسل الذين سبقوا رسول الإسلام، ﷺ، واعتبار اليهودية والمسيحية (قبل تحريفهما) والإسلام، دينًا واحدًا، تتسلسل حلقاته، وتتابع خطواته ويتعدد أنبياؤه، ولكنه فى نهاية الأمر عقيدة واحدة، وبعبارة أخرى **يدعو الإسلام إلى التعايش بين العقائد ويطبقه.**

رابعًا: ينظم الإسلام كل عام، مؤتمرًا ضخمًا يضم أشتاتًا من البشر، من كل فج فى العالم، من آسيا، وأفريقيا وأوروبا، وأمريكا، من البيض والسود، والحمر والصفر، من الفقراء والأغنياء، والحكام والمحكومين ويجردهم جميعًا من ثيابهم، ومظاهر عظمتهم، وشارات ومميزات شعوبهم، فيؤكد الجامعة الإنسانية ويبذر بذورها كل عام.

خامسًا: يحرم إكراه الغير على الدين ويحدد استعمال القوة، وينظمها بما يضيّق من نطاق شرها.

(*) وقد أصاب الدكتور هوستن سميث الحقيقة فى وصفه للإسلام بأنه (ذلك الدين الذى مثله الأعلى يظهر فى نفس التحية الأساسية «السلام عليكم» أى ليحل السِّلم والأمان عليكم)، ص٥١٦ من كتابه (أديان العالم).



سادسًا: يدعو إلى مقاومة الأذى بالصفح، والعنف بالرحمة، ويعتبر ذلك خيرًا وأبقى)[١] .

وقد اختار الإسلام طريق نشر دعوته بالرفق وبالحكمة والموعظة الحسنة، واحتمل فى سبيلها، ما لم تحتمله دعوة من قبل، ولم يرد على العنف بمثله، ولم يصلح الشرير بليّ ذراعه، أو جدع أنفه، حتى تزلزل تحت أقدام السادة القدامى، أساس سلطانهم، وهرع الناس إلى الدين الجديد، فلما أحس ذوو السلطان فى العالم، الأباطرة والأكاسرة بخطر الدعوة الجديدة، وجيشوا للقضاء عليها الجيوش، رأت هذه الدعوة، أنها لابد أن تقابل القوة بالقوة، ولكن بعد أن وضعت لاستعمال القوة ضوابط ومعايير، حتى لا يفلت منها القياد، فتصبح القوة عنوان حياة الناس، وقانون وجودهم. فاستعمال القوة لابد أن يكون من قبيل استعمال الجرّاح للمبضع، فلا يباح البتر إلا عند اليأس من العلاج، ولا يستساغ القطع إلا مع الاحتياط الذى يخفف الألم، ويقلل الخسارة، ويأذن بإعادة الأمر إلى ما كان عليه بقدر الإمكان.

وقد ثبت حينما انتشر الإسلام فى جنوب شرق آسيا، وفى شرقى، وغربى أفريقيا، فإن الذين نقلوا الإسلام فى هذه البقاع، تجارًا، فيأخذ الناس عنهم طواعية واختيارًا الإسلام ويدخلون فيه ذرافات، وقد بلغت عدة المسلمين فى هذه البقاع نحو ثلثى المسلمين فى العالم كله، مما **يقطع بأن الإسلام كعقيدة ليس فى حاجة إلى قوة تظلّه** لينتشر ويستنصر الأنصار[٢].

ويقول جارودى:

(إن انتشار الإسلام لا يشابهه أى انتشار سبقه أو أتى بعده من غزوات كانت تقام. أو من احتلال عسكرى من الغرب، لا من قديم ولا من جديد، كالذى كان يحدث فى غزوات كانت تقوم بها بدو آسيا، من احتلال قام به الأوربيون لغزو البلاد الضعيفة بالمدفع والبندقية والرشاش)[٣] .

---

(١) فتحى رضوان (مع الإنسان فى الحرب والسلام) ص٣٨/ ٣٩ دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٤م.
(٢) نفسه ص٥٠، ص٥٦.
(٣) روجيه غارودى (الإسلام دين المستقبل) ص٢٤ ترجمة عبد المجيد بارودى ط دار الإيمان. بيروت/ ودمشق سنة ١٩٨٣م.



ثم يصف الجزيرة العربية التى لم تكن آهلة بالسكان، ولم يمتلك العرب من الأسلحة ومن التقنيات العسكرية ما كان فى بلاد فارس أو بيزنطة **لنعلل سرعة انتشار الإسلام بقوة السلاح**.

كذلك يستبعد ظهور رسالة الإسلام بالتعليل الماركسى الضيق والذى يبحث عن سبب التاريخ وثوراته وتحولاته بناء على العلاقات الاقتصادية وصراع الطبقات التى تنشأ عنها.

ويقرر بعد ذلك أن انتصار الإسلام لا يمكن فهمه إلا بالاعتراف بأن أمته قامت على أساس الإيمان، فإن ظهور النبى محمد ﷺ، وانتصاره فى الجزيرة العربية والتقدم اللامع الذى حققه خلفاؤه أيضًا من بعده، والذى سيطر بعد وفاته بأقل من قرن على غالبية العالم المعروف، ما عدا جزءًا من أوروبا التى كانت فى حالة سبات، وجزءًا آخر من الصين الصاعدة نحو قمتها، (لا يمكن فهمه دون الاعتراف بالمكانة الأولية للرسالة الإسلامية المميزّة)(١).

ويقول أيضًا (إن انتشار الإسلام لم يتخذ شكل الغزو ولا حتى شكل الاستعمار، فتأثير التّجار المسلمين وتأثير عقائد الإسلام وإرسال بعض القادة العرب، وأخيرًا سياسة الأمير الأموى عبد الرحمن الداخل فى إسبانيا سنة ٧٥٦م كان له الأثر الحاسم فى نشر الإسلام)(٢).

ويقول فون هامر أحد الألمان من مترجمى القرآن الكريم:

(القرآن ليس دستور الإسلام فحسب، وإنما هو أيضًا ذروة البيان العربى فسحر اللغة العظيم، يشهد على أن القرآن الكريم هو وحى من الله تعالى وأن محمدًا ﷺ **لم ينشر سلطانه على قومه بالسيف، بل نشره فى المقام الأول بإعجاز الخطاب**، فالكلمة الحية التى فاقت القصائد السبع المعلقة على جدار الكعبة، لم يكن من الممكن أن تكون ثمرة

---

(١) نفسه ص٢٤.
(٢) نفسه ص٤٤.



قريحة بشرية، بل تحتم أن تكون كلمة نُطقت وكُتبت منذ الأزل فى السماء، ومن هنا فإن القرآن هو وحى الله عز وجل[1].

ويقول السير توماس أرنولد (تحت عنوان: **تسامح العرب وعهودهم**): أما ولايات الدولة البيزنطية، التى سرعان ما استولى عليها المسلمون ببسالتهم فقد وجدت أنها تنعم بحالة من التسامح لم تعرفها طوال قرون كثيرة بسبب ما شاع بينهم من الآراء اليعقوبية والنسطورية، فقد سمح لهم أن يؤدوا شعائر دينهم دون أن يتعرض لهم أحد، اللهم إذا استثنينا بعض القيود التى فرضت عليهم منعًا لإثارة أى احتكاك بين أتباع الديانات المتنافسة، أو إثارة أى تعصب ينشأ عن إظهار الطقوس الدينية فى مظهر المفاخرة حتى لا يؤذى ذلك الشعور الإسلامى. ويمكن الحكم على مدى هذا التسامح -الذى يلفت النظر فى تاريخ القرن السابع- من هذه العهود التى أعطاها العرب لأهالى المدن التى استولوا عليها وتعهدوا لهم فيها بحماية أرواحهم وممتلكاتهم، وإطلاق الحرية الدينية لهم فى مقابل الإذعان ودفع الجزية)[2].

وما وجدنا ما نعلّق على سماحة الإسلام أفضل مما كتبه الشيخ محمد الغزالى رحمه الله تعالى ببحثه تحت عنوان (**هل أضرّت بالمسلمين سماحتهم)؟**

وختمه بقوله (إننى أكره التعصب، وأحّس المرارة التى ذاقها المستقدمون والمتأخرون من لوثاته.. وكيف لا نكره التعصب، ونحن -المسلمين- أشد الأمم تعرضًا لآثامه وآلامه؟!

إلا أننا -وإن كرهنا التعصب- ننبّه إلى منقصة شر منه، ونعنى بها: جحود السماحة واستضعاف صاحبها الكريم السهل..

أليس مما يخص الإنسان به أن ثلاثمائة وألف من السنين تمر على الأقلية اليهودية فى بلاد المسلمين، فلا تضار فى مال ولا ولد، ويمر عليها هذا الدهر الطويل فى بلاد النصرانية وهى تطارد من بلد إلى بلد.. ثم ماذا يكون العقبى؟؟

(١) كاتارينا مومزن (جوته والعالم العربى) ص٢٩٧ ترجمة د. عدنان عباس على سلسلة (عالم المعرفة) الكويت رمضان ١٤١٥هـ/ فبراير سنة ١٩٩٥م.

(٢) أرنولد (الدعوة إلى الإسلام: بحث فى تاريخ نشر العقيدة الإسلامية) ص٧٤.

أما جزاء المطاردين فقد ترك اليهود بلادهم هاربين .

وأما السمحاء الأخيار فقد أقبل اليهود على بلادهم هاجمين .

كأن جزاء التعصب أن يسلم أصحابه من العدوان ، وجزاء الاعتدال أن يتحمل أصحابه الهوان ! ![1]

وقياسًا على ذلك -وبمفهوم المخالفة- لنقارن ذلك ما يحدث فى أروقة الفاتيكان فى عصرنا الحاضر -عصر التقدم والحضارة- من محاولة **محاصرة (الإسلام واقتلاعه)** .

وهذه النتيجة استخلصتها الدكتورة زينب عبد العزيز من متابعتها اليقظة للمصالحة التى تمّت بواسطة الفاتيكان عام ١٩٦٥ لتبرئة اليهود من دم المسيح ، وكانت مصالحة سياسية لتدعيم الكيان الصهيونى فى فلسطين المحتلة بناء على المخطط الذى اتخذ فى المجمع الفاتيكانى المسكونى الثانى عام ١٩٦٥ .

وأتى البابا يوحنا بولس الثانى ليتولى تنفيذه بالتضافر مع المخابرات المركزية الأمريكية والموساد : وهو ضرب الإسلام فى التسعينيات ، وتنصير العالم تحت لواء كاثوليكية روما عند بداية الألفية الثالثة)[2] .

وفى مقدمة كتابها **(تنصير العالم)** تقول الدكتورة زينب عبد العزيز (وتتم الآن محاولة اقتلاع الإسلام على الصعيد العالمى ، وإن كان بحجج ووسائل مختلفة ، الأمر الذى يفسر التباطؤ الرهيب فى حل مشكلة البوسنة ، خاصة إذا قورنت بالسرعة الخاطفة

---

(١) محمد الغزالى (التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام : دحض شبهات ورد مفتريات ص٢٣٦ .
وفى موضع آخر يقول (ورأينا اليهود الذين سمح المسلمون ببقائهم فى فلسطين يتحولون إلى دولة لا تعيش إلا على أنقاض المسلمين) ص٢٤٠ .
ويصور آخر مظاهر الأضغان الكامنة تألب الصليبية العالمية مع اليهود على طرد المسلمين من فلسطين ، ويتعجب كيف ابتلع النصارى طعن اليهود فى شرف مريم ونسب ابنها ، وتصافح الفريقان ليواجها المسلمين جميعًا بحرب شعواء تذر الألوف المؤلفة من العرب البائسين يخرجون من ديارهم ليقتلهم الجوع والعراء ص١٨٠ .
(٢) د. زينب عبد العزيز (تنصير العالم ، مناقشة لخطاب البابا يوحنا بولس الثانى) ص٨٩ و ص١٠٤ دار الوفاء بالمنصورة ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م .



لدى القوى العسكرية والمدنية بالعراق، ويفسر نفس التباطؤ فى نزع الكيان الصهيونى من فلسطين المحتلة، كما يفسر ذلك الصمت الحضارى المخزى حيال تهديد المنشآت الإسلامية الواقعة فى الساحات التى تدور عليها هذه المؤامرات)[1].

وتتساءل فى موضع آخر من كتابها (تُرى هل ما قامت به الكنيسة منذ نشأتها ضد أتباعها المنشقينّ، وما قامت به ضد الإسلام منذ ظهوره وبداية انتشاره بل وما تقوم به حاليًا من محاصرة وإبادة الإسلام والمسلمين[2]؟!

الإسلام دين رسالة:

إذا وصفنا الأمة الإسلامية بأنها أمة دعوة إلى الله عز وجل لهداية بنى آدم وأن دينها دين رسالة بالحكمة والموعظة الحسنة، فإننا نستند إلى بيان فطرية عقيدة الإسلام، ونسترجع تاريخ حضارته التى عم فيها العدل فى أنحاء المعمورة. وقد سجل بعض تلك الملامح السيرتوماس أرنولد، العالم البريطانى بكتابه (الدعوة إلى الإسلام: بحث فى تاريخ نشر العقيدة الإسلامية)، ومهّد لذلك بقوله تحت عنوان (الإسلام دين رسالة):

(وإن الذى دفع المسلمين إلى أن يحملوا رسالة الإسلام معهم إلى شعوب البلاد التى دخلوها، وجعلهم ينشدون لدينهم بحق مكانًا بين ما نسميه أديان الرسالة، لهى حماسة من ذلك النوع، من أجل صدق عقيدتهم. وليس موضوع هذا الكتاب إلا صورة من تاريخ ظهور هذه الحماسة فى تبليغ الدعوة ودوافعها وألوان نشاطها وإن انتشار مائتى مليون مسلم فى الوقت الحاضر (أى عند تأليفه للكتاب) سنة ١٩٣٠م لهو الشاهد على ما كان لهذه الحماسة من أثر خلال الثلاثة عشر قرنًا التى تلت ظهور الإسلام)[3].

وكان ظهور مبادئ هذه العقيدة للعرب فى القرن السابع الميلادى على يد النبى العربى -محمد ﷺ- الذى انضوى تحت لوائه شتى القبائل العربية فأصبحت بذلك أمة

---

(١) المقدمة ص٧.

(٢) نفسه ص٦٥، ٦٦ ولها أيضًا كتاب تحذيرى هام بعنوان (محاصرة... وإبادة. موقف الغرب من الإسلام).

(٣) سيرتوماس. و. أرنولد (الدعوة إلى الإسلام: بحث فى تاريخ نشر العقيدة الإسلامية) ص٢٥ ترجمة د. حسن إبراهيم ود. عبد المجيد عابدين وإسماعيل النحراوى ط٢ مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٧م.



واحدة، ثم تدفقوا يفتحون البلاد، وكان أسبق البلاد إلى الدخول فى الإسلام هى سوريا وفلسطين ومصر وشمال أفريقية وفارس. وبعد انقضاء مائة عام على وفاة الرسول ﷺ (وصل أتباعه غربًا إلى إسبانيا وشرقًا إلى أن عبروا نهر السند، فما لبثوا أن وجدوا أنفسهم سادة على إمبراطورية أعظم من إمبراطورية روما فى أوج قوتها)[1]. بل إن ما يدعو للدهشة أنه فى الأوقات التى تطرّق فيها الضعف السياسى إلى قوة الإسلام، نرى أنه حقق بعض غزواته الروحية الرائعة بسبب سطوة عقيدته على النفوس البشرية. (فهناك حالتان تاريخيان كبريان، وطىء فيهما الكفار من المتبربرين بأقدامهم أعناق أتباع الرسول ﷺ، أولئك الأتراك السلاجقة فى القرن الحادى عشر، والمغول فى القرن الثالث عشر، وفى كلتا هاتين الحالتين نرى الفاتحين يعتنقون ديانة المغلوبين!)[2]!

ويعلّل ذلك بأن الإسلام قام على مبادئ واضحة بسيطة لا تقبل الجدل، وقدم مزايا مادية جليلة، فكان سببًا فى انتشاره بسرعة فى أفريقية وآسيا، وتفصيل ذلك يرجع إلى أن (أئمة اللاهوت فى أفريقية والشام قد استبدلوا بديانة المسيح عليه السلام عقائد ميتافيزيقية عويصة، ذلك أنهم حاولوا أن يحاربوا ما ساد هذا العصر من فساد بتوضيح فضل العزوبة فى السماء وسمو البكورية إلى مرتبة الملائكة، فكان اعتزال العالم هو الطريق إلى القداسة، والقذارة صفة لطهارة الرهبنة، وكان الناس فى الواقع مشركين يعبدون زمرة من الشهداء والقديسين والملائكة، كما كانت الطبقات العليا مخنثة يشيع فيها الفساد، والطبقات الوسطى مرهقة بالضرائب، ولم يكن للعبيد أمل فى حاضرهم ولا مستقبلهم. فأزال الإسلام، بعون من الله، هذه المجموعة من الفساد والخرافات. لقد كان ثورة على المجادلة الجوفاء فى العقيدة، وحجة قوية ضد تمجيد الرهبانية باعتبارها رأس التقوى.

ولقد بيّن أصول الدين التى تقول بوحدانية الله وعظمته، كما بيّن أن الله رحيم عادل يدعو الناس إلى الامتثال لأمره والإيمان به وتفويض الأمر إليه. وأعلن أن المرء مسئول، وأن هناك حياة آخرة ويومًا للحساب، وأعد للأشرار عقابًا أليمًا، وفرض الصلاة والزكاة والصوم وفعل الخير، ونبذ الفضائل الكاذبة والرجل الدينى والترهات والنزعات الأخلاقية الضالة وسفسطة المتنازعين فى الدين، وأحل الشجاعة محل

---

(١) نفسه ص ٢٦

(٢) نفسه ص ٢٦ .



الرهبنة، ومنح العبد رجاءً، والإنسانية إخاءً، ووهب الناس إدراكًا للحقائق الأساسية، التى تقوم عليها الطبيعة البشرية)(1).

قامت الدعوة للإسلام على أساس الإقناع:

ويعلل أيضًا السير أرنولد انتشار الإسلام فى تلك الرقعة الفسيحة من الأرض إلى أسباب شتى، أما أقواها -وهى التى أدت إلى النتيجة العظيمة، تلك هى الأعمال المطردة التى قام بها دعاة المسلمين، ووقفوا حياتهم على الدعوة إلى الإسلام، متخذين من هدْى الرسول ﷺ مثلاً أعلى وقدوة حسنة.

ثم يقرر أن القرآن الكريم يأمر بالدعوة والإقناع وينهى عن الإكراه، ويرى ذلك واضحًا فى هذه الآيات القرآنية التى رتبها بحسب تاريخ نزولها:

قال تعالى: }أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن) [16/ 126].

وإن الذين أوتوا الكتاب من بعدهم «أى اليهود والنصارى» لفى شك منه مريب فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير ٤٢ آية ١٣٧/ ١٤.

وفى الآيات المدنيّة أيضًا نجد مثل هذه التعاليم، وقد نزلت على محمد ﷺ بعد أن أصبح على رأس -جيشه الكبير وفى ذروة سلطاته.

قال تعالى: ﴿ **وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ** ﴾ [آل عمران: ٢٠].

﴿ **كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** (١٠٣) **وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [آل عمران: ١٠٣، ١٠٤].

---

(١) نفسه ص٩٠.

﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلا يُنَازِعُنَّكَ فِي الأَمْرِ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ (٦٧) وَإِن جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الحج: ٦٧].

ثم يستطرد المؤلف قائلاً[1]: وهذه آيات ننقلها من سورة قيل إنها كانت آخر ما نزل من السور ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ﴾ [التوبة: ٦].

وهكذا كان للإسلام منذ بدء ظهور دين دعوة، من الناحية النظرية والناحية التطبيقية.

وقد كانت حياة محمد ﷺ تمثل هذه التعاليم ذاتها، وعلينا أن نلتمس الأدلة على روح الدعوة الإسلامية فى تلك الأعمال الوديعة الهادئة، التى قام بها الدعاة، وأصحاب المهن، الذين حملوا عقيدتهم إلى كل صقع من الأرض.. ولقد جاء القرآن الكريم مشددًا فى الحض على هذه الطرق السلمية فى غير آية منه، ومثال ذلك[1]:

﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً (١٠) وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً ﴾ [المزمل: ١٠].

﴿ إِلاَّ بَلاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالاتِهِ ﴾ [الجن: ٢٢].

﴿ قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [الجاثية: ١٤].

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ ﴾ [النحل: ٣٥].

(١) نفسه ص٢٨.

ويضيف الدكتور محمد يوسف موسى -رحمه الله تعالى- بأن الإسلام ليس دينا مغلقًا على شعب واحد أو أمة واحدة، بل هو دين مفتوح لكل من يطلب الحق ويؤمن به، هو دين عالمى للناس جميعًا فى كل العصور، وقد قدّمنا شواهد من القرآن على هذه الحقيقة التى لا يسع أحدًا إنكارها، ص٢٦٩ من كتابه (الإسلام وحاجة الإنسانية إليه)، مكتبة الفلاح بالكويت ج٣ ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م.

﴿ وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [النحل : ٤٦] .

﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلاغُ ﴾ [الشورى : ٤٨] .

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ﴾ [يونس : ٩٩] .

﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس : ٩٩] .

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ : ٢٨] .

ولم تكن هذه التعاليم مقصورة على السورة المكية وإنما وردت أيضًا بكثرة فى الآيات المدنية كقوله تعالى : ﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ [البقرة : ٢٥٦] .

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ ﴾ [التغابن : ١٢] .

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الحج : ٤٩] .

﴿ وَلا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ المائدة : ١٣] .

ثم يبيّن السير أرنولد أن الغرض من كتابه هو بيان كيف تحقق هذا المثل الأعلى فى التاريخ وكيف كان أئمة الإسلام يطبقون مبادئ نشاط الدعوة فى أنحاء العالم . ويذكر أيضًا ندرة الحالات التى استعملت فيها القوة لإدخال الناس فى الدين الإسلامى مما يجده مفرقًا فى التاريخ الإسلامى ، ولا يغفل مقارنة ذلك بما ورد بتاريخ التعميدات المسيحية مثل ما فعله القديس ويليهاد والقدّيس ليودجر بين السكسونيين الوثنيين ، وبما كان يفرضه شارلمان بحد السيف ، وكذلك الملك كنوت الذى استأصل الوثنية من ممتلكاته بالقوة والإرهاب[1] . ويضرب أيضًا على ذلك أمثلة كثيرة ، ويذكر بعض

---

(١) نفسه ص ٣٠ .



الأسماء، ومنها جماعة (إخوان السيف) وغيرهم من الصليبيين، الذين أدوا رسالتهم بالسيف والنار.. كذلك الملك أولاف الذى كان يقوم بذبح هؤلاء الذين أبوا الدخول فى المسيحية، أو بتقطيع أيديهم وأرجلهم، أو ينفيهم ويشردهم، وكانت وصية القديس لويس تقول (عندما يسمع الرجل العامى أن الشريعة المسيحية قد أسىء إلى سمعتها، فإنه لا ينبغى ألا يذود عن تلك الشريعة إلا بسيفه **الذى يجب عليه أن يطعن به الكافر فى أحشائه طعنة نجلاء**)(١).

وكان السير أرنولد حريصًا فى كتابه على تسجيل تغليب روح تسامح المسلمين، وضرب على ذلك أمثلة: منها بقاء الكنيسة المسيحية الوطنية فى شمال أفريقية بعد الفتح العربى أكثر من ثمانية قرون لشاهد على روح التسامح التى استطاعت وحدها أن تجعل مثل هذا البقاء أمرًا ممكنًا.. ويقول أيضًا (**إن علاقات الأتراك برعاياهم المسلمين** قائمة على التسامح)، كذلك يثبت أنه بالرغم من التعصب الدينى فى عهد دولة المرابطين التى تولت حكم الأندلس، ولكنها كانت استثناءً للتسامح الدينى الذى اتسم بذلك الطابع الذى عرف به أمراء المسلمين نحو رعاياهم من المسيحيين.. ويستخلص من تلك الوقائع أن (**الفكرة التى شاعت بأن السيف كان العامل فى تحويل الناس إلى الإسلام بعيدة عن التصديق**)(٢).

وقد قرر ذلك بعد دراسته لتاريخ الدعوة الإسلامية فى أقطار العالم، قائلاً فى نهاية كتابه (وقد بينا فى الصفحات السابقة أن نظرية العقيدة الإسلامية تلتزم التسامح وحرية الحياة الدينية لجميع أتباع الديانات الأخرى، أولئك الذين يؤدون الجزية كفاء حمايتهم. وعلى الرغم من أن صفحات التاريخ الإسلامى قد تلوثت بدماء كثير من الاضطهادات القاسية، ظل الكفار، على وجه الإجمال، ينعمون فى ظل الحكم الإسلامى بدرجة من التسامح لم نكن نجد لها مثيلاً فى أوروبا حتى عصور حديثة جدًا. وإن التحويل إلى الإسلام عن طريق الإكراه محرم، طبقًا لتعاليم القرآن ﴿ **لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ** ﴾ [البقرة:

(١) نفسه ص٣١، ٣٢ ويعلّق المؤلف على ذلك بما حدث فى تاريخ الإسلام والمسيحية بأنها حالات استثنائية..

(٢) نفسه ص٨٨ ويُنظر صفحات ١٤٤، ١٦٧، ١٧٠.



٢٥٦]. ﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٩٩) وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [٩٩، ١٠٠]. وأن مجرد وجود كثير جدًا من الفرق والجماعات المسيحية فى الأقطار التى ظلت قرونًا فى ظل الحكم الإسلامى، لدليل ثابت على ذلك التسامح الذى نعم به هؤلاء المسيحيون، كما يدل على أن الاضطهادات التى كانوا يُدعون إلى معاناتها بأيدى الطغاة والمتعصبين، إنما كانت ناتجة من بعض ظروف خاصة وإقليمية، أكثر من أن تكون منبعثة عن مبدأ مقرر من التعصب)[(١)].

ويرى السير أرنولد أيضًا أنه مما ساعد على سرعة انتشار الإسلام بهذه الصورة العجيبة أن تعاليمه واضحة ومفهومه إذ تقوم على الوحدانية، وبساطة عقيدته (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، وكل ما يطلب من الذى يدخل فى الإسلام قبول هاتين الشهادتين[(٢)] ويستشهد برأى البروفسور مونتيه الذى يقول (الإسلام فى جوهره دين عقلى، بأوسع معانى هذه الكلمة من الوجهتين الاشتقاقية والتاريخية. فإن تعريف الأسلوب العقلى بأنه طريقة تقيم العقائد الدينية على أسس من المبادئ المستمدة من العقل والمنطق، ينطبق عليها تمام الانطباق. والحق أن محمداً ﷺ كان متحمسًا لدينه، كما كان يمتلك غيرة الإيمان. . .

وتتلخص العقيدة الإسلامية من وجهة نظر المؤمنين فى الاعتقاد بوحدانية الله ورسالة نبيه ﷺ، أما من وجهة نظرنا نحن الذين نحلل عقائده تحليلاً لا روح فيه، فنعتقد فى الله وفى الحياة الآخرة. وهذان المبدآن هما أقل ما ينبغى للاعتقاد الدينى، وهما أمران يستقران فى نفس الرجل المتدين على أساس ثابت من العقل والمنطق، ويلخصان كل تعاليم العقيدة التى جاء بها القرآن، وإن بساطة هذه التعاليم ووضوحها فهى على وجه التحقيق من أظهر القوى الفعالة فى الدين وفى نشاط الدعوة إلى الإسلام)[(٣)].

كذلك نجد أداء الصلوات الخمس كل يوم على جانب عظيم من التأثير سواء فى جذب الناس أو الاحتفاظ بالمسلمين منهم. وقد أحسن مونتسكيو فى قوله (إن المرء

---

(١) نفسه ص٤٦١/ ٤٦٢.
(٢) نفسه ص٤٥٤.
(٣) نفسه ص٤٥٥.



لأشد ارتباطًا بالدين الحافل بكثير من الشعائر، منه بأى دين آخر أقل احتفالاً بالشعائر، وذلك لأن المرء شديد التعليق بالأمور التى تسيطر دائمًا على تفكيره)[1] أن دين المسلم يتمثل دائمًا فى مخيلته، وفى الصلوات اليومية، يتجلى هذا الدين فى طريقة نسكية خاشعة مؤثرة لا تستطيع أن تترك العابد والمشاهد -كليهما- غير متأثرين. ومما يؤكد ذلك ما تحدث به -سعيد بن الحسن- أحد يهود الإسكندرية، الذى اعتنق الإسلام فى سنة ١٢٣٨م، عن مشهد صلاة الجمعة فى مسجد باعتباره عاملاً حاسمًا فى تحوله للإسلام. فى خلال مرض شديد كان قد انتابه، رأى فى المنام أن صوتًا يأمره بأن يجهر بالإسلام وقال: وعندما دخلت المسجد ورأيت المسلمين يقفون صفوفًا كأنهم الملائكة، سمعت هاتفًا يقول: هذه هى الجماعة التى أخبر الأنبياء صلوات الله عليهم بقدومها.

ولما ظهر الخطيب مرتديًا عباءته السوداء، استولى على شعور عميق من الرهبة... ولما ختم خطبته بقوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِى الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾ [النحل: ٩٠].. ولما بدأت الصلاة أحسست بقوة تدفعنى إلى النهوض، لأن صفوف المسلمين بدت أمامى كأنها صفوف الملائكة، الذين يتجلى الله القدير فى سجداتهم وركعاتهم، ثم سمعت هاتفًا يهتف بى (إذا كان الله قد تحدث مرتين إلى بنى إسرائيل فى كل العصور، فإنه يتحدث إلى هذه الجماعة فى كل وقت من أوقات الصلاة، وأيقنت فى نفسى أنى خلقت لأكون مسلمًا)[2].

---

(١) نفسه ص٤٥٨.

(٢) نفسه ص٤٥٨ ويستشهد بعبارة أتت على لسان رينان إذ يقول (ما دخلت مسجدًا قط، دون أن تهزنى عاطفة حادة، أو بعبارة أخرى، دون أن يصيبنى أسف محقق على أننى لم أكن مسلمًا).

هذا، وقد اتفقت معظم الصحف والمجلات الغربية فى السنين الأخيرة على حقيقة أن المستقبل السيادة فيه للدين وأن أنشط وأرجح الأديان لاستيعاب الناس هو الإسلام.. وقد أصدرت الندوة العالمية للشباب الإسلامى كتابًا بعنوان «قالوا عن الإسلام» يقع فى نحو ٥٠٠ صفحة ويحتوى على شهادات منصفة فى حق الإسلام والقرآن الكريم والرسول ﷺ صدرت عن أعلام معظمهم من غير المسلمين فيهم السياسى والأديب والشاعر والعسكرى والطبيب والمهندس من الرجال والنساء، ص٤٨٥ من كتاب (المعجزة المتجددة فى عصرنا.. الإسلام، بعض مظاهر انتشار الإسلام بعد أحداث ١١ سبتمبر فى العالم) بقلم صالح اليافعى- دار القدس صنعاء، دار الإيمان الإسكندرية ٢٠٠٤م.







● الفصل الرابع

أزمة الإنسان الغربى الروحية وعلاجها

فكثيراً ما نقرأ عن صفات وملامح العصر الحديث، فيوصف بأنه عصر العلم والتقدم التكنولوجى، ولـمّا كان الغرب هو صاحب اليد الطولى على العالم اليوم فإن مقاييس التقدم والتأخر أصبحت ملازمة للمقارنة بين شعوبه فى أوروبا وأمريكا وبين شعوب باقى العالم فى أفريقيا وآسيا.

وفى ظل فتنة الازدهار العلمى التى تبهر العيون وتأخذ بالألباب فى وسائل الحياة الحديثة بما توفره من مساعدات للإنسان فى حياته، إذ تختصر له المسافات بالسفر براً وبحراً وجواً، وتقدّم له آخر المبتكرات فى علوم الطبيعة والكيمياء، والطب وغيرها لتذلّل له العقبات ولتصبح حياته أكثر سهولة، وتوفر له من الفنون المتع والشهوات الحسية والعقلية.

وباختصار: تلك هى الصورة الفاتنة لحضارة العصر التى لها السيطرة على العالم، إذ تخطت حدودها من الغرب إلى الشرق وأصبح العالم كله متغربًا فى مظاهره وعاداته وملابسه وطغى طابع المظهر الغربى على العالم باستثناء استمساك بعض الشعوب التى لها تاريخ عريق بعقائدها وعاداتها كالهند واليابان ومجاهل أفريقيا، ولكنها ظلت مختفية وراء ظاهرة تقليد الغرب، ولا تلجأ تلك الشعوب إلى طقوسها وعاداتها إلا فى المناسبات الدينية والوطنية، وفيما عدا ذلك فإنها تزاول حياتها وفق النمط الأوروبى التقليدى، بل تحاول أن تنافسه أحيانًا لتبدو أنها أكثر تقدمًا وأرقى حضارة.

ولكن إذا تقيدنا بالمصطلح الفلسفى فى التفكير الذى يميز بين الجوهر والعرض، اكتشفنا أن المظهر الحضارى -أى العرض بالنسبة لحضارة الغرب السائدة- يخالف جوهر هذا المظهر بشكل يثير الدهشة، بل يعكس صورة كئيبة مظلمة(١)، ومن ثم،

(١) يقول المفكر السياسى الأمريكى (باتريك بوكنان) بكتابه «موت الغرب»: إن الغرب استغرق فى الرفاهية المنذرة بالموت، وأن هناك تغييراً عميقاً غير مرئيًا فى الأفكار يحدث كل يوم..
مقال بعنوان(تفجيرات بروكسل وجردة حساب بسيطة) بقلم د/ هشام الحمامى مجلة «المختار الإسلامى» بالقاهرة جمادي الآخر ورجب سنة ١٤٣٧هـ، ومايو سنة ٢٠١٦م.





أصبح من واجب أمتنا.. ورسالتها كخير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، أصبح من واجبنا التقدم لإنقاذ حضارة العصر من ورطتها، وهو أيضًا الرد الحاسم على اتهامنا بالإرهاب، وذلك بشهادة من أسلموا من فلاسفة وعلماء الغرب عن يقين وتجربة، كما سنوضح(١):

وطريقنا المباشر إلى التعريف بأزمة الإنسان الغربى وتدهوره هى الالتجاء إلى آراء وتعليلات بعض الفلاسفة والعلماء الغربيين أنفسهم.

بعض آراء ألكسس كاريل:

يقول: إننا لا نفهم الإنسان ككل.. إننا نعرفه على أنه مكون من أجزاء مختلفة... وواقع الأمر إن جهلنا مطبق، ويعلل ذلك بأننا ما زلنا بعيدين جدًا من معرفة ماهية العلاقات الموجودة بين الهيكل العظمى والعضلات والأعضاء ووجوه النشاط العقلى والروحى، ويقرر أننا لا نستطيع منح أى فرد ذلك الاستعداد لقبول السعادة بطريقة صناعية، كما لا نستطيع أن نحول دون تدهور الإنسان وانحطاطه فى المدنية العصرية(٢).

ويصف المجتمع الحديث بقوله:

يكاد المجتمع الحديث أن يهمل الإحساس الأدبى إهمالاً تامًا.. بل لقد كبتنا مظاهره فعلاً.. فقد أشربنا جميعًا الرغبة فى التخلص من المسئولية. أما أولئك الذين يميزون الخير من الشر ويعملون ويتحفظون فإنهم يظلون فقراء وينظر إليهم بضيق وتأفف..

---

(١) لمزيد من الاطلاع يُرجع إلي المصادر الآتية كنماذج:

- كتاب المعجزة المتجددة فى عصرنا (الإسلام) بعض مظاهر انتشار الإسلام بعد أحداث ١١ سبتمبر دار القدس/ صنعاء. دار الإيمان/ الإسكندرية.
- سر إسلام هؤلاء (قساوسة ورهبان وعلماء ومشاهير) بقلم أشرف جمال (دار نون للدراسات بالقاهرة).
- سر إسلام (رواد الفكر الحر فى أوربا) إعداد وجمع محمد عبد العظيم على -دار المنارة- المنصورة.

(٢) ألكسيس كاريل (الإنسان ذلك المجهول) ص١٧/ ١٩ باختصار تعريب شفيق أسعد فريد مؤسسة المعارف، بيروت بدون تاريخ.

ويذكر كولن ولسن أن الإنسان فى الغرب فقد الشعور بالهدف الذاتى، وأصبح العصر فى رأيه (عصر اللامعنى) ففقدان المعنى والهدف يَجثم على الأدب والفن والفلسفة... وتعانى الثقافة الغربية الإنهيار والإنتكاس. ص ٢٠٢ من كتابه (ما بعد اللامنتهى. فلسفة المستقبل) ترجمة يوسف شرور وعمر يمق- دار الآداب بيروت سنة ١٩٨١م



والمرأة التى أنجبت عدة أطفال، وأوقفت نفسها على تعليمهم بدلاً من الاهتمام بمستقبلها الخاص تعتبر ضعيفة العقل.. وإذا ادخر رجل بعض المال لزوجته وتعليم أولاده سرق منه هذا المال بواسطة الماليين أصحاب المشروعات. أو أخذته الحكومة ووزعته على هؤلاء الذين نزل الفقر بساحتهم بسبب سوء تصرفهم وغفلتهم وقصر نظر أصحاب المصانع ومديرى المعارف والاقتصاديين.

إن الفنانين ورجال العلم يزودون المجتمع بالجمال والصحة والثروة.. وهم يعيشون ويموتون فى فقر، فى حين أن اللصوص يتمتعون بالرخاء فى وقت السلام، كما يحمى رجال البوليس رجال العصابات ويحترمهم القضاة.. إنهم الأبطال الذين يعجب الأطفال بهم فى السينما ويقلدونهم فى ألاعيبهم. أى أن للرجل الثرى كل الحقوق، ففى استطاعته أن ينبذ زوجته الطاعنة فى السن، ويهجر أمه المحتاجة لتقع فريسة الفقر ويسرق هؤلاء الذين أمنوه على أموالهم دون أن يفقد اعتبار أصدقائه. كما أن الشذوذ الجنسى آخذ فى الانتشار. بعد أن طرحت الآداب الجنسية جانبًا.. وأصبح المحللون النفسيون يستعرضون حياة الرجال والنساء الزوجية. ولم يعد هناك خلاف بين الخطأ والصواب والعدل والظلم. فالمجرمون يتمتعون بالحرية بين جمهرة من السكان، وليس هناك من يبدى اعتراضًا على وجودهم.. ولقد جعل القساوسة الدين شبيهًا بالتموين لكل فرد منه قسط معين، وحطموا الأسس الغامضة ولكنهم لم ينجحوا فى اجتذاب القوم العصريين ومن ثم فإنهم يعظون عبثًا أصحاب الأخلاق الضعيفة فى كنائسهم نصف الفارغة كل أسبوع.. إنهم قانعون بدور رجل البوليس الذى يؤدونه، فهم يساعدون الأغنياء ومصالحهم لكى يحفظون إطار المجتمع الحالى، أو يتملقون شهوات الجمهور مثلما يفعل الساسة.

إن الإنسان لا حول له ولا قوة حيال مثل هذه الهجمات السيكولوجية.. فهو مضطر بالضرورة إلى الاستسلام لجماعة فإذا عاش الإنسان فى رفقة المجرمين أو الحمقى فإنه يصبح مجرمًا أو أحمق.. والعزلة هى الأمل الوحيد فى الخلاص ولكن أين يجد سكان المدينة الجديدة العزلة؟ «إنك لن تستطيع أن تتقاعس فى داخل نفسك حسبما تريد، فإن أى تقهقر لن يكون أكثر سلامًا أو أقل متاعب من ذلك الذى يلقاه

الإنسان فى روحه» . هكذا قال ماركوس أوريليوس ، ولكننا عاجزون عن الإقدام على مثل هذا المجهود لأننا لا نستطيع أن نقاتل محيطنا الاجتماعى بنجاح .

ويرى أن عدم استقرار الحياة العصرية، والانفعال الدائم وانعدام الأمن يخلق حالات من الشعور تجلب الاضطرابات العصبية والعضوية للمعدة والأمعاء، والتهاب الكلى وما يصحبه من أمراض الكلى والمثانة إن هى إلا النتائج البعيدة لعدم التوازن العقلى والأدبى.

ويقترح العلاج ، لا فى تأمل جمال المحيط والجبال والسحب وروائع ما أنتجه الفنانون أو المبادئ السامية التى تمخضت عنها عقول الفلاسفة . . وإنما يجب أيضًا أن يكون الروح التى تكافح لبلوغ مثل أدبى عال ، وتبحث عن النور فى ظلمات هذا العالم ، وتسير قدمًا فى طريق الدين ، وتنبذ نفسها لكى تفهم الأساس الغير المنظور لهذا العالم .

ثم يحلل النشاط الروجى للمتعبدين ويقول (وقد يُحدث نشاط روحى معين تعديلاً تشريحيًا ووظيفيًا فى الأنسجة والأعضاء ، وتلاحظ هذه الظواهر العضوية فى ظروف مختلفة ، من بينها **حالة العبادة**)[1] .

ويعطى أهمية خاصة **للصلاة** إذ يرى أنها كما ينبغى أن تُفهم ، ليست مجرد تريد آلى للطقوس ، ولكنها ارتفاع لا يدركه العقل ، إنها استغراق الشعور فى تأمل مبدأ يخترق عالمنا يسمو عليه . . ويذكر أنه عن طريق الصلاة يقدّم الإنسان نفسه فيها إلى الله تعالى ، . . وهو يطلب منه جلّ جلاله أن يسبغ عليه رحمته[2] .

ويعدد الحالات التى تم فيها شفاء المرضى بتأثير الصلاة ويصفها بالمعجزة ، مقدمًا لعلماء النفس والأطباء الحقائق التى لوحظت خلال الخمسين عامًا الأخيرة ، ثم يقرر فى النهاية (أن لمثل هذه الحقائق مغزى عظيمًا ، فإنها تدل على حقيقة علاقات معينة ذات طبيعة ما زالت غير معروفة ، بين العمليات السيكولوجية والعضوية ، وتبرهن على الأهمية الواضحة للنشاط الروحى التى أهمل علماء الصحة والأطباء والمربون ورجال الاجتماع دراستها إهمالاً يكاد يكون تامًا . . إنها تفتح للإنسان عالمًا جديدًا)[3] .

ونستهدف من عرض خلاصة آراء الكسيس كارليل إبراز النشاط الروحى للإنسان أثناء العبادة واختراق المصلى العالم المحسوس ، كذلك اقتراحه للتغلب على حالة عدم

(١) نفسه ص ١٧٠ . (٢) نفسه ص ١٧١ . (٣) نفسه ص ١٧٣



الاستقرار فى الحياة العصرية أن تكافح الروح للبحث عن النور[1] فى ظلمات هذا العالم، وتسير قدمًا فى طريق الدين، ويقول بنص عبارته (وتنبذ نفسها لكى تفهم الأساس الغير المنظور لهذا العالم).

ولما كان هذا فوق طور العقل الإنسانى، فإن الأساس الغير المنظور لهذا العالم بحسب اصطلاحه هو فى الدائرة الإسلامية **(عالم الغيب)** الذى هو أهم ركائز إيمان المسلمين أى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، وخاتمهم نبينا محمد ﷺ الذى بعثه الله عز وجل شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا، ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا**﴾ [الأحزاب: ٤٥]. وكذلك الإيمان بالقدر خيره وشره واليوم الآخر والجنّة والنّار.

ومن الحقائق الجديرة بالإضافة ها هنا وصف الله عز وجل للرسول ﷺ بقوله: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾ [الأنبياء: ١٠٧] يقول السعدى فى تفسيره (فهو رحمته المهداة لعباده، فالمؤمنون به قبلوا هذه الرحمة وشكروها، وقاموا بها (ص٥٠٨ من تفسيره) مكتبة الصفا ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م).

وإن الدارس للتراث الإسلامى مع غزارته وتعدد موضوعاته وقضاياه، لا يعثر فيه على أى بادرة لمشكلات مستعصية وصلت بالمسلمين طوال تاريخهم إلى طريق مسدود كما نجده عند الكسيس كارليل الذى أزعجه بشدة مشكلات حضارية، وهو مشفق عليها فى سريانها بمجراها الحالى الآخذ فى التدهور والانحطاط، معللاً ذلك بأن[2] الحضارة العصرية تجد نفسها فى موقف صعب لأنها لا تلائمنا، فقد أُنشئت دون أية

(١) أما دوبا سكويه- الصحفى السويسرى المهتدى للإسلام فقد سجل قلقه وانزعاجه من حضارة العصر بقوله (يبدو أنه لا شيء على الأرض يمكنه الهروب من الأزمات التى تزلزل العالم الحديث، لا يكفى الحديث عن أزمة حضارة بعد أن اكتسبت الظاهرة أبعادًا عالمية ويبعث الظلام الوشيك شعورًا متزايدًا بعدم الاطمئنان)... ويصف تلك الحضارة بأنها تجهل البعد العلوى، وتطلّع الإنسان للسموّ والكمال، إنها تجهل سبب ميلادنا (لماذا نعيش ولماذا يجب أن نموت) بينما يعرف الإسلام منزلة الإنسان والغاية العظمى التى خلقنا الله لها، ويرتقى بالإنسان بدلاً من الحط من قيمته واختزاله إلى مجرد مادة ووظائف كمية مسخرة للإنتاج والاستهلاك مع افساده وتمزيق داخله وإفراغ حياته من المعنى والأمل... كتابه (إظهار الإسلام) صفحات ٩/ ١٠/ ١٣ مكتبة الشروق الدولية بالقاهرة سنة ١٩٩٤م.

(٢) نفسه ص١١.

معرفة بطبيعتنا الحقيقية، إذ تولدت من خيالات الاكتشافات العلمية، وشهوات الناس، وأوهامهم، ونظرياتهم ورغباتهم، وعلى الرغم من أنها أنشئت بمجهوداتنا إلا أنها غير صالحة بالنسبة لحجمنا وشكلنا(١).

ويتساءل في موضع آخر من كتابه عن جدوى من صناعة بواخر أكثر سرعة وسيارة تتوفر فيها أسباب الراحة وأجهزة راديو أقل ثمنًا أو تلسكوبات لفحص هيكل سديم على بعد سحيق، يتساءل قائلاً (ما هو التقدم الحقيقي الذي نحققه حينما تنقلنا إحدى الطائرات إلى أوروبا أو إلى الصين في ساعات قلائل).. وهل من الضروري أن نزيد الإنتاج بلا توقف حتى يستطيع الإنسان أن يستهلك كميات أكثر من أشياء لا جدوى منها)(٢)؟

وممن يؤيّد ألكسيس كاريل في مجمل آرائه: المهتدي للإسلام محمد أسد (ليوبولد فايس قبل إسلامه) الذي عللّ اضطرابات المجتمعات الغربية الفكرية بسبب النظريات الفلسفية وآراء العلماء وهي معرضّة للأخطاء والتحولات لأنها ناجمة عن اجتهادات بشر غير معصومين من أمثال ماركس وسارتر وفرويد وغيرهم، مما قد يسبّب لحضارة الغرب التصدع ثم الانحلال والانهيار، وهو ما كان يتوقعه الفيلسوف الألماني شبنجلر بكتابه «أفول الغرب».

وبالمقارنة بالحضارة الإسلامية يرى محمد أسد أنها مصونة من الانحلال بالرغم من غزوات الإبادة للتتّار والحروب الصليبية التي استمرْت قرنيْن من الزمان، ولكنها ظلت صامدة ولم تنهار.. ويعللّ ذلك الصمود بسلامة أصولها إذْ لم يصلها التبديل أو التحريف -أي القرآن والسنة، مع عنايتها بالروح والأخلاق والمثل العليا، وقواعد الشريعة الإسلامية التي استمّد منها المسلمون معاني الخير والشر، والعدل والظلم.... وهذا ما تنبّه إليه أعداء الإسلام. فوقف (غلادستون) رئيس وزراء إنجلترا يطالب بمحاربة القرآن(٣)!

---

(١) نفسه ص١١، ص٣٧.
(٢) نفسه ص٥٧.
(٣) محمد أسد (الطريق إلى الإسلام) ترجمة عفيف البعلبكي دار العلم للملايين، بيروت مارس سنة ١٩٧٦م.



ثم يقــرر بعــد طرح هذه الأسـئلة أنه ليس هناك أى ظل من الشك فى أن علوم الميكانيكا والطبيعة والكيمياء عاجزة عن إعطائنا الذكاء والنظام الأخلاقى والصحة والتوازن العصبى والأمن والسلام) ثم يغلّب الحقيقة المستمدة من الإيمان عن تلك المستمدة من العلم، لأن الأولى أكثر عمقًا ولا يمكن التشكيك فيها بالمجادلات . . إنها تشبه الحقيقة التى يعطيها البصر المغناطيسى)[1] .

ويبدو أن الفيلسوف الفرنسى جارودى أقلقه أيضًا هذا التردى فى حضارة العصر، واقترح الإسلام للإجابة على التساؤلات المطروحة فى المذاهب الفلسفية والنظريات العلمية، وقال بكتابه (الإسلام دين المستقبل) هل فى إمكانه فى يومنا هذا أن يقدم إجابة على قلق وتساؤلات حضارة غربية أظهرت فى **أربعة قرون أنها قادرة على حفر قبر على مستوى العالم**؟ . . . هذه هى المشكلة، إن لم يستطع هذا الكتاب حلها، فيكفيه أنه قد طرقها)[2] .

آراء جارودى فى حلّ أزمات حضارة العصر الروحيّة والنفسية والأخلاقة:

وقد اخترنا جارودى كنموذج واقعى لفيلسوف غربى مخضرم عايش حضارته بتاريخها وثقافتها وعقيدتها الدينية ونظمها الاجتماعية والسياسية وأخذ يبحث عن حل لمشاكلها فوجدها فى الإسلام بعد طول بحث وتنقيب .

والذى يعنينا فى مجال البحث عن السعادة فى واحة الإيمان من المنظور الإسلامى وبالموازنة مع بصيص الأمل الذى وجده الكسس كاريل -كما ذكرناه آنفًا- فى الدين بعامة والصلاة بخاصة، فإننا لا ندهش عندما نرى هذا الرأى واضحًا، ومعززًا بتجربة إيمانية خاضها جارودى بعد طول معاناة، وأخذ يصف العبادات فى الإسلام بقوله (إن الصلاة هى الشعور بالعبودية والتبعية لله، وهى تنفى كل كبرياء . . . وما الصلاة إلا لحظات ارتقاء روحى يقف المسلم بين يدى ربه ويثنى عليه بما هو أهله، والوضوء من الشعائر قبل الصلاة يرمز إلى عودة الإنسان إلى الطهارة الأولية . إن الصيام يؤكد قدرة

(١) نفسه ص١٤٥ .

(٢) روجيه جارودية (الإسلام دين المستقبل) ص٢٣ ترجمة عبد المجيد بارودى دار الإيمان بيروت/ دمشق بدون تاريخ .





الإنسان على الابتعاد عن الحاجات الحيوانية . . إن الزكاة -هذا القسم المقتطع من المال حسب ما يأمر به الدين، ليست فقط على العائدات، وإنما على رأس المال أيضًا وتشكل أحد أهم أركان الإسلام الخمسة . إنها وسيلة دائمة لإعادة توزيع الثروات على المجتمع ويفسح المجال لحركية اجتماعية .

إن هذا الشكل الأوّلى للضمان الاجتماعى الذى لم تأخذ به بعض الدول الأوروبية -كفرنسا- إلا فى منتصف القرن العشرين، بعد صراع طبقى قديم وبعد عدة قرون، قد أخذ به الإسلام على أنه إحدى ضرورات الإعالة منذ ثلاثة عشر قرنًا)(١) .

والحج لا يجسّد فقط الحقيقة العالمية للأمة الإسلامية . . ككل، ولكن بالنسبة لكل حاج على حدة، يعبر عن حركة "يتجه بها الإنسان نحو الله - عز وجل-"(٢) .

ويعرّف الإسلام بأنه الاستسلام والخضوع لإرادة الله -عز وجل-، وعلى هذا المفهوم فكل ما فى الوجود هو خاضع ومستسلم لله . فالأشجار فى نموها والحيوانات فى توالدها والأحجار فى ركودها مسلمة أى خاضعة لقوانين الله تعالى، لكن بدون إرادة منها . . أما الإنسان فهو الوحيد الذى يملك الاختيار فى أن يختار الإسلام أو يرفضه، فهو بذلك يتحمل المسئولية الكاملة، فإن نسى حقيقة الأولى فقد انطبق عليه قوله تعالى : ﴿ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾(٣) [طه : ١٢٦] .

وقد استخلص مفهوم التوحيد الإسلامى من قوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤) ﴾ [الإخلاص : ١-٤] .

وتأتى شهادة (لا إله إلا الله) لإقصاء كل ما يمت إلى الأصنام التى تكثر فى المجتمعات الغربية : كصنم النمو، التطور، وصنم التقنيّة العلموية، وصنم الفردية

(١) نفسه ص٧٥/ ٧٦ .
(٢) نفسه ص٣٦ بتصريف يسير وكان ابن تيمية يصف الحج بأنه مبنى على الذل والعبودية لله عز وجل .
(٣) نفسه ص٣٣ ويقول يذكرنا القرآن بمكانة الإنسان الفريدة فى سلم الخليقة والعبادة ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴾ [الأحزاب : ٧٢] الإنسان الذى قبل هذا الرباط الرهيب، هل هو قادر بفلسفته أن يعبر عن اتفاق الحرية هذا؟



وصنم القومية، وصنم قوة السلاح والجيش، وكل منها يحمل محرماته ورموزه المقدسة وطقوسه. يقول جاوردى مستطرداً (يؤكد الإسلام رفضه لهذه الأصنام بقوله: لا إله إلا الله، والله أكبر)[١].

ويحمّل جارودى الغرب مسئولية الواقع المتدهور الحالى بسبب قيامه بفرض ثقافته بواسطة السلاح والتجارة وبتقسيم العمل وبالمبادلات اللا متكافئة وبالإرسالیات والمدارس، كل هذا أوقف حتى الآن ومنع أشكالاً أخرى من التطور والإبداع -ويقصد الحضارة الإسلامية- لقد قادنا الغرب فى رأيه وجميع العالم معنا **إلى حالة الإفلاس والفوضى**[٢].

ويقول (واليوم إذا لم يعترف الغرب بتأثير الحضارة الإسلامية التى أخصبت العالم خلال ألف عام، على القانون الدولى، فلابد أن يكون لديه تعصب أعمى، وهو التعصب الذى طالما اتهم به الإسلام، وهو منه براء)[٣]. ولا يقتصر الأمر على القانون الدولى فحسب، بل سجل جارودى الوقائع التاريخية التى تثبت أن مصدر العلوم التجريبية الغربية هو الحضارة الإسلامية فى الجغرافيا والرياضيات والفلك والطب حيث قدّمت للعالم أعظم الهبات وفاقت فى اتساعها كل إمبراطورية سابقة[٤].

ويصحح جارودى الخطأ الشائع بسبب التعصب الأوروبى الذى يزعم أن هناك فجوة سوداء من القرن السابع حتى القرن الرابع عشر، وينفى وصف هذه الفجوة بأنها سوداء فيقول (بل ازدهار إحدى ألمع الحضارات فى التاريخ: الحضارة الإسلامية) ويتعجب من الأسطورة التى تزعم أن عصر النهضة ورث تعاليم الحضارة الإغريقية مباشرة بعد عصر مظلم. ويصفها بأنها خدعة معتمدة على مركزية أوروبا يجب تبديدها كما يُطرد حلم كاذب، لأن الحضارة الإسلامية أخصبت الماضى وهيأت المستقبل خلال ألف عام (وتحملت طوال هذه المدة مسئولية هذه الثقافة التى نقلتها إلى أوروبا عبر اسبانيا وصقلية)[٥]؟

(١) نفسه ص١٨٩.
(٢) نفسه ص٧١.
(٣) نفسه ص٨١.
(٤) نفسه ص٩٧.
(٥) نفسه ص١٠٥/ ١٠٦.





وإذا استرجعنا ما سجّله جارورى بكتبه ومقالاته عن الوقائع الدامغة لإرهاب الغرب بتواريخها وأماكنها والمسئولين عنها، فإنه بكتابه هذا لا يبرئ المسلمين من وصمة الإرهاب فحسب، بل يدعو بنى جلدته من الغربين أن يستهلوا من الإسلام حلاً لأزماتهم الروحية والنفسية والأخلاقية.. كما يذكّرهم بفضل حضارة الإسلام عليهم فى العصور الوسطى، التى نقلتهم من ظلمات الجهل إلى نور العلم كما نصّ على ذلك بإحدى فقرات كتابه كما تقدم عن العلوم التجريبية.

وتقول العالمة الألمانية زيجريد هونكه معبرّة عن مدى نقص معرفة الغرب بالإسلام:

.. والحق أن على الغربى أن يطرح جانبًا تلك المصطلحات الذائعة والتصورات الشائنة، فالإسلام لا يقول أساسًا بوارث «الخطيئة الأصلية» ولا بأن أول إنسان كان أثيمًا، بمعنى أن الخطيئة أو الإثم ليس أصل الفطرة التى فطر الإنسان عليها، بل أن الإثم قد يُغتفر إذا تاب الإنسان توبة نصوحًا، حيث يغفر التواب الرحيم الذنوب.

أجل، إن الله تاب حتى على آدم -عليه السلام- ولقد ألح الإنجيل على خطيئة آدم مبينًا أن كافة الويلات والشرور المستشرية فى الدنيا مصدرها الأول آدم، والذى لم ينل غفران الله بواسطة أى إنسان إلا عيس المخلص يسوع -نقول إن الإسلام لا يرى هذا، إذ ينص على أن الله تعالى غفر لآدم بعد أن تاب كما تبين ذلك الآية السابقة والثلاثون من سورة البقرة فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه، إنه هو التواب الرحيم وقال تعالى: ﴿ قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[1] [الأعراف: ٢٣].

●●●

انتهى الكتاب بتوفيق الله عز وجل وحده،

فالحمد لله أولاً وآخرًا

وصلّ الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته إلى يوم القيامة.

---

(١) مع العلم بأن الآية الثانية أغفلتها الكاتبة. كتاب (الله ليس كذلك) ص٣٧ ترجمه د. غريب محمد غريب دار الشروق بمصر ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

ملاحق الكتاب

١- نداء وجّهته جبهة علماء الأزهر إلى رئيس مجلس الوزراء، ونشره .

الشيخ محمد الغزالى بكتابه : التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام .

٢- مقال بقلم نبيل زكى، بجريدة أخبار اليوم بتاريخ ٧/ ٥/ ٢٠٠٥م .

٣- مقال بقلم محمد فريد زكريا بجريدة (الأحرار) بتاريخ ٢١/ ٨/ ١٩٩٤م، عن محاولات الإرهاب للاعتداء على مقدساتنا .

٤- مقال بقلم الدكتور ناصر بن سلمان العمر .

٥- مقال بقلم د/ محمد عصفور .





ملحق رقم (١)

نداء وجّهته جبهة علماء الأزهر إلى رئيس مجلس الوزراء

«إن الشعب المصرى من أقوم الشعوب علمًا بشريعة الإسلام، وتمسكًا بأحكامه وآدابه، وحفظًا لكتابه وسنته».

وكان لتعليم الدين المكان الأول فى مدارسه، لأنه عرف أن طلب العلم الدينى فريضة على كل ومسلم ومسلمة.

وبهذا حافظ المصريون على شعائره وتقاليده وأقاموا أحكامه وحدوده، فعزوا وتزعموا غيرهم من الأمم.

وإن جبهة علماء الأزهر -وواجبها الأول هو المحافظة على تعاليم الإسلام، والعناية بنشرها بين جماعات الأمة- ليؤسفها أشد الأسف أن ترى موجة عاتية من الجهل بأحكام الدين قد عمت قلوب الناشئة، فشوّهت عقائدهم وتقاليدهم، ومسخت أخلاقهم وأفكارهم، فأصبحنا نرى المبادئ الفاسدة، والأخلاق المرذولة تسود حياة الشعوب، وتوالت العلل على مجتمعنا المتدين، فتنكرت الناشئة للمثل العليا، وكادت موازين الأخلاق الكريمة، والأدب الرفيع تنهار، فمن تبرّج وصل إلى حد العرى، إلى ميوعة فى المعاملة، إلى إعراض عن عبادة الله، ووزن كل شىء فى الحياة بميزان المادة.

وهذا لأن وزارة المعارف فهمت أن حياة الأمة الرشيدة ليست بحاجة ماسة إلى تعليم الدين، بل يكفى أن تقوم على ثقافة مجردة قوامها التوسع فى الرياضيات واللغات والمعلومات العامة، ولهذا لم تخصص للدين إلا دروسًا تافهة، ومع هذا جعلت تعلمه اختياريًا، ولم تعممه فى مراحل التعليم كلها، حتى أصبحت دروس الدين لا يأبه لها أحد، لا التلميذ ولا المدرس، لأن التلميذ إنما يحفل بالمواد التى سيترتب على حذقها نجاحه آخر للعام.



إن مدارس الأمة هى القوامة على تهذيب النشء وتثقيفه، وغرس الفضائل وتقوى الله فى النفوس؛ والتعريف بأحكام الإسلام وعقائده على وجه صحيح، حتى يستطيعوا أن يسيروا فى الناس سيرة مؤدبة نبيلة، وأن يردّوا عن قلوبهم الأفكار السقيمة التى تنشرها مجلات مريضة، وكتب مسمومة.

هذا هو الواجب الأول للمدارس والجامعات، ولن يستطاع القيام به إلا بالتوسع فى دراسة الدين، وإلزام الطلاب به فى جميع مراحل التعليم.

إن دور العلم ينفق عليها ربع مال الأمة، فيجب أن تكون أداة تصوغ لمصر جيلاً جديدًا يعرف حقوق ربه، وحقوق الناس، يميز الخبيث من الطيب، والحلال من الحرام، يتذوق طعم الحياة الكريمة المحافظة، فيؤثر التمسك بها، وذلك لا يوجد إلا فى تعاليم الدين، فالضمائر لا يوقظها ولا يهذبها إلا خوف الله . . .

ومن المفارقات الغريبة أن نقص نصف درجة فى الموسيقى أو الرسم يرسب به الطالب، وأن جهله بالدين كله لا يضره شيئًا.

«إن ذلك جعلنا نجنى أمرّ الثمرات، ونشاهد فى ناشئتنا مظاهر التمرّد والاستخفاف بكل فضيلة، والخروج على كل معنى كريم . .».



ملحق رقم (٢)

ماذا حدث يوم ٣ أبريل سنة ١٩٤٥

الإرهاب الأمريكى:

الثلاثون من ابريل تاريخ مهم فى حياة هذا الكوكب . كان ينبغى التوقف عنده لاستخلاص الكثير من الدروس، واعادة تقييم الكثير من الأمور والسياسات، ومحاولة فهم ما يجرى الآن على امتداد الكرة الأرضية .

فى الثلاثين من ابريل عام ١٩٤٥ ، انتحر الديكتاتور النازى الألمانى أدولف هتلر . . وبعد ساعات سقطت برلين ومعها «رايخ الألف سنة» ولم يمض أسبوع واحد حتى تم توقيع وثيقة استسلام المانيا وانتهت الحرب فى أوروبا ، التى كانت قد بدأت فى سبتمبر ١٩٣٩ .

وفى الثلاثين من أبريل عام ١٩٧٥ اقتحمت قوات التحرير الفيتنامية أبواب قصر الرئاسة فى سايجون، ورفعت فوقه علم الثوار الفيتناميين اعلانًا عن النصر على العدوان الأمريكى وتحرير فيتنام الجنوبية وتوحيد شمال وجنوب البلاد .

ستون سنة مضت على نهاية الحرب العالمية الثانية . وثلاثون سنة مضت عل نهاية حرب فيتنام .

استمرت الحرب ف آسيا ثلاثة شهور أخر بعد استسلام المانيا عام ١٩٤٥ وانتهت بضرب مدينتى هيروشيما وناجازالى اليابانيتين بقنبلتين ذريتين امريكيتين . ورغم مرور ستين عاما على انتهاء الحرب العالمية الثانية . . لا يزال من المستحيل تقدير حجم العنف والمعاناة فى تلك الحرب .

التقدير العام لعدد القتلى فى الحرب العالمية الثانية يصل إلى سبعين مليون انسان . وثمة تقديرات أخرى تشير إلى عدد أكبر من ذلك . ولا أحد يعرف حتى الآن الرقم الحقيقى على وجه الدقة . وكل ما نعرفه أن الضحايا الاوروبيين للنظام النازى يصل عددهم إلى تسعة ملايين بالإضافة إلى حوالى ٢٥ مليون جندى ومدنى سوفيتى لقوا



مصرعهم فى الحرب «تقديرات أخرى تشير إلى ٤٠ مليون سوفيتى ضحايا الحرب» كما نعرف أن ١٥ مليون صينى فقدوا أرواحهم، وكذلك ستة ملايين ألمانى وستة ملايين يابانى و٢ مليون يوغوسلافى.

ونعرف أن القنبلتين الذريتين قتلتا أكثر من ربع مليون يابانى لا ذنب لهم ولم يرتكبوا أى جريمة. ونعرف أن الرئيس الأمريكى الذى اتخذ قرار ضرب المدينتين بالقنابل الذرية ظل ينام قرير العين نومًا عميقًا بلا كوابيس.

يقول المؤرخ الأمريكى جابريل جاكسون أن قرار استخدام القنابل الذرية ضد المدنيين فى هيروشيما وناجازاكى «يبرهن على أن رئيسًا منتخبًا بطريقة ديمقراطية يمكن أن يستخدم سلاحًا جهنميًا على النحو الذى يفعله أى ديكتاتور نازى لو اتيحت له الفرصة». وقد تحتاج حكاية «الرئيس المنتخب بطريقة ديمقراطية إلى اعادة نظر».. وربما يتضح أن الاختلاف فى الأسلوب، أما الجوهر فإنه واحد، وأن هذا أو ذاك تجمعهما صفة الديكتاتورية.

المهم أن نهاية الحرب العالمية الثانية جعلت البشر يحلموب بآمال كبار تتعلق بتغيير الأنظمة الاقتصادية والاجتماعية التى تولت تفريخ الحروب وزرع الموت والدمار فى كل مكان.

وكانت الاحلام تدور حول اعادة بناء وإعادة تنظيم العالم ليكون أكثر انسانية وأكثر ديمقراطية.. عالم يرتكز على المساواة بين البشر وعلى العدل الاجتماعى. وكان هناك من يحلم بأن تكون الحرب العالمية الثانية، التى تحولت إلى مجزرة راح ضحيتها عشرات الملايين من الناس.. آخر الحروب، وأن توضع قواعد ومبادئ جديدة من شأنها تحريم الحروب باعتبارها جريمة هجمية وبربرية لا تليق بأبناء القرن العشرين «فما بالنا بالقرن الواحد والعشرين؟» وقدم الرئيس الأمريكى فرانكلين روزفلت وعدا بأن يكون عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية «متحررًا من الأسلحة والتسلح على النحو الذى يحول بين أى دولة وبين القدرة على ارتكاب أى عدوان ضد دولة مجاورة أو فى أى

مكان من العالم وليست هذه رؤية للألفية الجديدة، وإنما هى قاعدة محددة ونهائية لعالم يمكن إقامته فى زماننا وفى جيلنا».

لم يتمتع العالم بأى سلام ولم يتم نبذ العدوان كوسيلة لحل المنازعات. ولم يتم تخفيض التسلح «اشتعلت الحرب الكورية، وبعدها الحرب الفيتنامية وسلسلة أخرى من الحرب فى كمبوديا ولاوس وفى أفريقيا وأمريكا اللاتينية». . وزاد جنون التسلح حتى بعد انتهاء الحرب الباردة واختفاء المعسكر الشرقى، واتسعت الفجوة بين الأغنياء والفقراء داخل المجتمعات، وأيضًا بين الدول الغنية والفقيرة.

وانتهى الأمر بأن الجريمة الكبرى التى دفعت العالم بأسره إلى إدانة وتجريم النازية . . أصبحت هى الأسلوب الأمثل الذى تستخدمه وتروج له الإدارة الأمريكية وهو: الحروب الاستباقية والوقائية والإجهاضية. ولم يعد هناك مجال لحلول سلمية أو دبلوماسية، وإنما أصبح منطق القوة العسكرية هو السائد والمفضل . . وأصبحت الهيمنة المنفردة والمطلقة على العالم هى الهدف الأوحد. وبالتالى أعطت دولة واحدة لنفسها الحق فى تغيير أى نظام حكم فى العالم وكل من لا يسير فى الفلك الأمريكى أصبح ينتمى إلى عالم الدول المارقة والمنبوذة والشاردة.

بعد ستين عامًا من هزيمة ألمانيا النازية . . أصبحت القيم السائدة فى الساحة الدولية هى نفس القيم النازية. ولم تعد الحروب . . محرمة وإنما هى الوسيلة لتسوية الخلافات وفرض الهيمنة والسيطرة على العالم!

كانت الحرب فى فيتنام أطول الحروب وأكثرها تكلفة فى تاريخ الولايات المتحدة فعدد القتلى فى تلك الحرب أكثر من نصف مليون جندى أمريكى، ومعهم جنود استراليون وكوريون جنوبيون وغيرهم.

واستخدم الأمريكيون فى تلك الحرب ١٥ مليون طن من الذخيرة الحية «بنفس القدر الذى استخدموه فى الحرب العالمية الثانية». كان التفوق العسكرى الأمريكى على الفيتناميين ساحقًا. كذلك كان جيش حكومة سايجون «فيتنام الجنوبية» التابعة

للأمريكيين تحت رئاسة نورين فان ثيو، أقوى بكثير من خصومه فقد كانت قطع المدفعية التى فى حوزته أكثر ثلاث مرات من جيش فيتنام الشمالية، كما كان يملك ضعف عدد الدبابات والعربات المصفحة التى توجد لدى الشماليين. وكان جيش فيتنام الجنوبية يملك ١٤٠٠ طائرة ويحتكر المجال الجوى. كذلك كان عدد جنوده أكثر بنسبة اثنين إلى واحد بالمقارنة مع فيتنام الشمالية.

وبلغة الأرقام، فإن جيش حكومة سايجون، العميلة لأمريكا، تولى حشد ٧٠٠ ألف جندى لمواجهة الثوار و٣٢٠ ألف جندى «عند قوات الشمال».

فى يوم ٣٠ أبريل -قبل ثلاثين سنة- انهار أكبر تدخل عسكرى أمريكى بعد نهاية الحرب العالمية الثانية. وبدلاً من أن يتفادى الأمريكيون الوقوع فى نفس أخطاء حرب فيتنام.. نجد الصيحات تتردد الآن فى الولايات المتحدة حول الضغوط فى داخل الولايات المتحدة التى أدت إلى الهزيمة الأمريكية! والمقصود بتلك الضغوط رفض الشعب الأمريكى للحرب.

وتسمع الآن فى أمريكا من يقول أنه كان من الضرورى أن تنتصر الولايات المتحدة فى حرب فيتنام وأن جون كيرى المرشح الديمقراطى فى انتخابات الرئاسة الأمريكية، الذى تصدى لمنافسه جورج بوش «كان متعاطفًا مع الشيوعيين» لأنه عارض الحرب! ورغم أن الولايات المتحدة خسرت حوالى ستين ألف قتيل أمريكى فى الحرب فى الهند الصينية، إلا أنها لم تتعلم شيئًا من دروس تلك الحرب.

ورغم أن الولايات المتحدة استخدمت أكثر من عشرين مليون جالون من الكيماويات السامة، وحولت ثلث مساحة فيتنام الجنوبية إلى أرض جرداء. ورغم جرائم مروعة ارتكبها الأمريكيون هناك «مثل عملية فونيكس» واغتيالات جماعية.. إلا أنها لم تتعلم شيئًا من دروس تلك الحرب.

لقد قتل الأمريكيون أكثر من ثلاثة ملايين فيتنامى. وهناك الملايين من اليتامى والأرامل فى فيتنام، والملايين من المعوقين.

ويسجل التاريخ الكثير من المذابح وأشهرها مذبحة «هاى لاى» «قتل الأمريكيون



خلالها خمسمائة رجل وامرأة وطفل» . . ومع ذلك كله منيت الولايات المتحدة بأبشع هزيمة على يد شعب فقير يقاتل بأسلحة بدائية، ولكنه يؤمن بما قاله زعيمه «هويشى مين» بأنه لا يوجد ما هو أثمن وأغلى من الحرية والاستقلال .

ولكى تبرر واشنطن العدوان على فيتنام، افتعلت حادث خليج تونكين . . ولكى تبرر العدوان على العراق أطلقت أكذوبة أسلحة الدمار الشامل العراقية، وقتلت أكثر من مائة ألف عراقى وكما غرقت فى مستنقع فيتنام . تغرق الآن فى المستنقع العراقى وكما طبقت فى فيتنام سياسة «تدمير القرى لإنقاذها» فإنها تفعل نفس الشىء فى العراق . وكما استفاد المجمع الصناعى العسكرى من حرب فيتنام . . يستفيد نفس هذا المجمع الآن من الحرب ضد الشعب العراقى .

وهكذا نجد أن التاريخ يكرر نفسه بصورة أكثر بشاعة . . ويتأكد لدى الجميع أن تضحيات أكثر من سبعين مليون إنسان فى الحرب العالمية الثانية قد أهدرت، وأن الخسائر البشرية الهائلة فى حرب فيتنام «وقبلها فى الحرب الكورية» ثم فى الحرب ضد يوغسلافيا . . لم تلقن الأمريكيين الدرس الضرورى .

غير أن دروس حرب فيتنام تحتفظ بقيمة كبرى لدى الشعوب التى تناضل الآن لتحرير ترابها الوطنى من الاحتلال الأجنبى سواء فى فلسطين أو العراق . فقد استطاع شعب فقير أن يهزم أقوى دولة فى العالم .

كذلك تعلمت الشعوب أن النازية والفاشية يمكن أن تظهر فى أثواب جديدة، وإن هتلر يمكن أن يرتدى قبعة «عصرية» وأن يظهر أكثر من «فوهرر» قزم يتصرف باستعلاء وغطرسة مستخدمًا نفس الأساليب التى عفى عليها الزمن .

المؤسف أن البشرية فى حاجة إلى تضحيات جديدة لإلحاق الهزيمة بالنازيين الجدد . ولتحقيق الآمال والأحلام التى كانت تنتظر تحقيقها بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ولم تتحقق حتى الآن .

الكاتب الصحفى: نبيل زكى.

●●●



ملحق رقم (٣)

من محاولات الاعتداء على مقدّساتنا

سر خطير جداً

ذكرنا أمس أن المخابرات الأمريكية والإسرائيلية قامت أثناء حرب الخليج بتحليل ظاهرة إعجاز بئر زمزم التى لا تنضب منذ آلاف السنين ومظلة الطير المستمرة التى تحوم حول الكعبة المشرفة. فأرسلوا طائرتين محملتين بأحدث الأجهزة الإلكترونية التى لا يكتشفها الرادار السعودى واكتشفوا وجود ترددات غريبة وعندما اقتربت حدثت المعجزة التى ارعبتهم. . فعقب الاقتراب عطلت الأجهزة الإلكترونية للطائرتين وجنحتا ثم احترقتا ومات أحد الطيارين وأنقذ الأخر مصاباً بمرض مجهول. . شخص أطباؤهم بأنه مرض غريب على البشرية!! فأعادوا الكرة بطائرتين بدون طيار فكانت المفاجأة احتراقهما بالكامل. . تكتم الأمريكان على السر وتوقفت محاولاتهم بعد أن اكتشفوا أن هناك أكثر من ١٥٠٠ جندى قد أعلنوا إسلامهم. . بالإضافة إلى إصابة أكثر من ٩٠ ألف جندى أمريكى بهذا المرض الغريب والمجهول. . حاولوا علاج جنودهم وفشلت كل المحاولات فسمّوا مرضاهم بمرضى أمراض حرب الخليج. . وتكتموا على هذا السر الذى كشفه الله. . والعجيب أن هذا المرض قد عجزت أمامه كل الأدوية وكانت المفاجأة أن الدواء الوحيد الذى يخفف آلام المرضى هو الدواء الربانى المسمى بماء زمزم. . فحللوه فاكتشفوا أنه ماء به خواص ومواصفات غير طبيعية. عرض الأمر على الرئيس الأمريكى بوش وبصفة خاصة تزايد ظاهرة انهيار الجنود الأمريكيين بسبب هذا المرض الغريب!! فطلب من البنتاجون (C.I.A3) تكتم الخبر وإلغاء المهمة!! وفوجئ العالم بإيقاف القتال. .

وأعلن أن الحرب قد توقفت. ثم نقل مرضاه الأمريكيين إلى المستشفيات العسكرية الأمريكية. . وما زال المرضى لا يستجيب معهم أى دواء. . وما زالوا فى الكونجرس الأمريكى يبحثون المرض المجهول. . الذى يحطم من يصاب نفسياً وجسمانياً. . هذه معجزة القرن العشرين الشبيهة بمعجزة أبراهام الأشرم الذى اقترب من الكعبة وحاول

هدمها فقال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾ [الفيل : ١-٥] صدق الله العظيم . . لذلك فإن هذا الإعجاز يؤكد ما قاله جد الرسول ﷺ عبد المطلب بأن للبيت ربًا يحميه . . إن الإعجاز المتواصل الذى ظهر فى جند إبراهام الأشرم وجند بوش يؤكد عظمة الإسلام . . صدقت يا رب العالمين لقد إنزلت الذكر وحفظته من المشركين . . فاستيقظوا يا أمة الإسلام وتذكروا واذكروا هذا الإعجاز وسبحانك يا خالق يا كريم .

محمد فريد زكريا
وكيل حزب الأحرار
فى ٢١/٨/١٩٩٤م

●●●



ملحق رقم (٤)

يقول الدكتور ناصر بن سلمان العمر:

إن من العجائب أن يعظ شيطان عبدًا صالحًا!

وأعجب من ذلك أن يعظ الغرب المسلمين فى الإرهاب بينما قامت دولهم على الإرهاب، ومارست أبشع أنواعه! وهل قامت الديمقراطية الغربية إلا على أنقاض ما خلفّه إرهاب الثورات كالثورة الفرنسية وعلى ماذا قام الاتحاد السوفيتى؟!

من الذى أشعل حربيْن عالميتيْن أزُهقت فيها أرواح المدنيين الملايين؟! من الذى ابتكر للناس الأسلحة العمياء: نووية وبيولوچية وكيميائية؟! من الذين أخرجوا للناس أسلحة الدمار الشامل والقنابل العنقودية؟!

من دمّر بها أفغانستان والعراق والشام؟ من الذى جاء باليهود إلى فلسطين، ثم حماهم وأمدهم بأسلحة فتاكة لا يزالون منذ أكثر من ستين عامًا يقتلون بها ويعذّبون؟! من الذى دمّر غزة؟! من الذى أطلق حق الفيتو لخمس دول تحمى الظلم والعدوان؟!

كم ذهب ضحيّة لذلك -وغيره- من المسلمين؟!

أعداد مهولة لا نعرف تنظيمًا إرهابيًا منتسبًا للإسلام يضاهى فى إفساده ما أفسده الإرهاب الغربى والشرقى الجائر بكل معايير الفضيلة! وفى كل أرجاء البسيطة.

والواجب على المسلم، أنّى كان موقعه سياسيًا أو إعلاميًا أو دعويًاً، أن يعى ذلك، وأن لا تستخفنّه الدعاية المضللة، وألا يسبب له الإرهاب الغربى أو ضغطه متعدد الجهات اختلالاً فى الوعى، وغبشًا فى المفاهيم، فيفرّق بين الباغى المعتدى من المسلمين وغيرهم، وبين المطالب بحق مشروع فيكون عونًا للثانى، حربًا للأول، لينصلح الحال وتستقيم الأمور، والله المستعان»[1].

(١) من مقال بعنوان (إرهاب .. مصطلح الإرهاب) «مجلة البيان» ربيع الأول ١٤٣٧هـ- ديسمبر/ يناير ٢٠١٥/٢٠١٦.



ملحق رقم (٥)

مقال بقلم د/ محمد عصفور بجريدة (الوفد)

الصادرة بتاريخ ٢٣ صفر سنة ١٤١٣هـ - ٢٢ أغسطس سنة ١٩٩٢ بعنوان:

عصابات الصرب

حملة لواء الحرب الصليبية!!

لعل أخطر الإدانات للغرب كله (أوروبا وأمريكا) بأن تعصبه الديني وراء تركه للوحوش الصربية تفترس مسلمي البوسنة والهرسك وتغتصب وطنهم -أخطر الإدانات صدرت عن وزير الإعلام فيليبور أو ستونيش (الذي نصبته العصابات الصربية فوق أراضي الجمهورية المغتصبة)- فقد أدلى بتصريحات عدائية وقحة لم تنشرها سوى الوفد ومايو! جاء فيها أن حرب الإبادة التي تقوم بها العصابات الصربية للمسلمين حرب دينية، وأن الصرب حملة لواء الحروب الصليبية الجديدة لإنقاذ أوروبا من الإسلام بل إنقاذ العالم من مؤامرة إسلامية للسيطرة على العالم، فبينما تتقلص المسيحية في العالم، ينمو الإسلام في كل مكان، لأن لدى المسلمين المال والعقيدة والقوة البشرية للانتشار في العالم! (الوفد ١٤ أغسطس) وهذه عبارة الوزير الفاجر بالحرف (لماذا تقف أوروبا المسيحية ضدنا؟ إننا ندافع عنها ضد الإسلام.. وقد استولى أتباعه على لبنان المسيحية وعلى قبرص المسيحية.. وسوف يصبحون أغلبية في البوسنة مع حلول عام ٢٠٠٠ بفضل معدل التوالد المرتفع بينهم.. وأوروبا لا تدرك خطر الإسلام ولا تعرف أنها لن تستطيع السيطرة في المستقبل على عزت بيجوفيتش رئيس البوسنة.. إن هؤلاء المسلمين الذين يديننا العالم لأننا نضعهم في المعتقلات ليسوا مدنيين أبرياء.. بل هم في الحقيقة متطرفون يهدفون إلى إقامة دولة إسلامية متطرفة في أوروبا على أراضي البوسنة والهرسك.. إننا نطالب أوروبا بتأييدنا في هذه



الحرب المقدسة . . وأن تنظر إلينا كمحاربين صليبيين نحاول أن ننقذ أوروبا من الإسلام . . لأننا نحارب مؤامرة إسلامية للسيطرة على العالم!) مايو ١٧ أغسطس إن ما طلبه الوزير الصربى الإرهابى، قد استجابت له أمريكا وأوروبا ونخشى أن تكون قد استجابت له الأمم المتحدة برفض أمينها العام إشراف قوات المنظمة الدولية على نزع السلاح الثقيل! وهو موقف مؤسف ومخجل وينضح بأشد صور الإنحياز! فهذا الأمين العام الذى وافق على زيادة القوات الدولية فى كرواتيا الكاثوليكية رغم أن عددها أربعة عشر ألف جندى بسلاحهم ومدرعاتهم، هو نفسه الذى رفض (فى خطاب غاضب وشديد اللهجة لأعضاء مجلس الأمن) مشاركة الأمم المتحدة فى عملية تسليم الثقيلة بمقتضى اتفاقية لندن وهى الأسلحة الصربية التى تحصد مسلمى البوسنة والهرسك فى عملية إبادة إجرامية وصفها المسئولون الغربيون بأنها أبشع المذابح التى تفجر أكبر موجات الهجرة الملايينية!!

د. محمد عصفور

وبالله التوفيق

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه.









مصادر الكتاب

- الله ليس كذلك، زيجريد هونكه، ترجمة: د. غريب محمد غريب، دار الشروق بمصر ١٩٩٥م.
- أديان العالم، د. هوستن سميث، تعريب وتقديم: سعد رستم، دار الجسور الثقافية، حلب ٢٠٠٧م.
- إرهاب.. مصطلح الإرهاب (مقال)، مجلة البيان، ٢٠١٦م.
- إسرائيل فتنة الأجيال، إبراهيم خليل أحمد، مكتبة الوع العرب ١٩٧٠م.
- إسرائيليات. وما بعد العدوان، أحمد بهاء الدين، كتاب الهلال/ شعبان ١٣٨٧هـ- نوفمبر ١٩٦٧م.
- إظهار الإسلام، دوبا سكويه، مكتبة الشروق الدولية ١٩٩٤م.
- الأبطال، توماس كارلايل، ترجمة: محمد السباعى، ١٩٣٠م.
- الإرهاب الغربى، روچيه جارودى، مكتبة الشروق الدولية بالقاهرة ٢٠٠٤م.
- الإرهابيون الأوائل، جيراننا الجدد، وجيه أبو ذكرى، المكتب المصرى الحديث ١٩٨٧م.
- الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، روچيه جارودى، دار الشروق.
- الاستشراق والتبشير وصلتهما بالإمبريالية العالمية، إبراهيم خليل أحمد، مكتبة الوعى العربى بمصر ١٩٧٢م.
- الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع، د. محمود حمدى زقزوق، هدية مجلة الأزهر لشهر جماد الآخر ١٤٣٧هـ.
- الاستعمار كظاهرة عالمية.. حول الاستعمار والإمبريالية والتبعية، د. حورية توفيق مجاهد، عالم الكتب بالقاهرة ١٩٨٤م.

- الإسلام دين المستقبل، روچيه جارودى، ترجمة: عبد المجيد بارودى، دار الإيمان ببيروت ودمشق ١٩٨٣م.

- الإسلام على مفترق طرق، محمد أسد، ترجمة: عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٣م.

- الإسلام فى الألفية الثالثة: ديانة فى صعود، د. مراد هوفمان، ترجمة: عادل المعلم ويس إبراهيم، مكتبة الشروق الدولية ٢٠٠١م.

- الإسلام فى الفكر الأوروبى، د. محمد شامة، مكتبة وهبة بالقاهرة ١٩٨٠م.

- الإسلام كبديل، د. مراد هوفمان، ترجمة: عادل المعلم، مكتبة الشروق الدولية ٢٠٠٤م.

- الإسلام وأزمة العصر: حرب مقدسة وإرهاب غير مقدس، برنارد لويس، ترجمة: أحمد هيكل، تقديم ودراسة: رءوف عباس، مكتبة الأسرة ٢٠٠٤م.

- الإسلام وآسيا أمام المطامع الأوروبية، أوچين يونج، مكتبة زيدان العمومية بالفجالة ١٩٢٨م.

- الإسلام والغرب الأمريكى: بين حتمية الصدام وإمكانية الحوار، محمد إبراهيم مبروك، مركز الحضارة العربية ٢٠٠٢م.

- الإسلام والغرب فى كتابات الغربيين، د. زغلول النجار، مكتبة نهضة مصر، ٢٠٠٧م.

- الإسلام والقرن الواحد والعشرون: شروط نهضة المسلمين، روچيه جارودى، ترجمة كمال جاد الله، الدار العالمية للكتب والنشر ١٩٩٩.

- الإسلام وحاجة الإنسانية إليه، د. محمد يوسف موسى، مكتبة الفلاح بالكويت ١٩٧٨م.



- الإسلاموفوبيا: الحملة الأيدلوجية ضد المسلمين، ستيفن شيهى، ترجمة: د. فاطمة نصر، مكتبة سطور الجديدة بالقاهرة ٢٠١٢م.

- الإنسان ذلك المجهول، ألكسيس كاريل، تعريب: شفيق أسعد فريد، مؤسسة المعارف، بيروت (ب. ت).

- التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام: دحض شبهات ورد مفتريات، محمد الغزالى، نهضة مصر ٢٠٠٥م.

- الحرب الصليبية الثامنة- العدوان على العراق، الفريق سعد الدين الشاذلى، عيون المقالات، الدار البيضاء ١٩٩١م.

- الحملة الفرنسية: تنوير أم تزوير؟، د. ليل عنان، كتاب الهلال ١٩٩٨م.

- الحوار فى القرآن، د. محمد محمد أبو ليلة، كتاب الهلال، العدد ٧٠٨/ ديسمبر ٢٠٠٩.

- الدعوة إلى الإسلام: بحث فى تاريخ نشر العقيدة الإسلامية، سير توماس، وأرنولد، ترجمة: د. حسن إبراهيم ود. عبد المجيد عابدين وإسماعيل النحراوى، مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٧م.

- الدين والحضارة الإنسانية، د. محمد البهى، هدية مجلة الأزهر، جماد الأول ١٤٣٧هـ.

- الدين والعلم وقصور الفكر البشرى، د. م. محمد الحسين إسماعيل، مكتبة وهبة ١٩٩٩م.

- الرؤى الشيطانية (مقال)، معصوم مرزوق، مجلة الهلال، القاهرة، جماد الأولى، مايو ٢٠١٠م.

- الصهيونية غير اليهودية، د. ريجينا شريف، ترجمة: أحمد عبد العزيز، مكتبة الشروق الدولية بمصر ٢٠١٠م.

- الصهيونية والعنف، الرائد حسين طنطاوى، دار الشعب بمصر ١٩٧١م.
- الطريق إلى الإسلام، محمد أسد، ترجمة: عفيف البعلبكى، دار العلم للملايين.
- العار الأمريكى: من جوانتانامو إلى أبو غريب، محمد بسيونى، دار الكتاب العربى/ دمشق- القاهرة ٢٠٠٥م.
- العالم سنة ١٩٨٤، چورچ أورول، ترجمة: شفيق أسعد وعبد الحميد محبوب، سلسلة ١٠٠٠ كتاب، مكتبة الأنجلو ١٩٥٦م.
- العذاب الذى لاقاه المسلمون على أيدى الغرب، عميد مهندس كامل الشرقاوى، مطابع الأهرام بمصر ١٩٩٨م.
- العولمة والإرهاب: حرب أمريكا على العالم، نعوم تشومسكى وآخرون، ترجمة: د. حمزة المزينى، مكتبة مدبولى ٢٠٠٤م.
- الغرب والإسلام: فقدان الذاكرة والحضارة (مقال)، تحليل: منى ياسين، مراجعة وتعقيب: د. محجوب عمر، دار جهاد للنشر والتوزيع بالقاهرة ١٩٩٤م.
- القدس: مدينة واحدة وعقائد ثلاث، كارين أرمسترونج، ترجمة: د. فاطمة نصر ود. محمد عثمان، مكتبة سطور ١٩٩٨م.
- الماسونية ذلك العالم المجهول: دراسة فى الأسرار التنظيمية لليهودية العالمية، صابر عبد الرحمن طعيمة، مكتبة القاهرة الحديثة ١٩٧٣م.
- المرايا المقعرة: نحو نظرية نقدية عربية، د. عبد العزيز حمودة، سلسلة عالم المعرفة (٧٢)، ٢٠٠١م.
- المسلمون أمام التحد العالمى، د. إحسان حقى، بيروت ١٩٧٦م.
- المسلمون فى آسيا الوسط والبلقان، د. محمد حرب، سلسلة بحوث العالم الترك (١)، المركز المصر للدراسات العثمانية ١٩٩٣م.



- المسلمون والروم فى عصر النبوة، د. عبد الرحمن سالم، دار الفكر العرب ١٩٩٧م.

- المسلمون وجهادهم ضد الروم فى أرمينية والثغور الجزرية والشامية خلال القرن الرابع الهجرى، مكتبة السلام العالمية بالقاهرة، ١٩٨٤م.

- المصحف الميسر، الشيخ عبد الجليل عيسى، دار الشروق ١٣٩١هـ.

- المعجزة المتجددة فى عصرنا: الإسلام (بعض مظاهر انتشار الإسلام بعد أحداث ١١ سبتمبر فى العالم)، صالح بن جليس اليافعى، دار القدس، دار الإيمان بالإسكندرية ٢٠٠٤م.

- النشاط الصهيونى خلال الحرب العالمية الثانية: ١٩٣٩- ١٩٤٥، د. عبد الرحيم أحمد حسين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨٤م.

- الولايات المتحدة طليعة الانحطاط، روچيه جارودى، ترجمة: مروان حموى، دار الكتاب بدمشق ١٩٩٨م.

- اليهود المغضوب عليهم، محمد عبد العزيز منصور، دار الاعتصام بالقاهرة ١٩٨٠م.

- أمريكا والإسلام والإرهاب، د. رائد العزاوى، مكتبة مدبولى ٢٠٠٩م.

- أمريكا وسراب الحلم العربى، د. فوزى الأسمر، كتاب الرياض/ العدد (٨٨)/ مارس ٢٠٠١م.

- أمريكا.. العقلية المسلحة، المصرى اليوم القاهرية ٩ يوليو ٢٠٠٧/ ص ٥.

- أمريكا: الحلم والسياسة (من أوراق التغريبة الأمريكية)، رضا هلال، الحضارة للنشر بالقاهرة، ١٩٩٩م.

- أوهام القوة والنصر، محمد حسين هيكل، مركز الأهرام للترجمة ١٩٩٢م.

- أين الخطأ؟.. التأثير الغربى واستجابة المسلمين، برنارد لويس، ترجمة: محمد عثمانى، مكتبة الأسرة ٢٠٠٩م.

- بروتوكولات حكماء صهيون والعالم الخفى، د. يوسف حسن المصرى، مكتبة جزيرة الورد بالقاهرة ٢٠١١م.

- تاريخ الدولة العليا العثمانية، محمد فريد، مكتبة الآداب بالقاهرة ١٩٩٧م.

- تحت راية القرآن، مصطفى صادق الرافعى، المكتبة التجارية بمصر ١٩٦٦م.

- تفجيرات بروكسل وجردة حساب بسيطة (مقال)، د. هشام الحمامى، مجلة المختار الإسلام بالقاهرة، جماد الآخر ورجب ١٤٣٧هـ/ مايو ٢٠١٦م.

- تفسير الإسلام، د. لورا فاجليرى، ترجمة: أحمد أمين، تقديم محمد عبد الله السمان، سلسلة الثقافة الإسلامية، العدد ١٢/ ربيع الآخر ١٣٧٩هـ- أكتوبر ١٩٥٩م.

- تفسير السعدى= تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدى، مكتبة الصفا ٢٠٠٤م.

- تفسير القاسمى، ط الحلب ١٣٢٧هـ.

- تنصير العالم: مناقشة لخطاب البابا يوحنا بولس الثانى، د. زينب عبد العزيز، دار الوفاء بالمنصورة ١٩٩٥م.

- ثلاثون كتابًا فى كتاب، بدر محمد بدر، مكتبة سطور الجديدة بالقاهرة ٢٠٠٩م.

- جارودى: قراءة فى فكر علماء الاستراتيجية، إعداد: د. جمال عبد الهادى والشيخ عبد الراضى سليم، دار الوفاء/ المنصورة، ٢٠٠١م.

- جوته والعالم العربى، كاترينا مومزن، ترجمة: د. عدنان عباس على، سلسلة عالم المعرفة/ رمضان ١٤١٥هـ/ فبراير ١٩٩٥م.

- حاضر العالم الإسلامى، المستشار على جريشة، مكتبة وهبة ١٩٩١م.

- حاضر العالم الإسلامى، ستودارد الأمريكى، ترجمة: عجاج نويهض، تعليقات:



الأمير شكيب أرسلان، دار الفكر ١٩٧١م.

- حضارة الدم وحصادها: فصول من تاريخ الإرهاب الأمريكى، نزار بشير، الزهراء للإعلام العربى بمصر ٢٠٠٣م.

- حضارة العربى، جوستاف لوبون، ترجمة: عادل زعيتر، مطبعة عيسى البابى الحلبى ١٩٦٩م.

- حضارة العصر: الوجه الآخر، د. مصطفى حلمى، ٢٠٠٠م.

- حفارة القبور: الحضارة التى تحفر للإنسانية قبرها، رجاء جارودى، دار الشروق ١٩٩٩م.

- د. حامد ربيع: قراءة فى فكر علماء الاستراتيجية، دار الوفاء بالمنصورة ١٩٩٩م.

- دفاع عن الإسلام، لورا فاجليرى، ترجمة: منير البعلبكى، ١٩٧٦م.

- رسالة فى الطريق إلى ثقافتنا، محمود شاكر، مكتبة الخانجى بالقاهرة ١٩٨٧م.

- سر إسلام رواد الفكر الحر فى أوروبا، إعداد وجمع: محمد عبد العظيم على، دار المنارة بالمنصورة، ٢٠٠٠م.

- سر إسلام هؤلاء (قساوسة ورهبان وعلماء ومشاهير)، أشرف جمال، دار نون للدراسات بالقاهرة ٢٠٠٨م.

- سر تأخر العرب والمسلمين، محمد الغزالى، دار الصحوة ١٩٨٥م.

- صحيفة الجارديان البريطانية، عدد ٩/ ٨/ ١٩٨٢ .

- صحيفة معاريف الإسرائيلية، ملحق العدد ٧٣١/ ١٩٨١م.

- صراع الحضارات، د. أحمد شلبى، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٦م.

- صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامى، د. محمد على الصلابى، دار الفجر للتراث بالقاهرة ٢٠٠٥م.

- صليبية إلى الأبد، عبد الفتاح عبد المقصود، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥م.

- صناعة العداء للإسلام، رجب البنا، دار المعارف بمصر ٢٠٠٤م.

- عظماء الدنيا وعظماء الآخرة، د. مصطفى محمود، أخبار اليوم ١٩٩٦م.

- عقيدة المؤمن، الشيخ أبو بكر الجزائرى، دار السلام ٢٠٠٠م.

- عولمة القهر، د. جلال أمين، دار الشروق ٢٠٠٢م.

- فضل الإسلام على الحضارة الغربية، مونتجمرى وات، ترجمة: حسين أحمد أمين، ١٩٨٣م.

- فى فلسفة وفقه العدالة الاجتماعية والثروات والأموال فى الإسلام، د. يحيى رضا جاد، مجلة المسلم المعاصر، العدد ١٥٧- ١٥٨/ ديسمبر ٢٠١٥م.

- قصة الاضطهاد الدينى فى المسيحية والإسلام، توفيق الطويل، الزهراء للإعلام العربى بالقاهرة ١٩٩٩م.

- قصة الحضارة، وول ديورانت، ترجمة: محمد بدران، جامعة الدول العربية (ب. ت).

- قصة سربرينيتسا (مقال)، أحمد بهجت، الأهرام القاهرية فى ١٠ يناير ٢٠٠٨م.

- مجلة البيان (تصدر من المنتدى الإسلامى بلندن)، العدد ١٦٩/ رمضان ١٤٢٢هـ- نوفمبر، ديسمبر/ ٢٠٠١م.

- محاسن الإسلام، لورا فاجليرى، ترجمة: طه فوزى، ١٣٥٢هـ.

- محمد ﷺ أعظم الخالدين، مايكل هارت، ترجمة: أنيس منصور، دار نهضة مصر ٢٠٠١م.

- محمد ﷺ، كارين أرمسترونج، ترجمة: فاطمة نصر ود. محمد عنانى، مكتبة سطور ١٩٨٨م.

- مدخل إلى الإسلام عن الفكر الغربى: دين ودولة وحضارة، اللواء أحمد عبد الوهاب.

- مسلمون لا تغرب عنهم الشمس، حامد سليمان، المكتب العربى للمعارف بمصر ١٩٩٠م.

- مسيرة الإسلام، كارين أرمسترونج، ترجمة: هشام الحفناوى، الناشر: عمرو الحفناوى، القاهرة ٢٠١٢م.

- مصطفى محمود شاهد على عصره، جلال العشرى، دار المعارف بمصر ١٩٩٧م.

- مع الإنسان فى الحرب والسلام، فتحى رضوان، دار المعارف بمصر ١٩٥٦م.

- مقالات مجدى حسين ضد مبارك، المركز العربى للدراسات بالقاهرة ٢٠١١م.

- مقدمات العلوم والمناهج، أنور الجندى، دار الأنصار، ١٤٠٩هـ.

- من دفتر أحوال العالم فى الألفية الثالثة، بهاء على سعد، مكتبة الآداب بالقاهرة، ٢٠١٢م.

- مؤامرة الصهيونية والهندوكية على المسلمين، أبو الحارث محمد حامد، من منشورات مجلس شئون المسلمين فى العالم، إسلام آباد ١٩٧٦م.

- مؤامرة الغرب الكبرى، تقرير لوچانو، تعليق: سوسان چورچ، ترجمة: محمد مستجير مصطفى، تقديم: صلاح الدين حافظ، مكتبة سطور ٢٠٠١م.

- موسكو وإسرائيل، د. عمر حليق، دار السعودية للنشر (ب. ت).

- موقف الخطاب الدينى من الإرهاب، د. زكريا إبراهيم الزميلى، صحيفة دار العلوم، ديسمبر ٢٠٠٥م.

- موقف الغرب من الإسلام، زينب عبد العزيز، دار الكتاب العربى، دمشق القاهرة، ٢٠٠٣م.

- هل فرنسا عنصرية؟، شريف الشوباشى، مطابع الأهرام ١٩٩٢م.





الفهرس

الصفحة

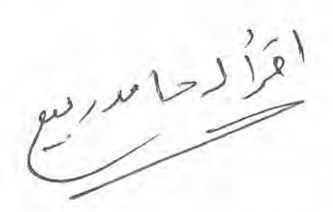


الباب الثانى:

الحضارة الإسلامية حضارة سلام لا إرهاب

●●●

- حقيقة ثورة ٢٣ يوليو الوجه الآخر.
- بحثاً عن مخرج لمأزق حضارتنا الإسلامية.




شبكة الألوكة
www.alukah.net